

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العقيد أحمد دراية - أدرار
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والعلوم الإسلامية
قسم العلوم الإنسانية - شعبة التاريخ

التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر (1850-1962)

أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف الأستاذ الدكتور:

قدادرة شايب

إعداد الطالب:

عزة الحسين

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د الحمدي أحمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة ادرار	رئيسا
أ.د قدادرة شايب	أستاذ التعليم العالي	جامعة 08 ماي 1945 قلمة	مشرفا ومقررا
أ.د جعفري امبارك	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	عضوا مناقشا
د.لوصيف موسى	أستاذ محاضر(أ)	جامعة قسنطينة 2	عضوا مناقشا
د.بوعربوة عبد المالك	أستاذ محاضر(أ)	جامعة أدرار	عضوا مناقشا
د.لعباسي محمد	أستاذ محاضر(أ)	جامعة وهران	عضوا مناقشا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

الحمد لله الذي خلق كل شيء و قدره

الحمد لله الذي له الأمر جميعا ومدبره

الحمد لله الأول لاشيء قبله

الحمد لله الآخر لاشيء بعده

نتقدم بجزيل الشكر والعرفان للأستاذ المشرف:أ.د/ شايب قدادرة الذي اشرف

على بحثنا هذا فكان المرشد والموجه.

كما نوجه الشكر الجزيل لرئيس قسم التاريخ السابق بجامعة ادرار:أ.د/ذراع

الطاهر الذي ساعدنا وأمد لنا يد العون حتى إحالته على التقاعد.

والى كل أعضاء لجنة المناقشة الموقرة.

والشكر موصول إلى كل الأساتذة والزملاء الذين ساهموا بنصائحهم سواء من قريب أو بعيد.

إِهْدَاء

لا يسعني وأنا في ختام هذا البحث إلا أن أتقدم بإهدائه إلى:

الوالدين العزيزين - أطال الله في عمرهما -

إلى زوجتي التي شجعتني وكانت سنداً لي...

إلى أبنائي: محمد، هاجر، سارة، فرح..

إلى إخوتي وأختي الوحيدة..

إلى كل أصدقاء الدفعة: جمال، عبد السلام، زين العابدين...

إلى روح الفقيه الأستاذ الدكتور: عبد الكريم بوالصنصاف

إلى كل شهداء الجزائر

رحمهم الله.

مقدمة

يعد موضوع التعليم من أهم الموضوعات الجديدة بالبحث والدراسة في تاريخ الجزائر إبان الفترة الاستعمارية، كونها تمثل حلقة من حلقات الصراع الثقافي وعاملا مهما في نضال الشعب الجزائري المرير و السياسات التعليمية المطبقة في هذه الفترة لأجل تعليم الجزائريين تعليما وصيفا، والذي كان احد أدوات العمل الاستعماري، متعمدا تقديم سياسة تعليمية مقصودة حتى يتم تعميم النمط الفرنسي، خشية نشوب ثورة الشعب بعد تعليمه، لذلك ظل التعليم الفرنسي بعيدا عن اهتمامات الأوساط الشعبية، خاصة وأنه كان يفتقر للمستوى المطلوب ناهيك عن اعتماده علي مهنية يدوية بسيطة وضعيفة، مقارنة بالذي كان يعطى للأوروبيين المستوطنين وهو الوصف الذي يحمل تميزا بين العرقين بهدف اهانة الشعب الجزائري كونه غير قابل للتعلم.

وفي هذا الصدد أثار موضوع التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر اهتمامنا وفضولنا العلمي فارتأينا تسليط الضوء على الفترة الاستعمارية الممتدة من سنة 1850. وهي السنة التي رجعت فيها الامبراطورية للحكم الفرنسي، إضافة الى نهاية اعنف المقاومات الشعبية في الجزائر. وصولا الى سنة 1962 تاريخ استقلال الجزائر. وما شابها من خلاف حول إمكانية منح الجزائريين تعليما كاملا أو ناقصا، أو تتمتع به فئات دون أخرى وبهذا تأسست المدرسة الجزائرية على اختلاف كبير بمثلتها الأوروبية التي كانت تمنح تعليما يحمل المستوى المطلوب وأطلق عليها تسميات متعددة منها "المدارس الأهلية" و"المدارس الإضافية" ثم "المدارس الأكواخ"، كل هذه المواصفات ظلت عالقة على السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر. التي مرت بمراحل وفضول. خلال أكثر من قرن، استعملت فيها الادارة الاستعمارية. وسائل و برامج متعددة ومتنوعة حسب خصوصية كل منطقة.

لكن وبعد الحملة الفرنسية على الجزائر بدأت ملامح ظهور سياسة جديدة نابعة من عمق الصراع الحضاري بين الشرق المسلم والغرب المسيحي تجلت مظاهرها في غلق دور العلم ومدارس التعليم وتشتيت التلاميذ وتوقيف نشاط المساجد وفرض حصار مطبق على الزوايا التعليمية .

الفاعلة، ولم تترك هذه الاساليب الاستعمارية الا عددا قليلا من الزوايا التي احتضنت المد الاستعماري وباركته. بل عمدت الى الاستيلاء على أموال الأوقاف المصدر الممول لهذا التعليم العربي الاسلامي ولم يبق سوى بعض المؤسسات البعيدة عن سلطة الاحتلال تمارس وظيفتها، مما أدى إلى تشريد كلي للمعلمين وهجرتهم، بمرور وقت قصير جدا خاصة حينما أتلفت جميع المصادر بجميع مستوياتها في كل التراب الجزائري.

دوافع اختيار الموضوع:

من الدوافع والاسباب التي حفزني لدراسة هذا الموضوع، هي:

* اسباب ذاتية:

- 1- الرغبة الشخصية في دراسة فترة حاسمة من نضال الشعب الجزائري، تتعلق بالواقع التعليمي ابان الحقبة الاستعمارية.
- 2- الفضول العلمي وحب الاطلاع في اكتساب رصيد علمي وكم معرفي حول المعلومات والاحداث التاريخية المرتبطة بجوهر الموضوع.
- 3- البحث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر للكشف على المعلومة التاريخية المتعلقة بالحقبة الاستعمارية، كواجب وطني يمليه الواقع الراهن.

* اسباب موضوعية:

- 1- قلة الدراسات الاكاديمية باللغة العربية عدا كتاب جمال قنان: التعليم الاهلي في الجزائر في عهد الاستعمار (1830/1944) وتركيز اغلب البحوث حول السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر.
- 2- التعرف على محتوى ومضمون التعليم الاهلي الفرنسي في الجزائر في الفترة محل الدراسة، وكذا انواع المدارس و مناهجها ومقرراتها.

- 3- البحث في الموضوع لاجل معرفة اهداف الاستعمار الفرنسي من خلال هذا التعليم البسيط الموجه للجزائريين وكذا الوصول الى نتائجه وانعكاساته على المجتمع الجزائري.
- 4- تحديد علاقة هذا التعليم بالنخبة الجزائرية المعاصرة، ودورها في الحياة الاجتماعية فيما بعد، وخاصة قضايا الادمج والتجنيد والمواطنة.
- 5- ابراز القطيعة التاريخية بين المجتمع الجزائري والمدرسة الكولونيلية الفرنسية، وتركيزها على فئات قليلة من الجزائريين خدمة لمصالحها واهدافها.
- 6- التعريف بنوايا المدرسة الفرنسية في استبدال التعليم العربي الاسلامي بالتعليم الاهلي الابتدائي والمدارس الاسلامية الشرعية الثلاثة.

إشكالية البحث:

إشكالية البحث تتمحور حول عديد القضايا المرتبطة بمسألة تعليم الجزائريين من عدمها، وكذا التعليم الاهلي المقرر والمبرمج من طرف الإدارة الفرنسية والمراسيم المنظمة والمهيكله لأهم المؤسسات التعليمية على اختلاف أطوارها، أهدافها، نوعيتها، انعكاساتها والفئات الموجهة لها.

وتتسع هذه الإشكالية لعناصر عديدة نلخصها في الآتي:

- 1- كيف كانت الوضعية العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850.
- 2- ماهي المؤسسات التعليمية التي انشأتها الإدارة الفرنسية بعد 1850؟
- 3- إلى أي مدى ساهمت السياسة التعليمية الجديدة بعد 1871 في تنظيم حركة التعليم الأهلي.
- 4- كيف هيكلت تشريعات 1890 التعليم الأهلي وما الغاية من إنشاء التعليم الفلاحي.
- 5- هل نجح التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر بالرغم من بساطته في تكوين نخبة جزائرية مفرنسة؟

6- ماهي الاضافة التي جاءت بها امرية 1944 واهم الإصلاحات التعليمية الجديدة؟

7- هل استوفى التعليم الأهلي الفرنسي شروطه الخاصة به للوصول إلى أهدافه؟

حدود الدراسة (الإطار الزمني)

يمتد الاطار الزمني للموضوع من 1850 الى 1962 وهي فترة سيطر فيها الاحتلال الفرنسي تقريبا على كل انحاء الجزائر بعدما أخذ أقوى المقاومات التي ثارتضده. وخلص إلى تبني سياسة تعليمية وثقافية تخدم اهدافه.

مناهج البحث:

بحكم أهمية الموضوع المعالج، اعتمدت على مناهج علمية متنوعة تفرضها طبيعة الدراسة منها:

1- المنهج الوصفي: الذي وظفته لدراسة الأحداث وترتيبها وتصنيفها وتركيبها.

2- المنهج التحليلي: وظفته في رصد الأحداث التاريخية، للوقوف على اسبابها والوصول الى نتائجها.

صعوبات البحث:

من بين الصعوبات التي اعترضني، هي طول واتساع الموضوع محل الدراسة، وبالتالي يصعب التحكم في المادة العلمية، اضافة الى قلة المصادر والمراجع المتخصصة، باللغة العربية، والتي تتكلم بشكل كاف وموسع عن الموضوع، عدا كتاب، جمال قنان: التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار (1830/1944) وكذا عدم تحصيلي على المادة الارشيفية من فرنسا لاسباب حالت دون ذلك، منها طلب الحصول على التاشيرة.

الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات السابقة باللغتين الفرنسية والعربية، لكنها تظل قليلة بالنظر لقيمة هذه الفترة تاريخياً، لكونها عاجلت فترات معينة ومناطق خاصة من الجزائر عدا كتاب جمال قنان السالف الذكر، إضافة إلى المذكرات والكتب التي عاجلت السياسة التعليمية مثل مذكرة عبد القادر حلوش (سياسة فرنسا التعليمية...) والتي سأذكرها فيما بعد أما الكتب الفرنسية فهي متنوعة تحتاج إلى نوع من التركيز فقط أغلبها لمؤرخين فرنسيين، فيهم من عاش ودرس في هذه المدارس.

وصف أهم المصادر والمراجع المعتمدة في هذا البحث:

اعتمدت في بحثي هذا على مجموعة من المصادر والمراجع الثرية والمتنوعة نظراً لأهمية الموضوع وقيمه التاريخية، سواء باللغة العربية أو الفرنسية ومنها:

1-المصادر:

أ-بالعربية:

1- كتاب مهم لصاحبه "الشريف بن حبيلس" بعنوان: الجزائر كما يراها احد الاهالي "وهو مصدر هام يعالج فترة هامة جدا من تاريخ الاستعمار الفرنسي في الجزائر. ووظفناه في رصد عديد القضايا الاجتماعية المتعلقة بالنخبة الجزائرية التي درست في هذه المدارس الاهلية.

2- كتاب "ليل الاستعمار" لفرحات عباس وهو احد اكبر الاندماجين خريج المدرسة الاهلية الفرنسية في بداية القرن العشرين، والذي اعتمدنا عليه في تبيان مواقف النخبة من قضايا المجتمع الجزائري وكذا الكثير من الاحداث التاريخية المتعلقة بالمدرسة الفرنسية الاهلية عموماً.

3- كتاب "هذه هي الجزائر" لأحمد توفيق المدني، الرجل الاصلاحى، الذي قدم ادوارا كبيرة سواء في جمعية العلماء الجزائريين او اثناء الثور التحريرية فيما بعد. والذي اعتمدنا عليه في سرد ورصد الكثير

من المعلومات التاريخية المتعلقة بالمدرسة الاهلية وصراعها مع المدرسة الاصلاحية بعد احتفال الاستعمار بمثويته في الجزائر.

4- كتاب "الجزائر الامة والمجتمع" لمصطفى الاشرف. الرجل الوطني المفرنس صاحب المبادئ الثورية الوطنية. والذي استعنا به في الكشف عن خبايا واهداف المدرسة الكولونيالية بمختلف انواعها وانماطها. خاصة ايام الثورة التحريرية المباركة.

5- كتاب: "من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية. ترجمة حنفي بن عيسى (1972). ل احمد طالب الابراهيمي نجل رئيس "ج ع م ج" رائد الاصلاح والتعليم العربي الحر في الجزائر. وهو احد مؤسسي الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين. والذي استفدنا منه كشاهد على المدرسة الاهلية الفرنسية لكونه كان طالبا في كلية الطب بجامعة الجزائر.

6- كتاب "الحركة الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الاولى الى الثورة المسلحة" ل احمد اقطاب الثورة التحريرية" احمد محساس" وهو كذلك شاهد على فترة زمنية ناضل فيها وعاش احداثها. اعتمدنا عليه في توظيف بعض الاحداث التاريخية المتعلقة بتلك الفترة.

ب- بالفرنسية:

(1) Poulard.M : L'enseignement pour Lés indigènes en Algérie.

وهي رسالة دكتوراه من كلية القانون والعلوم الإقتصادية سنة 1910 عا لج فيها الكاتب التعليم الأهلي في الجزائر، أفادني كثيرا في شرح ووضف لأهم الأحداث التاريخية المتعلقة بالموضوع، وخاصة الإحصائيات الدقيقة التي كان يقدمها.

(2) Emerit.M : L'état intellectuel et moral de L'Algérie en 1830.in R.H.M.C.

كتاب يتكلم عن الحالة العامة للحياة الثقافية في الجزائر بداية من 1830 خصصته للكثير من الفترات التي تخدم الدراسة.

(3)Rinn.L : Note sur L'instruction Publique Musulmane.en Algérie.Alger.1882.

كتاب صدرت طبعته الأولى سنة 1882 ليعاد بصيغة جديدة سنة 2018 يعالج التعليم العمومي للمسلمين الجزائريين،وظفته في رصد الكثير من الحقائق الهامة التي تخص الموضوع محل الدراسة.

2-المراجع:

أ- بالعربية:

1-كتابعبد القادر حلوش:سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر.وهي دراسة مهمة ومفيدة .انجزت سنة 1999 قسمها صاحبها الى بابين:الباب الاول وهو نظري اعتمد فيه اربعة فصول ،اما الباب الثاني فهو الجانب التطبيقي تطرق فيه الى واقع التعليم الاهلي في الجزائر خلال اكثر من نصف قرن من الزمن.حيث بين مدى تجاهل الادارة الاستعمارية حق الجزائريين في التعليم مدعما كتابه بارقام واحصائيات في غاية الاهمية.اعتمدنا على هذا في اغلب فصول الاطروحة،نظرا للمعلومات التاريخية ذات الصلة بالموضوع.

2-الموسوعة التاريخية الثقافية لسعدالله ابو القاسم ممثلة في "تاريخ الجزائر الثقافي.ج.3.ج.5.ج.6.ج.9.وقد كان للجزء الثالث حيز كبير في دراستنا نظر لتخصيص الكاتب في هذا الجزء لاطار كبير خص به التعليم في الجزائر بكل انواعه حيث امدنا بمعلومات وحقائق تاريخية جيدة،اعتمدنا عليها في اغلب فصول الاطروحة.دون ادنى شك او ارتياب.لاعتبار ان الرجل سليل الحركة الاصلاحية في الجزائر وهو احد تلامذتها الذين تخرجوا من مدارسها.

3-كتاب "التعليم الاهلي في الجزائر في عهد الاستعمار(1830/1944)وهي الدراسة الوحيدة المتخصصة،شكلا ومضمونا والتي كتب فيها جمال قنان بطريقة تاريخية مرتبة،ومتسلسلة،اعتمد فيها على ارشيف آكس.ان.بروفانس"الذي يحتوي على كل حقائق تاريخية مهمة.تخص الواقع

التعليمي في الجزائر ابان الفترة الاستعمارية.وظفت هذا الكتاب في الكثير من قصول الاطروحة.لما يحتويه من شرح مفصل لفترات تاريخية تخص الموضوع محل الدراسة.

4- كتاب "الجزائريون المسلمون وفرنسا(1871/1919)الجزء الاول للمؤرخ الفرنسي:شارل روبير اجرون بنسخته العربية والفرنسية،والذي اعتمدت عليه في الفترة التي عقب "ثورة المقراني" وصدور الكثير من المراسيم والقوانين الرادعة في حق المجتمع الجزائري،وهي دراسة فيها الكثير من المعلومات التاريخية،لكنها بقلم فرنسي اوربي يتوخى فيها الدارس للتاريخ جزءا من الحذر لما فيها من وصف يعبر عن توجهات الكاتب.لكنها افادتني كثيرا في رصد وتتبع الاطار الزمني للاحداث المتعلقة بهذا الجزء من الموضوع محل الدراسة.وخاصة اهم المؤسسات التعليمية التي انشأتها سلطة الاحتلال بعد قيم الامبراطورية سنة1850.

5- كتاب "التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال"لصاحبه "زهوني الطاهر" وهي دراسة صدرت سنة1993 عالج فيها الكاتب مراحل التعليم في الجزائر ابان الاستعمار الفرنسي وما تلاها بعد الاستقلال ايام منذ قيام الجمهورية الجزائرية،اما الجزء الاول فهو الذي يهمنا في دراستنا حيث اعتمدنا عليه في الكثير من محطاتنا التاريخية،اذ رصدنا منه بعض الاحداث التاريخية،والكثير من الارقام والاحصائيات التي تخص الواقع التعليمي الفرنسي في الجزائر،بطريقة تاريخية متسلسلة.

6- كتاب من سلسلة كتب تاريخية تخص الاستعمار الفرنسي في الجزائر،وهو "سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية من1830الى1954) ليحي بوعزيز وهو مرجع هام فيه معلومات دقيقة تخص مختلف انماط التعليم الفرنسي السائد في هذه الفترة،اضافة الى انه يعطينا ارقاما واحصائيات لاغلب التلاميذ الذين مروا على المدارس الاهلية في المرحلة الاخيرة من عمر الاستعمار في الجزائر.في كل عمالاتها و اقاليمها(الجزائر.قسنطينة.وهران) اعتمدنا عليه في ترتيب هذه الاحداث ووصفها وتحليلها تاريخيا.

ب- بالفرنسية:

(1) Turin. Y : Affrontement Culturels dans L'Algérie colonial.

وهو كتاب مهم للكاتبة "إفون تورين" والتي كانت أستاذة التاريخ المعاصر بالجزائر خلال السبعينات، وهو دراسة نفسية للمرحلة الأولى من غحتلال الجزائر اي: الخمسون سنة الأولى حاولت فيها الكاتبة دراسة أهم جوانب الصراع الثقافي بين الحضارتين الأوربية والعربية. أفادني كثيرا. في سرد الأحداث والوقائع التاريخية التي تصف هذه المرحلة من الإحتلال.

1-Ageron(Ch.R) : Histoire de L'Algérie contemporaine 1871-1954, T2, P.U.F. Paris, 1979.

مرجع مهم بالغة الفرنسية وهو مترجم الى اللغة العربية استفدت منه في بعض المحطات التاريخية التي تخدم الموضوع.

2-Colonna(F) : Les instituteurs Algériens 1883-1939 Alger. O.p.u.1975.

كتاب هام ومتخصص باللغة الفرنسية، يشرح بالتفصيل مختلف مراحل التعليم الاهلي في الجزائر، اعتمدته في دراستي هذه بشكل كبير نظرا لما يحمله من مادة علمية متنوعة تخدم الموضوع.

3- المقالات:

1- جمال قنان: التعليم الأهلي في عهد الإحتلال (1830/1944) الملتقى الوطني الأول حول

التعليم في الجزائر أثناء الإحتلال، المو. للد. في .ح. لوطنية وثورة نوفمبر 1954، الجزائر 2007.

من بين المقالات المهمة في الموضوع وهي عبارة عن مداخلة لصاحبها مستوحاة من كتابه الذي ذكرناه سالفًا، اعتمدنا عليه في وصف بعض الاحداث التاريخية المتعلقة بموضوع البحث.

2- عبد القادر خليف: السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر، الشهاب الجديد، العدد الثالث، المجلد

الثالث، السنة الثالثة، الجزائر، افريل 2004. الثالث، المجلد الثالث، السنة الثالثة، الجزائر، افريل 2004.

وهو مقال مهم استفدت منه في بعض المعلومات التي تقدم اضافة لبعض الاحداث التاريخية في وصفها وتسلسلها.

3-بوضياف سميرة:(ملمح تكوين المعلمين والأساتذة في الفترة الاستعمارية)مجلة البحوث والعلوم الإنسانية،العدد08،2014.مقال يذكر بعض المراحل المتعلقة بالتعليم الاهلي،وظفته في سرد بعض الاحداث التاريخية التي تخص الموضوع.

4-الدوريات:

1-محمد بن شوش:المقاومة الثقافية في الجزائر(1870/1830)مجلة المصادر،العدد19.

وهو مقال يتكلم فيه صاحبه عن مختلف انواع المقاومة الثقافية في الجزائر،استفدنا منه في رصد بعض الاحداث التاريخية التي تخص المراحل الاولى من بحثنا.

2-الطاهر زرهوني:التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستعمار،مجلة الثقافة، عدد95،سبتمبر اكتوبر1986.مقال هو الاخر نابع من كتاب لصاحبه اعتمدنا عليه في بعض المحطات التاريخية،يذكر الكثير من الاحداث التاريخية المتعلقة بقضايا التعليم الاهلي في الجزائر.استفدنا منه في الجزء المخصص للتعليم ايام الحقبة الاستعمارية.لانه يستمر الى ما بعد الاستقلال.

5-الرسائل الجامعية:

1-رابح دبي:السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ودور جمعية العلماء المسلمين في الرد عليها(1962/1830)أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم التربية،جامعة الجزائر(2)2010.

رسالة قدم فيها صاحبها جزء من واقع التعليم الاهلي الفرنسي في الجزائر.ينقل هو الاخر على مصادر ومراجع اعتمدت عليها في دراستي،يستعمل جداول واحصائيات استفدنت منها في الكثير من اجزاء الموضوع.

2- محمد بن شوش: التعليم في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي (1830/1870) رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر 2007-2008. وهي رسالة لا تقل أهمية عن السالفة الذكر، فقط تناول مرحلة متقدمة من الحقبة الاستعمارية لذلك اعتمدت عليها في الاجزاء الاولى من الموضوع.

6-التقارير:

1-Jeanmaire : rapport (1897-1898)

2-Jeanmaire : plans D'études et programmes.1898

3-Jeanmaire : Situation de L'ensngement en Algériependent1897-1878.

وهي تقارير يومية للمفتش "جونمار" الذي عينه وزير التعليم العمومي الفرنسي في هذه الفترة لاجل اصلاح التعليم الاهلي، كانت تصدر يوميا تتكلم عن الحالة العامة للتعليم في هذه الاثناء،اعتمدتها في دراستني لما لها من قيمة علمية تاريخية تؤرخ لفترة مهمة جدا ارادت من خلالها الادارة الاستعمارية ان تعمم التعليم على كل الجزائريين فستت مراسيم وقوانين خاصة ايام الوزير ""جول فيري"" لاجل تنظيم التعليم الاهلي الفرنسي في الجزائر،وهي خطوة تحسب لهذا الوزير اراد من خلالها فرض اجبارية التعليم على كل الجزائريين.

خطة البحث:

للإجابة على الإشكالية المطروحة وضعنا خطة منهجية تتألف من مقدمة وستة فصول وخاتمة، إضافة إلى ملاحق ترتبط بالموضوع محل الدراسة، وببليوغرافيا البحث.

مقدمة

إتبع في الختوات المعمول بما علميا، إذ عرفت بالموضوع وذكرت أهميته والأسباب التي حفزتي لاختياره. مع ضبط الإشكالية العامة، وعناصرها المكملة لها، إضافة إلى المناهج المتبعة والإطار الزماني

والمكاني للدراسة، إضافة الى وصف دقيق لاهم المصادر والمراجع المعتمدة وتطرق في الأخير إلى اهم الصعوبات التي واجهتني في اعدادي لهذه الدراسة.

الفصل الأول: الحالة العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850

عاجت فيه عن التعليم بصفة عامة في الجزائر بعد الغزو الفرنسي للجزائر في العشرين سنة الأولى من عمر الاحتلال، قسمت هذا الفصل الى ستة مباحث جاءت على النحو التالي:

المبحث الأول: وضعية التعليم، تطرقت في هذا المبحث إلى الحالة العامة للتعليم عشية الحملة الفرنسية على الجزائر، والسنوات الأولى من الغزو.

المبحث الثاني: أنواع التعليم، أي مختلف انماط التعليم السائدة في هذه الفترة.

المبحث الثالث: البرامج المقررة وأهم الوسائل المساعدة.

المبحث الرابع: تكلمت في عن البدايات الأولى للتعليم في الجزائر.

المبحث الخامس: شرحت في السياسات الفرنسية الأولى التي تخص موضوع تعليم الجزائريين.

المبحث السادس: ذكرت فيه الأهداف العامة للتعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر

وأخيراً خاتمة الفصل وهي حوصلة واستنتاجات.

الفصل الثاني: التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر 1850/1870

تناولت في هذا الفصل الفترة الأولى لبداية التعليم الأهلي في الجزائر. إذ قسمته الخمسة فصول وهي كالآتي:

المبحث الأول: نشأة المدارس العربية الفرنسية: أي بداية المراسيم المنظمة والمؤسسة للمدارس.

المبحث الثاني: ظهور المعاهد العربية الفرنسية أي المكملة للمدارس الابتدائية.

المبحث الثالث: المدارس الاسلامية الحكومية الثلاثة في العمالات الثلاث، الشبيه بالتعليم العالي، لتخريج الائمة والقضاة.

المبحث الرابع: الاهداف العامة لهذه المدارس. وهي الغايات المرجوة من هذه المدارس.

المبحث الخامس: المناهج والمقررات بمعنى مادة التدريس في هذه المدارس بمضامينها وتوجهاتها.

واخيرا خاتمة الفصل وهي مجموعة استنتاجات.

الفصل الثالث: تطور حركة التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر 1871/1892

قدمت في هذا الفصل التطور الذي حدث في السياسة العامة المنظمة لحركة تعليم الأهالي، يندرج تحت عنوانه خمسة مباحث، تكلمت ي الاول عن بداية تنظيم التعليم الاهلي، ثم تطرقت في المبحث الثاني والثالث الى التعليم الابتدائي والثانوي. اما المبحث الرابع فقد عرجت فيه على اهم المراسيم والقوانين التي صدرت تباعا لاجل تنظيمه وهيكلته. وفي المبحث الخامس تطرقت الى اهم برامج هذا التعليم.

واخيرا وصلت الى خاتمة الفصل.

الفصل الرابع: هيكلية التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر 1892/1914.

ركزت في هذا الفصل على الهيكلية التي طرأت على حركة التعليم الأهلي في الجزائر في هذه الفترة والتي جسدها مراسيم وتشريعات متنوعة ومختلفة أصدرتها السلطة الاستعمارية. لذلك قسمته الى ستة مباحث، اذ تعمقت بالشرح والتحليل في التشريع المدرسي الصادر في مرسوم 1892. والذي نص على اجبارية التعليم الابتدائي كما عرجت عن التعليم الثانوي في هذه الفترة، وبعدها ذكرت انواع التعليم السائدة في هذه المرحلة، مع خصوصياته واهم النتائج المترتبة والإنعكاسات على المجتمع الجزائري.

واخيرا خاتمة الفصل، وهي النتائج المعهودة لكل مرحلة.

الفصل الخامس: التعليم الأهلي الفرنسي وظهور جماعة النخبة 1914/1944

توصلت في هذا الفصل لنتائج الحركة التعليمية الفرنسية وتكوين جماعة النخبة الجزائرية المثقفة ثقافة فرنسية، ضمنها عناصر مهمة، احتوتها خمسة فصول هامة، تكلمت فيها عن جماعة النخبة وعلاقتها المتينة بالمدرسة الفرنسية، ثم الحركة الوطنية وهذه الجماعة وحددت موقف الإدارة الفرنسية والأهالي من الجماعة وأخيرا طبيعة تكوين النخبة واثار المدرسة الفرنسية في المسار الفكري والسياسي للجماعة.

وبعد كل فصل تأتي خاتمة وهي حوصلة عامة، واستنتاجات.

الفصل السادس: التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر ولجنة الإصلاحات 1944/1962

سيدخل التعليم الأهلي مرحلة جديدة طبقا لقرار الوالي العام الجنرال كاترو، الصادر في 14/12/1943 الذي نص على تشكيل لجنة مكلفة بإعداد برنامج للإصلاحات السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية لصالح الفرنسيين مسلمي الجزائر والتي اعتمدت مشروع توسيع انتشار التعليم الابتدائي والثانوي والعالي ممثلا في جامعة الجزائر، إضافة إلى تركيز هذا الإصلاح على التعليم المهني والفلاحي. وهو مقسم الى خمسة مباحث عاجتها بتسلسل ترتيب تاريخي وعلمي.

واخيرا خاتمة الفصل.

خاتمة:

انتهت بحثي هذا بخاتمة توصلت من خلالها إلى مجموعة هامة من النتائج والخلاصات، لفترة عصيبة من تاريخ الجزائر الحديث. حاولت الاجابة فيها على عناصر الإشكالية المطروحة في المقدمة قدر الامكان.

ملاحق: كثيرة ومتنوعة وهادفة، تخدم عناصر الموضوع بصفة عامة.

بليوغرافيا البحث:

الفهارس: وهي كآآتي:

*المصادر والمراجع.

*فهرس الإعلام.

*فهرس الأماكن والبلدان.

*فهرس الجداول.

*فهرس الموضوعات.

الفصل الأول:

الحالة العامة للتعليم في الجزائر

قبل 1850

الفصل الأول: الحالة العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850

المبحث الأول: وضعية التعليم.

المبحث الثاني: أنواع التعليم.

المبحث الثالث: الوسائل والبرامج.

المبحث الرابع: البدايات الأولى للتعليم الأهلي الفرنسي.

المبحث الخامس: السياسات العامة للتعليم الأهلي الفرنسي.

المبحث السادس: أهدافه ووسائله.

المبحث الأول: وضعية التعليم:

كان من نتائج الحملة الفرنسية على الجزائر تدمير المؤسسات الثقافية وتشريد المدرسين و تشتيت التلاميذ وتوقيف نشاط الزوايا والمساجد والمدارس وفي هذا الصدد يقول "توكفيل" (*) في تقرير رسمي له سنة 1848 "...لقد استولينا في كل مكان على هذه الأموال-أموال المؤسسات الخيرية التي غرضها سد حاجات الإحسان والتعليم العام-وذلك بان حولناها جزئيا عن استعمالها السابقة، وأنقصنا المؤسسات الخيرية وتركنا المدارس تندثر وبعثرنا الحلقات الدراسية من حولنا وتوقف انتقاء رجال الدين ورجال القانون، وهذا يعني أننا جعلنا المجتمع الإسلامي اشد بؤسا وأكثر جهلا واشد همجية بكثير مما كان عليه قبل أن يعرفنا".⁽¹⁾ لذا عمل الفرنسيون فور غزوهم للجزائر، على احتلال المساجد ومصادرتها باعتبارها كانت منبرا للتعليم والتعلم، حيث بدأت تتدخل في تعيين رجال الدين ولم يبق سوى بعض المؤسسات الدينية والثقافية البعيدة عن سلطة الإدارة الاستعمارية، التي على الأقل حافظت على دورها في نشر التعليم، لكن بصدور الأمر الملكي في "1843/03/23" استولت إدارة الاحتلال على الأوقاف لكونها الممون الأول للتعليم وضمها لأملاك الدولة وبهذا اتلف الفرنسيون الكتب والمخطوطات العربية.⁽²⁾

وبعد استيلاء الفرنسيين على جل المؤسسات الثقافية خاصة بعد السيطرة على إقليمي وهران وقسنطينة عانى المعلمون والمدرسون الوضع نفسه حيث بدا عددهم في التناقص (**) وتشتت شملهم في كل منطقة كان يصلها الاستعمار، فتعرضوا للمضايقات والتشريد، فساءت أحوالهم

(*) **Toque ville** «هو اليكيس شارل دي توك فيل (1859/1805) مفكر وسياسي فرنسي، مؤرخ اشتهر بكتابه "الديمقراطية في أمريكا" وكتاب النظام القديم والثورة، كان له دور فعال في السياسة الفرنسية، لكنه اعتزل السياسة بعد انقلاب نابليون سنة 1851 ومن ثم بدا في كتابة مؤلفه "النظام القديم والثورة"، لكنه توفي ولم يكمل الجزء الثاني. (للمزيد اكتب ينظر: رزيق محمد: المثقف والسلطة...مجلة العلوم القانونية والسياسية، الجزائر. عدد9 جوان 2014. ص.ص 74-76).

1- شارل ريبير اجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، 1982، ص: 38.

2- عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2010، ص: 43.

** أصبحت المهجرة في هذه الأثناء من المؤلف نظرا للحالة السيئة التي وصلت إليها المدرسة إذ قضت الآلة الاستعمارية على مورد رزق هؤلاء المعلمين.

الفصل الأول: الحالة العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850

الاجتماعية ونقصت أرزاقهم" لقد تراجع رجال ذوو وزن وقيمة كبيرين أمام الوظائف التي لم تصبح قادرة على إعالتهم، كما أن المدارس العليا أصبحت مهملة لأنها لم تعد قادرة على توفير المناصب، وسقطت المدارس في ابدى مدرسين جهلة وانخفض التعليم إلى الحضيض الذي يهدد كل السكان الأهالي بالجهل والحرمان" (1)

أثرت هذه السياسة التخريبية المنتهجة من قبل الإدارة الاستعمارية على العملية التعليمية، حيث أهملت اغلب المدارس الابتدائية، والعليا منها، فهاجر بذلك اغلب المعلمين والمدرسين إلى مناطق لا تخضع للسيطرة الاستعمارية، خاصة الذين رفضوا الوجود الاستعماري كلياً، ونتاجاً لهذا الوضع الذي آلت إليه الجزائر تناقص عدد التلاميذ شيئاً فشيئاً ونذكر في هذا الصدد بالتحديد الجزائر العاصمة التي كانت تتوفر على 24 مدرسة قرآنية تستقبل أكثر من 600 تلميذ في حدود سنة 1840 لتنزل إلى 14 مدرسة بمجموع 400 تلميذ. (2) ومع حلول سنة 1849 أي بعد القضاء على المقاومة الوطنية في الشرق والغرب وصل التعليم الجزائري إلى أسوأ حالاته، بحيث أتلفت جميع المصادر الجزائرية في عموم الوطن، فظهرت بذلك البوادر الأولى للهجرة خارج الوطن لتحصيل العلم الذي أصبح منعماً في الجزائر، ولم ينج من الجزائر سوى المناطق الصحراوية البعيدة عن السيطرة الاستعمارية. (3) لم تستطع السلطات العسكرية الفرنسية أن تعلم الجزائريين حتى وفقاً لتوجهاتها لأنها كانت منشغلة في كيفية إخماد المقاومة والسيطرة على أكبر عدد من الأقاليم الجزائرية، وذلك على امتداد العشرين سنة الأولى من عمر الاستعمار، هذه المدة التي اشتهرت بأعمال عسكرية وحشية، حالت دون وضع خطة لنشر التعليم الفرنسي بين الجزائريين وفي المقابل منعتهم من التعليم العربي الذي يمثل هويتهم وتاريخهم، بل عمدت إلى تخريب مؤسساته كما سلف وان ذكرنا والقضاء عليه، لتفرض سياسة تجهيلية انعكست سلباً فيما بعد. (4)

1 - Turin y. **Affrontements culturels dans L Algérie coloniale**. Paris 1971 P.122

2 - Colonna F : **Les instituteurs Algériens de 1883-1939**. Alger, O.P.U. 1975, P : 30.

3 - Turin. Y : op.cit.p.129

4 - جلال يحيى: السياسة الفرنسية في الجزائر (1860/1830) مكتبة دار المعرفة، القاهرة 1960. ص 101.

الفصل الأول: الحالة العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850

لكنه بالرغم من السياسة المحففة التي طالت الشعب الجزائري، كانت تسود آراء مختلفة ومتناقضة حول تعليم الجزائريين من عدمه، حيث كان يرى الطرف الأول ضرورة تعليم "الأهالي" وكسبهم لصالح فرنسا، أما الثاني فدعا أصحابه إلى تجهيل الجزائريين بل وطردهم إلى الصحاري، والمناطق النائية، وبهذا اعتمد الجزائريون على المدارس القرآنية، الوسيلة الوحيدة المتبقية الشيء الذي اربك الإدارة الفرنسية وجعلها تفتقد إلى رؤية ثابتة بشأن التعليم في الجزائر في هذه الفترة⁽¹⁾

بالرغم من الإجحاف الذي طال مؤسسة الأوقاف وقضى على النظام التعليمي الموجود، كانت هناك بعض الاقتراحات من طرف سلطات الاحتلال، لكنها ظلت محتشمة لأنها كانت تفتقد الى المصدقية، نذكر منها على الحصر الفكرة التي تبناها الوالي العام "بيجو" «bugeaud» باقتراح من مترجمه "ليون روش" «léon roches»^(*) مفادها إنشاء معهد عربي فرنسي بمدينة الجزائر وقام بمراسلة وزير الحربية في هذا الشأن الذي أعطى موافقته المبدئية، لكن الاختلاف حول مكان إقامة هذا المعهد أهملت الفكرة وطرحت مسألة تعليم "الأهالي" جانبا إلى وقت آخر.⁽²⁾

بحلول العام 1948 تغير النظام الفرنسي من ملكي إلى جمهوري ليبرالي أكثر تفتحاً، فكان أثره على التعليم الأهلي في الجزائر واضحاً، حيث حملت الجمهورية الثانية شعار دمج الجزائريين مع الفرنسيين، فأصبح بذلك هذا التعليم في الجزائر تابعا لوزارة المعارف العمومية بدلا من وزارة الحربية، فأنشأت هذه الأخيرة "أكاديمية" تشرف على التعليم الأوربي كما هو الحال عليه في

¹ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 38.

^{*} "ليون روش" «léon roches» (1901/1809) ولد في غرونوبل، قدم إلى الجزائر في 1832 حينما حصل أبوه على مزرعة فلاحية، مكث فيها 32 سنة تعلم العربية وأصبح مترجما في الجيش الفرنسي، تقلد رتبة ملازم في سلاح الفرسان (1835/1839) كلفه الجنرال بيجو "بالتفاوض مع الأمير عبد القادر وفي عام 1846 عين مندوبا رسميا في طنجة، تظاهر بالإسلام، ثم غادر إلى الحجاز، فكتب مذكراته هناك (للمزيد أكثر ينظر: مناصرة يوسف، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب (1832/1847) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990).

² - جمال قنان: التعليم الأهلي في عهد الاحتلال (1830/1944)، الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال، المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، عناية 2009، ص: 31.

الفصل الأول: الحالة العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850

فرنسا، لكن على العموم ظل التعليم الأهلي مهماً تماماً، عدا بعض المدارس الابتدائية القليلة جداً وبأهداف بسيطة جداً.⁽¹⁾

وبعد مصادرة الأوقاف ونفي العديد من العلماء وترهيب الباقين، أهمل التعليم تماماً، حتى أوشك على النهاية، لأنهم اشتغلوا بالاستيلاء على الأرض وقمع المقاومة بدلا من تعليم "الأهالي" أو على الأقل ترك المؤسسات السابقة تقوم بهذا الدور كما كان سابقا وبمرور عشر سنوات على نكبة الاحتلال اخذ بعض مسؤولي المكاتب العربية (وهم عسكريون) يحررون تقارير حول وضعية التعليم عند "الأهالي"، فكانت هناك كتابات عدة، نذكر منها: تقرير كتبه الجنرال "بيدو" «bedeau» وتقرير "فاليري" «Valéry» وتقرير الجنرال "دوماس" «Domas» وأجمعت كل هذه التقارير بخصوص وضعية التعليم على الآتي:

الإهمال الكلي للتعليم العربي الإسلامي وعدم رد الأوقاف، مع إنشاء تعليم مزدوج "للأهالي" تدرس فيه العربية بلسان فرنسي بداية من سنة 1850 وترك التعليم في الزوايا الريفية والنائية، مع مراقبته.⁽²⁾

وختاما يمكن القول أن وضعية التعليم بعد الاحتلال أصبحت كارثية فالظروف الاجتماعية والاقتصادية أثرت بشكل كبير على نفسية الجزائريين الذين أصبحوا فقراء لا يستطيعون توفير لقمة العيش لأبنائهم فما بالك بتعليمهم. خاصة وان الإدارة الاستعمارية استطاعت في فترة وجيزة ان تقضي على المعالم الكبرى للولاية الجزائرية وذلك بنشر الرعب والدمار في كل مدينة حلت بها، حيث خربت كل المؤسسات الموجودة من ايام الحكم العثماني، وابتعد من ذلك حاربت الفرد الجزائري في رزقه وقوت يومه بمصادرة الاملاك وسن ترسانة تعسفية من القوانين في بداية الاحتلال نصت كلها على نزع الملكية العامة من ملاكها، وبالتالي تشريد الاسر والعوائل، والتي منها الاوقاف

¹ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3 (1830/1954) عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص: 287.

² - المرجع نفسه، ص: 288.

الفصل الأول: الحالة العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850

وهي مصدر رزق الكثير من الجزائريين،الذين نقص معاشهم،فاهملوا التعليم والصنائع والحرف،وبات امنهم مهددا،فالتجؤوا الى اللجوء والهجرة.

المبحث الثاني:أنواع التعليم.

1:التعليم العربي الإسلامي:يجمع كل الدارسين للتعليم العربي الإسلامي في الجزائر غداة الاستعمار،انه كان مزدهرا وفي أفضل حالاتهنتيجة لكثرة المدارس وحرية التعليم وكثرة المتعلمينوفرة الإمكانيات،لتنوع مصادر الأوقاف،كما كان التعليم إجباريا ومجاني بحيث يفوق عدد المدارس أحيانا عدد المتعلمين ومن أنواعه:

***التعليم في المدارس القرآنية:**كانت الجزائر تعج بالمدارس الابتدائية القرآنية،منتشرة في جميع أنحاء القطر الجزائري،وهي شهادة كل من زاروا الجزائر أيام الحكم العثماني،بانتشار التعليم وانخفاض الأمية،وهو اعتراف فرنسي كذلك أيام الحملة العسكرية الفرنسية،ومن بين المدن التي اشتهرت في التعليم بقوة مدينة"تلمسان"التي كان بها أكثر من 50مدرسة وثلاث معاهد للتعليم الثانوي والعالي و"قسنطينة" التي تتوفر على أكثر من90 مدرسة ابتدائية في حدود سنة 1837وسبع مدارس للتعليم الثانوي والعالي،وتفوقهم مدينة "الجزائر" بحوالي 1000مدرسة بين ابتدائية وغيرها باتفاق جميع المصادر.(1)

لكن بغزو الفرنسيين إلى الجزائر كان مصير المدارس القرآنية الهدم والتخريب والتحويل عن الغرض الأصلي،حيث غيرت إلى مخازن ودكاكين ومقرات لجمعيات فرنسية،وفي هذا الصدد يذكر ابو القاسم سعدالله قائمة لبعض المدارس التي تعرضت للهدم أيام الاحتلال الفرنسي للبلاد.(2) ومنها:

الجدول(1):أسماء وأماكن المدارس التي هدمت.

1- سعد الدين ابن أبي شنب: النهضة العربية في الجزائر في النصف الأول من القرن 14هجري،مجلة كلية الآداب،ع1،1964،ص:39.

2- أبو القاسم سعدالله:المرجع السابق،ص330.

اسم المدرسة	المكان	تاريخ الهدم
مدرسة جامع البطحاء	شارع القنصل	1854
مدرسة جامع السلطان	شارع تريكولور	1838
مدرسة جامع خيرالدين	قرب مدخل الجنيبة	1831
مدرسة جامع الشيخ الثعالبي	شارع لاشفارت	1859
مدرسة جامع الرحبة القديمة	الرحبة القديمة	1840
مدرسة الدالية	الدالية	1839
مدرسة كو شة الوعيد	أعالي المدينة	1852

أخذت هذه المعلومات من "أبير ديفوكس" الذي كتب عن الموضوع خلال الستينات والتي نقلها سعدالله في كتابه: تاريخ الجزائر الثقافي. (1)

***التعليم في المساجد:** حينما تنتهي مرحلة المدرسة القرآنية، يتوجه الأطفال الراغبون في الدراسة إلى المساجد والزوايا لمواصلة تعليم متوسط وثانوي، لكن عمليات الهدم التي تعرضت لها المساجد بين 1830 و1850 أثرت على سير الدروس التي كانت تلقى في أغلبها، فدروس مساجد الحاج حسين باشا وعبيدي باشا، وجامع السيدة، كلها توقفت، ودروس كتشاوة وجامع سوق الغزلبقسنتينة وجامع خنق النطاح بوهران وعين البيضاء بمعسكر كلهم تعرضوا للتخريب الشيء الذي أثر سلبا على سير الدروس فتراجع هذا التعليم تراجعاً رهيباً. ونتيجة لهذا التعسف الذي طال المؤسسات التعليمية، شعرت الإدارة الفرنسية بفرغ كبير مس الدراسات الإسلامية بداية من منتصف الأربعينيات وبالتالي وجد الفرنسيون أنفسهم أمام قطيعة تامة مع "الأهالي" لتسيير شؤونهم العادية، لذلك خرجوا بتوصيات شملت القضاء والتعليم وتنظيم المساجد (2) كانت المساجد توجد بكثرة ويتردد عليها تلامذة كثيرون، ففي سنة 1830 كانت توجد في مدينة الجزائر 24 مدرسة

1- أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص: 38.

2- المرجع نفسه، ص: 38.

الفصل الأول: الحالة العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850

يدرس فيها أكثر من 600 تلميذ، لم يبق منها في سنة 1846 سوى 14 مسيد* و400 تلميذ وكان المعلمون في السابق محل احترام وحياتهم ميسورة لكنها تحولت إلى حياة بؤس وشقاء مع سيطرة الفرنسيين على الجزائر وكانت المواد التي تدرس متنوعة وهي: القواعد والمنطق و الميتافيزيقا ثم تأتي الهندسة وعلم الفلك وعلم الجداول وكانت عملية التعليم تمارس بكل حرية، لكن بمرور الوقت اختفى العديد من المساجد وهدم أغلبها وصودرت ممتلكات الزوايا وشتت علماءها وطلابها، فمثلا مدينة "الجزائر" يقول احد أفراد الحملة العسكرية الفرنسية سنة 1830 أن الشعب الجزائري: "ربما كان يملك من التعليم أكثر ما كان يملك الشعب الفرنسي، إذ أن كل فرد من أفرادهم يعرف القراءة والكتابة والحساب."⁽¹⁾

أما المنهج التعليمي في المساجد فقد كان موحدًا بين كل مدن وأرياف الجزائر، إذ نجد التعليم القرآني منتشرًا في كل ربوع البلاد، حيث تقوم المدرسة القرآنية بتعليم وتحفيظ القرآن وتعليم القراءة والكتابة والرسم القرآني، إلى جانب العقيدة والحديث، كما كانت تركز على التربية الدينية والأخلاقية، وهو الشيء الذي لم يكن يعجب الفرنسيين إطلاقًا⁽²⁾ حيث أصدرت السلطات الاستعمارية مباشرة فور غزوها الجزائر أول قرار يتعلق بالأوقاف في 08 سبتمبر 1830 الذي نص على مصادرة أملاك العثمانيين وإحاقها بمصلحة "الدومين" التي أنشأت في عهد "دي بورمون" « De Bourmont »⁽³⁾

* - المسيد: أصل الكلمة عربي، وهي المسجد، الذي حوله الأتراك في الجزائر إلى كلمة "مسيد" لأنهم لا ينطقون حرف الجيم، فبدل قولهم مسجد يقولون مسيد، كان يطلق هذا الاسم على كلمة "كتاب" بمعنى المدرسة القرآنية المجاورة للمسجد. (للمزيد أكثر ينظر: سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج3، ص277.)

¹ - عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2008، ص: 213 .

² - أندري نوشي وآخرون: الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة رابح اسطمبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. 1984. ص: 211.

³ - محمد علي دبوب: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، وزارة الثقافة، الجزائر 2007، ص: 212.

الفصل الأول: الحالة العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850 وهو أول حرق لمعاهدة تسليم الجزائر في 05 جويلية 1830* (بالنسبة للبند الخامس من الاتفاقية التي تضمنت خمسة بمود وهي:

- البند الأول: تسليم القصبه وكل الحصون، وميناء المدينة للقوات الفرنسية على الساعة العاشرة بتوقيت فرنسا.

- البند الثاني: يتعهد القائد العام للحملة للداي حسين بحريته وعدم المساس بشروته الشخصية.
- لبند الثالث: يخير الداي حسين وعائلته بين الانسحاب خارج الجزائر أو البقاء فيها تحت حراسة جنود القائد العام للحملة.

- البند الرابع: يؤمن القائد العام لجميع أفراد الميليشيا نفس الامتيازات ونفس الحماية.

- البند الخامس: تبقى ممارسة الديانة المحمدية حرة، كما انه لن يقع أي اعتداء على حرية السكان من جميع الطبقات ولا على دينهم وأموالهم وتجارتهم وصناعاتهم ونسأؤهن سيحترمن.

- البند السادس: يتعهد القائد العام بشرفه على تنفيذ ما جاء في البنود المذكورة أعلاه.

وقد لزم القرار مدة ثلاثة أيام لسكان الجزائر لإثبات ملكية هذه الأوقاف وإلا تطبيق أقصى العقوبات⁽¹⁾

بالرغم من أن البند الخامس ينص على: ممارسة الديانة الاسلامية بكل حرية. واحترام حرية السكان بكل أصنافهم وعدم التعدي على ديانة السكان وأموالهم وأموالهم وتجارتهم، كما تحترم نسأؤهم. لكن الاستعمار الفرنسي لم يحترم هذه البنود بل أصدرت الإدارة الاستعمارية مرسوم 07 ديسمبر 1830 والذي أصبحت بموجبه كل الأوقاف ملكا للإدارة الاستعمارية⁽²⁾

* - هي معاهدة تسليم الجزائر أبرمت بين الداي حسين وقائد الحملة العسكرية الفرنسية "دي بورمون" في 05 جويلية 1830 تم بموجبها تسليم مفاتيح الجزائر للفرنسيين، وقد تضمنت خمس بنود تم الاتفاق عليها. (ينظر: حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، ت. ت. محمد العربي الزبيدي (م و فم) الجزائر 2005 ص. 203-204)

¹ - حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص: 176.

² - خديجة بقطاش: أوقاف مدينة الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي 1830، مجلة الثقافة، العدد 62، الجزائر 1981، ص: 77.

الفصل الأول: الحالة العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850

تشير بعض الإحصائيات نشرت سنة 1956 أن المدارس القرآنية في الريف بلغت 851 مدرسة، كلها تدرس القرآن والكتابة والقراءة و يتردد عليها حوالي 10.925 تلميذ وفي تقرير لوزير الحرية الفرنسي رفع إلى رئيس الجمهورية الفرنسية سنة 1851 يشير إلى عدم وجود تعليم فرنسي في الأرياف، بمعنى أن التعليم بقي خلال العشرين سنة الماضية على حاله عكس المدن التي تم فيها مصادرة كل مصادر تمويل التعليم.⁽¹⁾

وابتداءً من سنة 1851 بدأ تنظيم خاص بالمساجد والمدرسين، إذ صنفت المساجد إلى خمس درجات وتخصص الفئة الأولى منها بمهمة التدريس، حيث برمجت ستة مساجد فقط للقيام بهذه المهمة في كل ربوع الوطن وهي ثلاثة مساجد في العاصمة واثان بقسنطينة وواحدة بتلمسان وقلصت مهام المدرس حيث أصبح "مفسراً للقرآن" فقط ولا يحق له تدريس اللغة والنحو وغيرها من العلوم الأخرى.⁽²⁾

*التعليم في الزوايا والمدارس الحرة:

كانت الزوايا تشبه المدارس والمعاهد الكبيرة، واشتهرت بتعليم القرآن وإحكام قراءته والفقه ومختلف العلوم الإسلامية واللغة العربية، وكان الطلبة حينما يكملون الدراسة بها يرسل بهم إلى جامع "الزيتونة" و"القرويين" ثم "الأزهر" بمصر، وبعد إتمام الدراسة يعود هؤلاء الطلبة إلى التدريس بالزاوية الأم، أو بعض الزوايا الأخرى⁽³⁾

لكن التعليم في الزوايا هو الآخر تعرض للحصار عن طريق المدرسة الفرنسية، والتي اتخذت جملة من الإجراءات الردعية في حق العديد من الزوايا حيث عملت على:

-هدم العديد من الزوايا ومصادرة أملاكها في المدن ثم الأرياف.

¹- ابو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص46.

²- عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص215.

³- محمد بن شوش: المقاومة الثقافية في الجزائر (1870/1830) مجلة المصادر، العدد 19، ص:05.

الفصل الأول: الحالة العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850

- إنشاء المدارس الابتدائية خاصة بعد (1850) في المدن ثم الأرياف وذلك لجذب التلاميذ، ونشر الثقافة الفرنسية.

- منع الزوايا من نشر التعليم العام وفرض برنامج ضيق لا يتعدى حفظ القرآن دون تفسيره أو فهم معانيه.

في سنة 1851 بلغ عدد تلاميذ الزوايا عموماً 8347 تلميذاً، وعدد الزوايا 593 زاوية وهو رقم كبير مقارنة بالآتي، كانت جلها تعلم الفقه والنحو والتاريخ الإسلامي والأدب.⁽¹⁾

لعبت الزاوية دوراً مهماً في حركة التعليم منذ تأسيسها وخاصة في الأرياف، إذ كانت تشمل المسجد وقبة للشيخ وبيوتاً للطلبة ومساكن للغرباء والفقراء، وهو العامل الذي أهلها لنشر التعليم بجميع مستوياته ومثالثنا على ذلك الكثير منها الذي ذاعت شهرتها حيث تحولت زاوية "القشاشية" في الجزائر إلى معهد عالي، ومثلها في قسنطينة زاوية "ابن الفكون" وزاوية "مازونة" (*) ذات الشهرة العالية، إضافة إلى زوايا منطقة القبائل والصحراء.⁽²⁾ وقد ظلت حصناً منيعاً حفظت فيه اللغة العربية من الزوال والانحلال، والزوايا من هذه الناحية تعتبر مدارس ابتدائية وثانوية ومعاهد علمية عالية في آن واحد.⁽³⁾ وتوجد بها مكتبات عامة تحتوي على بعض ما تبقى من مصادر تاريخ الجزائر وجزء مهم من المخطوطات المتنوعة تشمل أنواع مهمة من العلوم خاصة وأنها كانت بعيدة نوعاً ما على سلطة الاحتلال، وهو ما أهلها للقيام بالدور التعليمي والجهادي في

¹- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص: 173.

* - شكلت مدينة مازونة مركز إشعاع علمي وثقافي وفكري في العصر الوسيط، اشتهرت بكثرة مدارسها منها مدرسة الشيخ محمد بن الشريف التي أسسها في القرن السادس عشر، و بما ما يقارب عشرين مكتبة تخرج منها كوكبة من العلماء منهم: يحيى المازوني صاحب كتاب "ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الأخيار" وابنه أبو زكريا صاحب كتاب "الدراسة المكونة في نوازل مازونة" كما كانت مركزاً سياسياً لعاصمة بايلك الغرب في العهد العثماني. (للمزيد ينظر:

Mouley Belhamissi: **Histoire de Mazouna, des Origines à nos Jours**, SNED, Alger, 1981, pp 37-45.

²- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، (1830/1500) ج1، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص: 270.

³- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، (1954/1830) ج5، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص: 351.

في السنوات اللاحقة، لكن البعض منها تعرض للهدم والتخريب بسبب مشاركة رجالها في كثير المقاومات مثل: زوايا منطقة "زاوية أي القبائل وأولاد سيدي الشيخ".⁽¹⁾

ويتحدث تقرير آخر يرجع إلى سنة 1840 عن الزوايا الريفية فيقول: "في كل قبيلة أماكن مخصصة للتعليم وتكوين الطلبة، وهذه الأماكن مبنية دائما تقريبا قرب زاوية احد المرابطين الذي اشتهر بورعه وتقواه، ومدة الدراسة في الزاوية غير محددة، والدروس مجانية، ويعيش الطلبة والمدرسون من تبرعات القبائل المجاورة وأحيانا يعيشون من مداخيل خاصة بالزاوية (احباس) ترجع إلى عهود قديمة قدمها إليها أعيان "الأهالي" الأتقياء والمحسنون، ولا يحمل طلبة الزوايا ولا شيوخها السلاح أو يشاركوا في الحروب بين القبائل. إن دورهم هو الإصلاح والتهدئة والزاوية مكان مقدس للجميع".⁽²⁾

نستشف من هذا التقرير عظم وقداية الزاوية في ذهنية الفرد الجزائري باعتبارها مؤسسة دينية واجتماعية وسياسية في بعض الاحيان، وهو تفكير سائد لدى عموم الجزائريين في ذلك الوقت نظرا للدوار المتنوعة التي كانت تقدمها هذه المؤسسة.

ومن بين الزوايا التي اشتهرت بالتعليم في القطر الجزائري بالرغم من كثرتها زوايا في الشمال والبعض الآخر في الجنوب نذكر منها: زاوية الشيخ عبد الرحمان اليلولي: تقع بجبال جرجرة في عرش "يلولة" أو "يلولن" ناحية "عزازقة" ولاية "تيزي وزو" حاليا والتي أسسها الشيخ سيدي عبد الرحمان اليلولي (*). الذي لم يورث أحدا من أقاربه لتسييرها بعد وفاته، بل تركها تحت تصرف أهل

1- عبد العزيز شهبي: الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2007، ص 46.

2- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، المرجع السابق، ص 173.

* - هوسيدي عبد الرحمان بن يسعد المصباحي الخردوشي اليلولي الزواوي، ولد حوالي 1620 في قرية "اخرداشن" ببلدة "يلولة" ناحية "عزازقة" وتوفي عام 1692م، ودفن قرب زاويته، اشتهر بالتقوى والعلم والعمل الصالح، وكان ثريا في علوم القرآن وتجويده ومعرفته بالقراءات. (للمزيد أكثر ينظر: عبد العزيز شهبي: المرجع السابق، ص: 74).

العلم، وتركها مفتوحة لكل طالب علم، ولكل الوافدين إليها، عن طريق التسيير الجماعي من قبل طلاب الزاوية أنفسهم.

يرأس الزاوية رئيسان متعاونان، أحدهما مكلف بالإدارة يسمى "مقدم الثمن" والآخر مكلف بالتعليم ويسمى "مقدم العسكر" ويتولى تسيير الزاوية مجلس يتألف من اثني عشر عضوا من طلبة الزاوية ويسمى هؤلاء الأعضاء "بالقدمي"⁽¹⁾

تهتم الزاوية بتحفيظ القرآن أكثر من غيره وهي قراءة القرآن وتجويده بكل القراءات، لذلك تميزت عن باقي الزوايا بالحرص الكبير على تعلم القرآن وتجويده، حتى وصل عدد الطلبة إلى ثمانون طالبا في فصل الصيف و(200) في الشتاء واستمر التعليم فيها على هذا النمط حتى طرأ عليه تعديل، إذ تم إدخال علوم الشريعة واللغة من نحو وصرف وبيان وغيرها.⁽²⁾

كانت الزاوية محط رحال العلماء والدارسين من مختلف أنحاء القطر الجزائري، إذ ساهمت بقسط وافر في الحركة العلمية والإصلاحية، حيث أنجبت صفوة من العلماء تخرجوا منها وتلمذ على أيديهم نخبة من الطلبة أصبحوا معلمين فيما بعد⁽³⁾

ب: زاوية الهامل:

تقع الزاوية في قرية الهامل جنوب مدينة "بوسعادة" أسسها الشيخ "محمد بن أبي القاسم بن منصور" كانت مركز التقاء الأعراس المجاورة ومأوى للعجزة والمحرومين، وصارت مركزا للإشعاع العلمي والديني يأتيها الطلبة من كل مكان، يدرس في التفسير والحديث وأصول الدين والتصوف والبلاغة والنحو وغيرها من مختلف العلوم الدينية والدنيوية كالتاريخ والحساب واستمر التعليم بها طيلة الفترة الاستعمارية وبرنامج التعليم المطبق فيها كان نفسه البرنامج القديم للدراسات العربية

¹ - محمد نسيب: زوايا العلم والقران في الجزائر، دار الفكر، الجزائر. 1989. ص: 24.

² - مفران يسلي: الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل (1920/1954) رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ص: 80.

³ - محمد نسيب: المرجع السابق، ص: 25.

الفصل الأول: الحالة العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850

والإسلامية وكان الشيخ محمد يدرس العلوم الدينية ولا يهمل التاريخ والأدب والحساب، كما حظيت الزاوية بمكتبة وفيرة وانظم إليها كبار العلماء والمدرسين من أمثال: الشيخ عاشور في الأدب والديسي في العقائد والمنطق.⁽¹⁾

ويمكن القول أن البرنامج الدراسي في عمومها لا يختلف عما هو في الزيتونة، حيث يبدأ بالابتدائي وينتهي إلى الدروس العالية والكتب المقررة هي نفسها، أما عن المحتوى فهي علوم دينية ودينية وكان محمد القاسمي.* () والديسي يدرسون فيها الدروس العالية.⁽²⁾

لكن بوفاة المؤسس الفعلي للزاوية أصبح الشيخ "مصطفى الهاملي" هو المتكلم الرسمي في التجمعات الطلابية التي كانت تعدها وتشرف عليها الإدارة الفرنسية، أما التعليم في الزاوية فلم يبق كما رسمه المؤسس الأول، لأن رؤساء الزاوية في هذه الفترة المراد دراستها وعلى رأسهم الشيخ "مصطفى الهاملي" وقفوا موقفا مضادا اتجاه "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحزب الشعب" وهو الشيء الذي قلل من صمعة هذه الزاوية فيما بعد.⁽³⁾

لعبت الزوايا ادوارا تاريخية مهمة في حياة الافراد من الناحية الدينية والاجتماعية، ناهيك عن كونها كانت في اغلبها مدارس تنويرية وتهذيبية في آن واحد، فهي المسجد والمدرسة والمحكمة. وقد عم انتشارها عموم الجزائر، اختلفت في الطريقة واتحدت في الوسيلة والمنهج، فكانت منبرا للعلم والتعليم، تخرج منها علماء ومحدثون وفقهاء، ذاع صيتهم الجزائر وخارجها، فاشتهرت بذلك زواياهم وعم نورها كافة الاقطار الاسلامية فكانت عاملا من عوامل استمرارية الامة الجزائرية في ظل سياسية كولونيالية غاشمة وحاقدة، بدعوى نشر حضارتهم المزعومة، وصناعتهم البخارية.

¹ - الحاج مزاري: الهامل، المكتبة العصرية، الجزائر، 1993، ص 47.

* - الشيخ "محمد بن أبي القاسم بن ربيع بن محمد بن سائب بن منصور بن عبد الرحيم بن أيوب، احد أجداد شرفة الهامل، ولد في الهامل عام (1239هـ/1823م) كان طالبا ذكيا، نبغ في كل العلوم فانتشر صيته، قام ببناء الزاوية عام (1279هـ/1862م) توفي سنة (1315هـ/1898) (ينظر: عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص: 26.)

² - محمد علي دبوب: المرجع السابق، ص 71.

³ - ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، المرجع السابق، ص 223.

2- التعليم الفرنسي المزدوج:

هو التعليم الذي تشرف عليها الإدارة الفرنسية بالرغم من اختلاف لغة تدريسه وهو التعليم الموجه للجزائريين وهو على أنواع، منها: المدرسة الحضرية-الفرنسية، والمدرسة العربية الفرنسية، ثم المدرسة الخاصة بـ "الأهالي" وهي مدارس في عمومها ابتدائية، كما تم إنشاء المدارس الرسمية الثلاث التي بدأت عربية ثم أصبحت مزدوجة، وهي ذات طابع ثانوي وأحيانا توصف بالتعليم العالي، كان يتخرج منها القضاة والمترجمين والمدرسين، كما يوجد نوع آخر وهو المدارس السلطانية "الكوليج"⁽¹⁾

وقد تم في هذا الإطار إصدار مرسوم 30 سبتمبر 1850 الذي نص على إعادة تشكيل بعض المدارس "العربية-الإسلامية" وهو الذي نتج عنه إنشاء ثلاث مدارس عليا للدولة في كل من "قسنطينة، المدينة، تلمسان" تقوم بتخريج مدرسين في الأدب والقانون والعلوم الدينية، بنظام خارجي، لكن بحلول سنة 1859 أصبح النظام داخليا وأصبحت بذلك مطابقة للمعاهد الفرنسية، وتنتهي بامتحان نهاية الدراسة، كما أدرجت اللغة الفرنسية والحساب، غير أن تعداد الطلبة انخفض تدريجيا بسبب التعسف المبالغ فيه.⁽²⁾ كان الهدف من إنشاء هذه المدارس هو تنفيذ مخططات الحكومة الفرنسية في السيطرة على الجزائر، ودمج شعبها في الحضارة الفرنسية ومحاوله سلخ "الأهالي" عن دينهم ولغتهم وتراثهم، والزج بهم في الفرنسية، وهو العامل الذي كان وراء عزوف الكثير من الجزائريين عن إرسال أبنائهم إلى مثل هذه المدارس التي سينافسها التعليم العربي. وبالتالي تكون هذه الإطارات المتخرجة منها وسيطا للترجمة والتعامل بين "الأهالي" والإدارة الاستعمارية، وهو ما يوضحه تقرير أنجزه "سولفت" بطلب من إدارة مدرسة الجزائر سنة 1846

¹ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص322. ج1، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص594.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الأول: الحالة العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850

يقول فيه: "إمداد الإدارة بمتربين ومساعدين مهرة ومتعلمين بما فيه الكفاية لمساعدتها في نظرتها وتسييرها للشؤون الإدارية والتطور والحضارة وفيما بعد الاندماج⁽¹⁾"

مرت هذه المدارس بمراحل ثلاثة يلخصها "أبو القاسم سعد الله" فيما يلي:

* **المرحلة الأولى:** تبدأ من "1830 وتنتهي في حدود العام 1850" والمرحلة الثانية من هذا التاريخ إلى سنة 1870، أما الثالثة فتبدأ من سنة 1870 إلى 1892 وهو التاريخ الذي صدرت فيه إصلاحات ستتطرق إليها لاحقا، والمرحلة الرابعة تبدأ من هذه السنة.

توصف المرحلة الأولى بالإهمال واللامبالاة من طرف الإدارة الفرنسية اتجاه تعليم الجزائريين، وهي الفترة الممتدة من "1830 إلى 1850" التي شهدت بداية الغزو والتوسع، والصدام المباشر مع المقاومة الوطنية مما أدى إلى القضاء على العديد من المدارس التي كانت تعج بهم "الجزائر" في بدايات الاحتلال الأولى بشهادة الفرنسيين أنفسهم.

* **المرحلة الثانية:** (1850-1870) أنشأت فيها الإدارة الاستعمارية 34 مدرسة، كلها كانت تلقن التلميذ مبادئ أولية بسيطة لا علاقة لها بالوظيفة ثم يرجع هذا التلميذ إلى بيته فارغا، بالرغم من أن هذه الفترة خدمت فيها المقاومة الوطنية، ودخل عهد التهدئة، بينما شهدت المرحلة الثالثة تغييرات، حيث ادخلوا العربية إلى جانب الفرنسية محاولين استدراج الجزائريين إلى هذا النوع من التعليم المزدوج، وفي النهاية أغلقوا هذه المدارس، متحججين بالمقاومات التي كانت تظهر من حين لآخر خاصة ثورة 1871⁽²⁾

* **المرحلة الثالثة:** (1870/1892) عرفت هذه المرحلة تغييرات مهمة في تاريخ المدرسة الكولونيالية، تضاف إلى فترات الظلام الأولى نظرا للعقوبات التي فرضتها الإدارة الاستعمارية على

¹ - بن تركية عبد الحكيم: التعليم الاستعماري في الجزائر (1830/1962) أهدافه، مراحل، نتائجه، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، ص 68.

² - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، المرجع السابق، ص 335-337.

الفصل الأول: الحالة العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850

الجزائريين بعد ثورة المقراني وإصدار ترسانة من المراسيم الرادعة منها "قانون الأهالي" أو "الانديجينات" ثم قانون "فارني" ونقصت المدارس إلى النصف، حيث بلغ عددها سنة 1882 (16 مدرسة)⁽¹⁾

بعد إخماد فرنسا للمقاومة الوطنية ممثلة في مقاومة "الأمير عبد القادر" في الغرب ومقاومة "أحمد باي" في الشرق أرادت أن تؤسس للمدرسة الكولونيالية، خاصة بعد أحداث قطيعة تاريخية لدى الأجيال التي عاشت فترة الغزو الفرنسي والبدايات الأولى للاحتلال حتى سنة (1850) تمكنت من خلالها على نحو كل مقومات التعليم العربي الإسلامي الذي كان ينتشر في كل الجزائر نهاية الحكم العثماني وبداية الاحتلال. وقد أردنا من خلال التعريف لهذه المراحل التي عددها "أبو القاسم سعد الله" التمهيد للسياسة الاستعمارية الفرنسية المتعلقة بتعليم الجزائريين من عدمه وهي التي ستنتقل مع بداية 1850 التي شهدت تحولا سياسيا في فرنسا بعد ثورات 1848 وقيام الجمهورية الثانية، التي ستتحول إلى إمبراطورية ناشئة. وهو حديثنا المفصل في الفصل الثاني.

المبحث الثالث: الوسائل والبرامج

أ- الوسائل: تقوم العملية التعليمية عادة على شروط يجب أن تتوفر حتى تستوفي الإطار العام الخاص بها ولنجاح هذه العملية تتوفر وسائل بشرية وأخرى مادية حتى تصل إلى الأهداف المتوخاة منها وللحديث على أهم الوسائل التي تكون شرطا أساسيا في نجاح حركة التعليم في الجزائر على العنصر المحوري في هذه العملية نذكر مايلي:

1- المعلمون: بحكم الحركة التعليمية النشيطة التي شهدتها الجزائر أيام وقبل وبعد الحملة الفرنسية، فقد كان القطر الجزائري يعج بنخبة كبيرة من المعلمين، وكان الطلبة يسافرون إلى المدارس والمدن التي يشتهر فيها معلمين ومدرسين، لأن الأولياء كان لهم جانب مهم في اختيار مؤدب أولادهم لذلك كانوا يبحثون عنهم شمالا وجنوبا.⁽²⁾

¹ - بن تركية عبد الحكيم: المرجع السابق، ص: 68.

² - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، المرجع السابق، ص: 323.

يتلقى المعلمون أجورهم في شكل هدايا وصدقات كالحلوى والملابس في المناسبات الدينية مثل شهر رمضان والعديد وعاشوراء ولعبت الأوقاف في أوقات كثيرة دورا عظيما يتجلى في شراء الزيت للإضاءة وتوفير الماء للطهارة، وأجرة الموظفين ونحوها من أمور ومستلزمات السكن، هذا وقد كان المعلمون يمارسون وظائف أخرى على غرار الإمامة والخطابة والقضاء والإفتاء وغيرها وهذا كله كان قد ساهم في تحسن وضعيتهم الاجتماعية، فأصبحوا ميسوري الحال وكانوا محل احترام الجميع.⁽¹⁾ ووصلت رواتبهم السنوية من الأوقاف بين 100 و200 فرنك، كما كان المؤدب يأخذ 30 فرنك عن كل طفل، إضافة إلى مداخيل المنح والوظائف الأخرى الممارسة في المسجد.⁽²⁾

2- الطلاب: تتراوح أعمار التلاميذ بين السادسة والعاشرة، يكون التلميذ في السنة الأخيرة قد أتم حفظ وختم القرآن مرة وأحيانا مرات وتعلم القراءة والكتابة والمبادئ الأولى للدين وبعضا من الحساب وقد كان عددهم كبير جدا دلالة على انتشار المقرئية. في أوساط الجماهير العامة وفي هذا الصدد نذكر أمثلة من حواضر الجزائر حيث كانت "تلمسان" تتوفر على 50 مدرسة يزاول بها 2000 تلميذ الدراسة بطريقة عادية من مجموع 12000 عدد سكان المدينة وهو رقم لا بأس به.⁽³⁾ وهو نفس المثال في مدينة "قسنطينة" التي وصل عدد تلاميذها إلى 1350 تلميذ، كما العدد ذاته في مدينة "الجزائر" وعملت هذه المدارس والكتاتيب على توفير الراحة للناشئة التي كانت تزاول تعليمها الأول خاصة فئة الذكور، أما الإناث فكان تعليمهن ضئيلا نوعا ما مقارنة بالذكور، وهذا لظروف حالت دون ذلك، عدا بعض العائلات الميسورة في بعض المدن الكبيرة التي كانت تجلب لبناتهن معلمين ومدرسين، تشرف عليهن نساء، وتسير كما مدارس الذكور، ويشمل التعليم القراءة والكتابة، وبعض من القرآن الكريم وقواعد الدين والسلوك العام.⁽⁴⁾ وكانت الكتاتيب هي الأساس للتعليم الابتدائي ويسمى أيضا "المسيد" أو "الجامع"، مخصص لتحفيظ القرآن الكريم

¹ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص: 31.

² - Emerit.M : L'état intellectuel et moral de L Algérie en 1830 in, in revue d'histoire moderne et contenporaine, juillet-septembre.1954.P 202-203.

³ - Ibid.P : 202.

⁴ - احمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، ط2 ندار المعارف، الجزائر، 1963، ص285.

الفصل الأول: الحالة العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850

وتعليم مبادئ القراءة والكتابة وقد شملت اغلب الأحياء في كل المدنوتحمل عادة اسم الحي السكني الواقع فيه.⁽¹⁾ ويذكر "وليام شالر" « William Shaler » أن البنات كان لهم جزء من التعليم، خاصة أبناء العائلات الميسورة، يدرسون في مدارس شبيهة بمدارس الذكور تشرف عليها نساء⁽²⁾

3- المكتبات: كانت الجزائر في العهد العثماني تزخر بالمخطوطات القيمة والنادرة، وكانت في الغالب ذات طابع ديني، جمعها الطلاب الرحالة من تنقلاتهم وزيارتهم العلمية من المشرق والمغرب والصحراء، وكذا في مواسم الحج المختلفة، فانتشرت المكتبات بشكل كبير في مدن عديدة في الجزائر منها تلمسان وقسنطينة وبجاية ومازونة.⁽³⁾

وحين احتل الفرنسيون الجزائر وجدوا كما هائلا من الكتب والمكتبات، فانددهشوا لكثرتها وراحوا يجمعونها، من المساجد والكتاتيب في كل المدن الجزائرية، والهدف واحد ومعروف، وكانت الكتب متنوعة، لتنوع المعارف التي كانت تدرس من نحو وبلاغة وتاريخ وحساب وفقه وتفسير وحديث وغيرها، إضافة إلى جمال شكلها إذ كانت مجلدة وفي أحسن حلة، وهذا دليل واضح على اهتمام الجزائريين بالكتاب والمكتبات، ودخولها إلى الجزائر كان من جميع المناطق، من المغرب العربي والأندلس وتركيا.⁽⁴⁾ وهو الشيء الذي انبهر به الفرنسيون حيث ذكرنا سابقا ذلك التقرير الذي كتبه "اليكس دي طوكفيل" الذي يذكر الكم الكبير للمدارس ودور العلم التي كانت تنتشر في عموم الجزائر، وما رافقها من مكتبات زاخرة بمصادر ومخطوطات لحقبت اسلامية ولت وانتهت.

كانت المكتبات في الجزائر جزءا من الأوقاف حيث تصنف إلى مكتبات عامة وخاصة، مفتوحة للطلاب ولجميع الناس، واشتهرت بعض العائلات بمكاتب ضخمة وهذا لغياب مكتبات رسمية

¹ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص: 277.

² - وليام شالر: مذكرات شالر (قنصل أمريكا في الجزائر) (1816/1824) ت، إسماعيل العربي، ش و ن ت، الجزائر 1982، ص: 82.

³ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص: 34.

⁴ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص: 290.

الفصل الأول: الحالة العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850

خاصة في العهد العثماني، باعتبار أن العثمانيين لم ينفقوا على التعليم والثقافة بل اغلبهم كان يعاني الأمية.⁽¹⁾

ويكفي انه حينما غزا المستعمر الفرنسي البلاد اندهش كما ذكرنا سالفا بالكم الهائل من المكتبات لذلك عمل على حرقها وتخريبها حتى يعم الجهل والأمية ومثالنا ما ذكره المؤرخون اثر محرقة مكتبة الأمير حيث قالوا: "أن الأمير أصابته نوبة من الحزن الشديد وهو يتبع آثار الطابور الفرنسي مسترشدا بالأوراق المبعثرة في الصحراء التي انتزعها الجنود الفرنسيون من الكتب التي عانى في جمعها."⁽²⁾

ب- البرامج: كان التعليم في المرحلة الابتدائية يقتصر على القراءة والكتابة، تمهيدا لحفظ القرآن الكريم، ثم تعليم المبادئ الأولية والأساسية للحساب، وبعدها مباشرة ينتقل التلميذ إلى المرحلة الثانوية، أما عن طرق التدريس فقد كانت بسيطة جدا، حيث كان يجلس المعلم إلى الجدار حاملا عصا للتأديب.⁽³⁾ ويجلس الأطفال حول المعلم في شكل نصف دائرة، يحملون ألواحاً من خشب، صالحة للكتابة والحو في آن واحد، يكتب عليها التلاميذ السور القرآنية ويشرحونها حتى يفهم معناها وهذا فالطرق التعليمية بسيطة بساطة التعليم ومواده العامة والمتنوعة، تراعي قدرات التلميذ على القراءة والكتابة.⁽⁴⁾ هو تعليم في برنامجه يبدو بسيطا لكنه يحتوي على مضامين ثمينة واهدافا تنويرية تُكوّن الفرد روحيا ودينيا، وتجعل منه سويا وصالحا.

أما عن النظام العام "للكتاب" أو المدرسة فهو صباحا ومساء، يعتمد في عمومه على الحفظ مباشرة، يسود الاحترام والامثال لمن هو أعلى مرتبة وسنا.⁽⁵⁾

¹ - عثمان الكعاك: محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن 16 إلى 19 م. معهد الدراسات العالية. 1958، ص: 78.

² - توكي رايح: التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1956/1931) ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981. ص 94.

³ - وليام شالر: المصدر السابق، ص 82

⁴ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 33.

⁵ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، المرجع السابق، ص: 334.

أما عن المرحلة العالية "الثانوي"، فهي من اختصاص المدرس نفسه، فهو الذي يضع البرامج الدراسية ويضبط أوقات الدراسة وما يميز هذه المرحلة هي الشرح المفصل والدقيق للدروس وهي نوعان: علوم عقلية وأخرى نقلية* (1) فالعلوم النقلية هي التي تتصل بالكتاب والسنة وتشمل: التفسير، الحديث، الفقه وأصوله. أما العقلية فتشمل القواعد والبلاغة والنطق والتوحيد والفلسفة والحساب والتاريخ.. (1) وكان عدد الطلبة يتراوح بين 600 و800 طالب في كل إقليم. (2)

لذلك اشتهر علماء الجزائر في سائر البلدان العربية وكان علماء المشرق يقدرون شهادات الطلبة الجزائريين أكبر تقدير، ويقبلون مباشرة في الأقسام العليا ويعترفون بإجازاتهم المقدمة من طرف مدارس زاوية شلاطة** () والهامل*** () وزاوية أبي داود**** ()، وهي زوايا تعليمية معروفة. (3)

وخلاصة هذا المبحثان التعليم العربي والاسلامي الذي كان سائدا في الجزائر كان منظما وهادفا بالرغم من بساطة هيكله فهو يؤدي اما في المساجد والجوامع او الزوايا، يحتوي على برامج ومناهج، متسلسلة تراعي سن التلميذ، تبدأ بالقراءة والكتابة وتثمر بحفظ القرآن، ثم تفسيره. والتدرج في علومه وفقه. كل هذا التعليم يقوم به معلمون يمثلون الصفوة من المجتمع تخرجوا اما من مدارس او زوايا او مختلف المعاهد الموجودة، وينفذ هذا التعليم بوسائل متنوعة تعين الطالب على فهم علومه والتبحر فيها، والتي منها المكاتب والكتب التي كانت تزخر بها الجزائر.

المبحث الرابع: البدايات الأولى للتعليم الأهلي:

* - سميت بالعقلية لأنها من فكر الإنسان، أما النقلية فهي إبداع الله، بمعنى أنها سماوية لا دخل للإنسان فيها. (ينظر تركي رابح: الشيخ عبد الحميد ابن باديس. رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، ط3، س.و.ن.ت. الجزائر، 1981، ص33.

¹ - تركي رابح: الشيخ ابن باديس... المرجع السابق، ص129

² - Marcel. Emirit :op-cit.P : 207.

** - زاوية شلاطة: تقع في منطقة القبائل بالقرب من مدينة أقبو ولاية بجاية، اشتهرت بالعلم والتعليم منذ تأسيسها.

*** زاوية الهامل: جنوب مدينة "بوسعادة" اشترنا إليها سابقا.

**** - زاوية أبي داود: أسسها سعيد بن أبي داود، في منطقة القبائل، مركز علمي للكثير من الطلبة الجزائريين، ازدهرت في القرن 13م.

³ - سعد الدين ابن أبي شنب: النهضة العربية في الجزائر في النصف الأول من القرن 14هـ، عدد1، مجلة كلية الآداب، 1964، ص:38.

الفصل الأول: الحالة العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850

لم تستطع فرنسا أن تفرض سيطرتها على جميع أنحاء الجزائر، وخاصة في قسنطينة، وهران والصحراء بفعل المقاومة المستميتة و هو العامل الذي جعل فرنسا تبحث عنه لإتمام كامل السيطرة على الجزائر، حيث راحت تتصل بشيوخ ورؤساء القبائل، عليها تجدد من يعترف لها بالسيادة على كل الأقاليم الجزائرية، لكن بالرغم من كل هذه المساعي إلا أن جهودها باءت بالفشل، بعد أن صمم الجزائريون مقاومة الاستعمار بكل أنواعه، حيث قاد الأمير مقاومته في غرب البلاد، وكان احمد باي(*) في الشرق، فاستمرت المقاومة الشعبية دون أن تفكر السلطات الاستعمارية في تعليم الجزائريين لانشغالها بالمقاومة المسلحة والقضاء عليها.⁽¹⁾ خلال هذه المدة التي اشتغلت فيها السلطات الاستعمارية بدحر المقاومة، لم تقم هذه الأخيرة بوضع خطة لنشر التعليم الفرنسي بين الجزائريين على الأقل، مع عدم تركهم يزاولون تعليمهم العربي الإسلامي الموروث، وبهذا يمكن القول أن هذه المرحلة من تاريخ الاستعمار في الجزائر افتقدت لسياسة تعليمية واضحة المعالم، في ظل تناقض تام حول تعليم الجزائريين من عدمه، حيث كان يرى البعض من الفرنسيين ضرورة تعليم الجزائريين وبالتالي كسبهم لصالح فرنسا وقطع الطريق أمام التعصب، أما غيرهم فكان يرى عكس ذلك⁽²⁾

مع بداية سنة 1844 شغلت مسألة تعليم الأطفال الجزائريين اهتمام المسؤولين، حيث أرادوا أن يندمجوا الشخصية الجزائرية بالعقلية الأوربية لخدمة الوجود الفرنسي في الجزائر وفي هذا الصدد يشير تقرير أعدته مصالح الولاية العامة حول التعليم جاء فيه "انه الآن وقد استتب الأمر لفرنسا بخضوع القبائل التي كانت تدين بالولاء للأمير عبد القادر يجب التفكير في المستقبل. فما دامت

*- احمد باي(1850/1786) هو احمد بن محمد الشريف بن احمد القلي، من عائلة ابن قانة احد اكبر مشايخ الصحراء مالا وجاها، تركي الأصل، ولد في قسنطينة وترى في الزيان حيث هربت به أمه بعد اغتيال أبيه، نشأ نشأة عربية أصيلة إذ حفظ القرآن وتعلم فنون القتال وتمرس في ركوب الخيل، تقلد عدة مناصب إدارية وعسكرية حتى عين بايا على بايلك الشرق في قسنطينة، قاد المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي في معركتي قسنطينة الأولى والثانية سنة 1837. استمر في المقاومة حتى سلم نفسه سنة 1848 أين فرضت عليه الإقامة الجبرية، توفي سنة 1850. (للمزيد أكثر ينظر: بوغزة بو ضرساية: الحاج احمد باي. رجل دولة ومقاوم. (1830/1826) دار الحكمة. الجزائر.)

¹ - جلال يحي: المرجع السابق، ص 101.

² - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 38.

الفصل الأول: الحالة العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850

فرنسا قد قررت الاستقرار في البلاد فانه يتحتم عليها تجاوز مرحلة التسيير اليومي للأمر وفق مستجداتها والقيام منذ الآن بغرس أشجار شابة والتي تستوجب انتظار عدة سنوات قبل أن تعطي ثمارها، فمن يريد محصولا وافرا عليه أن ينتقي بذورا جيدة ويحسن رعايتها.⁽¹⁾ وبناء على هذا التقرير تم إنشاء معهد خاص بالجزائريين لكن في باريس تدرس فيه كل المواد التي تدرس في فرنسا، وبعد مد وجزر انشأ في الجزائر والذي كان يهدف إللتخريج ضباط وموظفين في الإدارة العربية في الجزائر، لكن هذه المؤسسة بقيت فكرة مجردة لم تر النور ولم تظهر للواقع، وبقي المشروع مجرد حبر على ورق.⁽²⁾ وكان الهدف من ذلك إعادة تشكيل تركيبة جديدة للمجتمع الجزائري، من خلال تعليم فئة محدودة من الجزائريين وهو السبب الذي دفع بوزارة الحرب إلى رفض فكرة "ليون روش" التي ذكرناها سابقا والتي احتوت على تأسيس معهد عربي فرنسي الذي لو قدر له النجاح لأسس لنهضة تعليمية وثقافية في البلاد تشبه تلك التي حدثت في مصر وتونس قبل إعلان الحماية عليهما.⁽³⁾ كما أن السلطات الفرنسية إذا كانت قد أسست بعض المدارس، لم يلتحق بها كل الجزائريين خوفا من انتشار التعليم الذي ربما قد يهدد مصالح فرنسا الاستعمارية، فوجهت هذه المدارس إلى الجهات التي تثق فيهم وهي نتاجها من عملاء ومن خدم إدارتها في الجزائر، وبهذا لم يمس التعليم كل اقاليم الجزائر ولم يطبق التعليم الإلجباري.⁽⁴⁾

ولوصف الحالة التعليمية التي كان عليها الجزائريون في هذه الفترة المعروفة بمرحلة المقاومة الشعبية يكفي أن نضع بين أيدي القارئ شهادة احدهم وهو: مدير شؤون الجزائر سنة 1850 السيد "دوماس" الذي قال: "كان التعليم الإبتدائي أكثر انتشارا في الجزائر مما نعتقد عموما، وقد أظهرت علاقتنا مع أهالي المقاطعات الثلاث أن متوسط عدد الأشخاص من جنس الذكور الذين يعرفون القراءة والكتابة يساوي علالأقل المتوسط الذي أعطته الإحصائيات على أريافنا... فهناك

¹ - جمال قنان: المرجع السابق، ص: 25.

² - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص: 37.

³ - جمال قنان: المرجع السابق، ص: 37.

⁴ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص: 49.

الفصل الأول: الحالة العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850

حوالي 40٪. من دون شك، لكن إن لم يكن جميع الأطفال قد تعلموا القراءة والكتابة، فإنهم قد ذهبوا جميعا للبحار وكانوا يستطيعون الاستظهار الأدعية."، لقد كان لجميع القبائل والإحياء الحضرية معلم مدرسة قبل الاحتلال الفرنسي، وقدر "دوماس" عدد التلاميذ الذين يزاولون الدراسة في كل مقاطعة ب "2000" أو "3000" ومن "600" إلى "800" ممن يزاولون التعليم في القانون والدين. (1)

يكفي القول ان الفرنسيين انفسهم اعترفوا بالواقع التعليمي الجيد السائد في الجزائر ايام الحملة العسكرية وحتى العشرين سنة الاولى من عمر الاستعمار، لذلك سعت سلطات الاحتلال الى السيطرة عسكريا على الارض وذلك بالتصدي لأعنف المقاومات الشعبية في البلاد حتى يتسنى لها فرض سياستها الاجتماعية لاحتواء الجزائريين، وهو ما جعلها تحمل فكرة التعليم نهائيا حتى يسهل عليها تمرير سياساتها الكولونيالية قصد محو الوسط والروح لهذه الامة العربية الاسلامية.

المبحث الخامس: السياسات العامة للتعليم الأهلي الفرنسي:

نتيجة لانعدام الأمن والاستقرار في الجزائر منذ البداية، انعدم التعليم الأهلي الفرنسي في البلاد، نتيجة المقاومة الشرسة التي تعرض لها الاستعمار في بداياته الأولى، مما أدى إلى طرح فكرة التعليم جانبا لانشغالها بإخضاع الشعب الجزائري، وبالمقابل فتحت المدارس الحكومية لأبناء الأوربيين، والوفود الأولى التي حلت بالجزائر، ففي نهاية 1831 فتحت لهم ثلاث مدارس واحدة منهم للبنات، وفي سنة 1833 فتحت مدرستان سميت بمدارس التعليم المتبادل واحدة في وهران والثانية في عنابة، أما بخصوص الجزائريين فقد أنشأت أول مدرسة ابتدائية سميت بالمدرسة العربية الفرنسية، في الجزائر خاصة بالذكر، غرضها تقريب الجزائريين بهدف دمجهم لاحقا واحتوت

(1) turin.y.op.cit.P.135.

الفصل الأول: الحالة العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850

على 60 تلميذا من أبناء الموظفين لدى الحكومة، يشرف عليهم معلمان واحد فرنسي والآخر جزائري.⁽¹⁾

في سنة 1837 فتحت أول مدرسة للكبار باللغة الفرنسية قصد تمكينهم من العمل في الإدارة الفرنسية وفي سنة 1845 تأسست أول مدرسة للإناث، ومع حلول 1844 وهي السنة التي بدأت فيها الإدارة الفرنسية التفكير في تعليم الجزائريين، وأصبح عدد التلاميذ سبعة مقابل 100 من الأوربيين وهو عدد لا يمكن أن يقارن تماما، وحتى سنة 1848 كان التعليم العربي تابعا لوزارة الحربية وهو أمر غير منطقي إطلاقا، بالمقابل إدارة التعليم في المدارس الأوربية تتبع لوزارة التربية والتعليم في فرنسا.⁽²⁾

وهكذا تم محاصرة التعليم العربي الإسلامي والتضييق عليه ومحاولة توجيهه والسيطرة عليه وتم إنشاء المدارس الابتدائية في أماكن استيطان الأوربيين، حيث فتحت في "وهران" سنة 1838 أربع مدارس ابتدائية وخمسة في "عنابة".⁽³⁾

وفي سنة 1848 تأسست "أكاديمية الجزائريين" هيئة تشرف على التعليم تشبه "مديرية التربية والتعليم" يرأسها مدير عام ويساعده نائبان، ثم تأسست بعد ذلك مفتشية التعليم الابتدائي. وكان الهدف من هذه السياسة التعليمية هو القضاء على الثقافة الوطنية ومحاولة نشر التعليم الفرنسي في حدود ضيقة، ولدى فئة معينة من كبار الموظفين في الإدارة الفرنسية في الجزائر والغرض الأكبر هو تحويل المجتمع الجزائري إلى مجتمع فرنسي وإحاقه والقضاء على هويته، وأصوله حتى يتسنى السيطرة الكاملة على البلاد، لأن الجزائر كانت تعني الكثير للفرنسيين حيث كانوا يرون فيها امتدادا للجنوب الفرنسي عكس المستعمرات الأخرى فيما وراء البحار وهو الجانب الذي ركزت عليه المدرسة الفرنسية كثيرا، فانتهجت بذلك سياسة الفرنسة أسلوبا والإدماج غاية، حتى تصل إلى

¹- Poulard M : **L'enseignement pour Les indigènes en Algérie.** Paris : 1910 .P 68.

²- عبد القادر حلوش: المرجع السابق: ص 39.

³- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، المرجع السابق، ص 298.

الفصل الأول: الحالة العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850
أهدافها الاستيطانية.⁽¹⁾ وهو السبيل الذي جسده في المدرسة لأنه الأجمع في تحقيق هذه السياسة بدعوى نشر الثقافة والحضارة المزعومة ومحاربة الأمية والجهل في أوساط الجزائريين قصد تمدينهم كما كانت تدعيوفي هذا يقول الدوق "دومال" « Domal »^(*):

"أن بناء مدرسة أحسن وأفضل من فيلق عسكري لإقرار الأمن. لان ذلك سيجعلهم عرضة لتأثير رجال الدين والمعلمين الجزائريين الذين يكونون الحقد للإدارة الفرنسية وينشرون أفكاراً"⁽²⁾

وفي 06 اوت 1850 أصدرت الإدارة الفرنسية مرسوما يقضي بإنشاء ستة مدارس ابتدائية عربية فرنسية في العاصمة، وهران، قسنطينة وعنابة وبليدة و مستغانم لتعليم اللغتين العربية والفرنسية معا، يشرف عليها مدرسين فرنسيين يحملون شهادة الكفاءة لتعليم اللغة العربية بمساعدة من بعض الجزائريين وهذا كله لأجل تثبيت سياسة التعليم المزدوج الذي طالما رفضه المستوطنون.⁽³⁾

المبحث السادس: أهدافه ووسائله:

أ- أهدافه:

سطرت فرنسا من خلال سياستها التعليمية جملة من الأهداف التي عملت عليها من خلال بناء مدارس لتكوين فئة من الموظفين في الإدارة الفرنسية بمختلف التخصصات والتصدي للتعليم العربي الحر الموازي وذلك بهدف ربط الأجيال بفرنسا وتجريدها من هويتها وسلخمقوماتها وقد بين الدوق "دومال" انه يكون أي التعليم اقل عداءً للاحتلال الفرنسي وقال أيضا كما ذكرنا سابقا أن

¹ - عبد القادر جلوش: المرجع السابق، ص 40.

* - "الدوق دومال" « Domal » ابن الملك لويس فيليب ولد في جانفي 1822 بباريس، عمل كضابط بالجزائر سنة 1840. هاجم عاصمة الأمير "الزماله" في 16 ماي 1843 وحطمها، عين قائدا عسكريا لمنطقة قسنطينة في نوفمبر 1843 ثم حاكما عاما للجزائر في 11 سبتمبر 1847 وبعد الإطاحة بحكم أبيه سنة 1848 غادر الجزائر في اتجاه جبل طارق. (للمزيد أكثر ينظر، ابو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، ج 1، ص 267).

² turin.y.op.cit.P : 108.

³ -Ibid.P : 218

الفصل الأول: الحالة العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850
إقامة مدرسة بين الجزائريين أحسن وأفضل من كتيبة عسكرية لغرض الأمن والتغلغل داخل الجزائر وهي النظرية التي سماها "ضمان توجيه الأفكار"⁽¹⁾

لجأ الفرنسيون لإنشاء المدارس الخاصة، لكن الجزائريين لم يستجيبوا إليها، لأنهم رأوا فيها حيلة توقع أبناءهم في الفرنسة والإدماج فيما بعد، كما يقول "ميرانت": "أن الهدف كان محو التعصب الديني والكراهية عن طريق التعليم بالفرنسية والحضارة والتقدم، وذلك لا يكون إلا بإحداث لغة مشتركة في الجيل الصاعد وتقريبه من الفرنسيين بتبنيه نفس الأفكار ونفس المصالح."⁽²⁾ والهدف الحقيقي كما صرح به السيد "فليمان" « Fléman » رئيس مكتب الشؤون السياسية في باريس عام 1846 إذ يقول: "إن الداعي لكل هذه الجهود هو إعداد رجال يساعدوننا من خلال نشاطهم مع المواطنين من بني جلدتهم على تغيير المجتمع العربي وفقا لمتطلبات حضارتنا."⁽³⁾

كانت الإدارة الفرنسية تطلق اسم "مدارس أطفال الأعيان" وهو اسم أطلق على المدارس التي أقامتها خصيصا للجزائريين وهي لأبناء الموظفين والعائلات النافذة، الموالية للاستعمار، واستثنت بذلك أبناء العامة من الشعب الجزائري، وظلت هكذا تطبق هذه السياسة سواء في فترة الإمبراطورية أو الجمهورية لذلك فالتعليم هذا الذي أرادت أن تلقنه للأطفال الجزائريين هدفه إقناعهم أن الاحتلال ضروري لا مجال لمحاربه أو مقاومته.⁽⁴⁾

وبالتالي مساعدة الاستعمار في القضاء على جيوب المقاومة بقتل روح المقاومة، وخلق جيل جديد يلعب دور الوسيط بين المستعمر و الجزائريين إضافة لإحداث تغيير جذري في بنية المجتمع

¹ - Poulard .M : op-cit, P : 87

² - ابوالقاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص:330

³ - turin.y.op.cit.P :80

⁴ - عبدالقادر حلوش: المرجع السابق، ص:41.

الفصل الأول: الحالة العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850

الجزائري لتكوين ناشئة جديدة متأثرة بالثقافة الأوربية ومنسلخة عن ماضيها والهدف المهم هو قتل تعاليم الإسلام في قلوب هذه الأجيال⁽¹⁾

فكرت فرنسا في إيجاد تعليم بديل عن التعليم العام الذي يبي المعارف ويعزز الثوابت والهوية، حيث أنشأت التعليم الصناعي "المهني" الذي يوجه من خلاله التلاميذ إلى الأعمال اليدوية فتشكلت لجنة سنة 1849 لتأليف بعض الكتب بالفرنسية وترجمتها إلى العربية لتوجيه الأطفال الجزائريين نحو الأعمال اليدوية والمهنية، خدمة للصالح الفرنسي.⁽²⁾

أبقت الإدارة الفرنسية على هذا الإهمال الكلي لتعليم الجزائريين، وهو الهدف الذي كشف عنه وزير الحربية الفرنسي حين كتب إلى الحاكم العام "فاليه" « Valée » يخبره بان الهدف ليس ترك الأطفال الجزائريين يتعلمون على طريقتهم وفي مدارسهم، ولكن تحويلهم إلى دعاة للحضارة الفرنسية عن طريق آبائهم، حيث كان الوزير ينوي إقامة مدرسة في فرنسا تستقبل أبناء أعيان الجزائر وبالتالي تربيتهم وتعليمهم على الطريقة الفرنسية، حتى إذا رجعوا فيما بعد لذويهم أثروا فيهم، وكان هذا بعد احتلال مدينة قسنطينة وهي مراسلة بتاريخ "20 ديسمبر 1837" التي جاء فيها "إن هدف الحكومة هو جعل العرب يقدرون الفوائد التي تنجر إليهم من تعلم حضارتنا، بجمع أطفالهم وإرسالهم إما إلى الجزائر العاصمة أو فرنسا، وبعدها سيعودون إلى أصولهم بمعارف قد تبهروهم، حينها سينبهرون بحضارتنا ويخدمون قضيتنا."⁽³⁾

ب- وسائله:

حاول الفرنسيون استمالة النخبة المثقفة الجزائرية لكسبهم والتأثير على العامة من الشعب الجزائري وتمييزهم عن باقي الفئات الأخرى لجعلهم أداة يمجدون من خلالها فرنسا

¹ - رضوان الشريف: الخرافة القبائلية في الفكر الاستعماري بالجزائر، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 10، 1997، ص: 207.

² - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 41.

³ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، المرجع السابق، ص: 332.

الفصل الأول: الحالة العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850

وعظمتها، فظهرت بذلك فكرة إرسال أبناء العائلات الجزائرية النافذة كما اشرفنا سابقا حينما كتب وزير الحربية الفرنسي إلى الحاكم العام في الجزائر "فاليه" « Valée » (*) حيث قال له: "إنها الوسيلة الناجحة حتى نجذب العرب منافع حضارتنا." وهي بذلك سياسة استعمارية هدفها إرسال هؤلاء التلاميذ كطلّاع أولى لنشر الفكر الغربي في الجزائر".⁽¹⁾

وبعد ثورات 1848 التي حدثت في أوروبا تحول النظام في فرنسا فأصبح جمهورية، وبالتالي ميلاد سياسة جديدة وهي ضرورة دمج الجزائر في فرنسا، فتم بذلك مزج المصالح الإدارية والتشريعية والمالية في مثيلاتها بفرنسا، لا اعتبار أن الإدارة الفرنسية حملت شعار الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا وكان من آثار هذه السياسة الجديدة إلحاق التعليم لأوربي في الجزائر بوزارة المعارف العمومية خلفا لوزارة الحربية، لذلك تم إنشاء "أكاديمية" للإشراف على التعليم الفرنسي في الجزائر، أما الأهلبيو الإسلامي فبقي على حاله.⁽²⁾

في 11/05/1839 صدر قرار ملكي بتأسيس معهد خاص للعرب في باريس، لكن الفكرة قتلت في مهدها لمواجهة بعض الفرنسيين وعزوف الأهالي عن إرسال أبنائهم من جهة أخرى، لكن الجنرال "بيجو" (*) كان من أنصار هذه الفكرة الهادفة لتعليم أقلية من الجزائريين تعين لخدمة الإدارة الفرنسية والقضاء على الهوية والكيان الجزائري، لكنه تخلى عن الفكرة لاحقا لصعوبة تنفيذها، إلا أنه

* سيليفان شارل فاليه: Sylvain Charles Vallée - (1841/1837) ولد في "بريان لوشاتو" بتاريخ 17/12/1773 حريج مدرسة المدفعية برتبة ملازم سنة 1793 تقلد رتبا عسكرية متعددة حيث رقي إلى رتبة نقيب سنة 1795 ثم مقدم سنة 1804 ثم رقي رتبة جنرال في 28/07/1809 ثم إلى رتبة مارشال في 11/11/1837 ثم عين حاكم عام للجزائر بين 1837 إلى 1841 ثم عاد إلى فرنسا أين توفي فيها عام 1846. (ينظر، كمال خليل: المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر - التأسيس والتطور - (1951/1850) رسالة ماجستير في التاريخ المغربي المعاصر، جامعة قسنطينة 2007-2008، ص 43.

1- عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص: 42.

2- ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص 284-285.

* - بيجو: « Bugeaud » هو توماس ريبير بيجو، Tomas Rober Bugeaud المعروف بالدوق دي زلي، ولد في 15 أكتوبر 1874 ب: ليمونج، ومات في باريس بوباء الكوليرا في 10 جوان 1849، رقي إلى رتبة مارشال في 31 جويلية 1843 تولى الحكم في الجزائر بداية من 1840 تميزت سياسته في الجزائر ب: -لقهر والعنف والإبادة والتهجير والنفي في إطار الحرب الشاملة التي طبقها في الجزائر، وسياسة الاندماج. (للمزيد ينظر عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962. دار الغرب الاسلامي. ط2. الجزائر 2005.)

الفصل الأول: الحالة العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850

عمل بفكرة مترجمه "ليون روش" وهي دمج الجزائريين في المجتمع الفرنسي وخاصة أبناء الأعيان منهم حتى يتسنى لهم التغلغل في أوساط المجتمع الجزائري، وبالتالي التعرف على عاداتهم وأسلوب حياتهم⁽¹⁾

في سنة 1842 كتب الجنرال "بيجو" « Bugeaud » إلى وزير الحربية الفرنسي يخبره بفشل فكرة إرسال أبناء العرب إلى هذا المعهد والذي لم يستطيع أن يعثر على زعيم جزائري في إقليم قسنطينة يقبل بهذه الفكرة، حيث أجاب احد أعيان الجزائر عن الجنرال "بيجو" قوله مايلي: "يكفي أن أطفالنا يعرفون الصلاة وأداء الزكاة وركوب الخيل واستعمال الأسلحة" وبهذا رفض الجزائريون هذا الاقتراح الفاشل القاضي بسلخ هويتهم ومعتقدهم ولم يبق في هذا المعهد سوتلميزين فقط في سنة 1846/1847 فألغي المعهد و فشلت بذلك سياسة فرنسا في هذه الفترة.⁽²⁾

¹ - سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص: 312..

² - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص42.

خاتمة الفصل:

ختاما لهذا الفصل الذي حاولنا من خلال ما توفر لنا من معلومات واحداث تاريخية رصد الواقع التعليمي في الجزائر في العشرين سنة الاولى من عمر الاستعمار الفرنسي في الجزائر اذ لاحظنا ان الادارة الاستعمارية اكنفت في هذه الفترة بالقوة العسكرية لاجل السيطرة على كل اقاليم الجزائر فتصدت لمقاومتي الامير واحمد باي، واهملت الجوانب الاخرى المتعلقة بحياة الفرد الجزائري بل لاحقته في معيشته ورزقه ثم زحفت على ثقافته وشخصيته بان استولت على دور العبادة وهدمتها واغلقت المدارس وحرابت الاوقاف وشردت المعلمين والعلماء ضاربة بذلك كل الاعراف الانسانية. لذلك تاخر ميلاد الحركة التعليمية الفرنسية في الجزائر، ولم تكن سوى بعض المحاولات المحتشمة في عواصم الاقاليم الجزائرية والتي اقتصرت على قلة قليلة من ابناء العائلات المعاونة للاستعمار. حيث اسست لمدارس خاصة بالتعليم الاهلي الذي يفتقد لكل مسمياته. والذي اقتصر على تخريج بعض الموظفين ذوي مستوى محدود لا يعد ان يجسد دور الوسيط بين الادارة الاستعمارية والجزائريين.

الفصل الثاني:

التعليم الأهلي الفرنسي في

الجزائر 1850/1870

الفصل الثاني: التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر 1850/1870

المبحث الأول: نشأة المدارس العربية الفرنسية.

المبحث الثاني: ظهور المعاهد العربية الفرنسية.

المبحث الثالث: المدارس الإسلامية الحكومية.

المبحث الرابع: الأهداف العامة لهذه المدارس.

المبحث الخامس: المناهج والمقررات.

الفصل الثاني: التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر 1870/1850

مع مطلع سنة 1850 حدث تغيير في نظام الحكم الفرنسي، حيث رجعت الإمبراطورية من جديد، التي قررت تنظيم تعليم الجزائريين حتى تتحكم في مصير التعليم والثقافة في الجزائر، وذلك لحاجة الإدارة الاستعمارية إلى موظفين في شؤون المجتمع، تصنعهم على الطريقة التي تريدها وتنشدها، ويكمن دورهم في تولي مناصب الإفتاء والقضاء والتدريس والترجمة في الخدمات والإدارة الفرنسية بالإضافة إلى مهام الإمامة في المساجد الرسمية والحكومية وذلك حتى تحدث القطيعة بين المجتمع ورجال الدين خريجي المدارس الإسلامية والمساجد والذين طالما كانوا يتزعمون المقاومات والثورات الشعبية.⁽¹⁾

شهدت المرحلة الممتدة بين (1870/1850) مبادرات نوعية في مجال التعليم الأهلي، ففيها تم التأسيس لمنظومة التعليم الأهلي للمستوى الابتدائي حيث تم فتح مدارس حكومية سميت "المدارس العربية الفرنسية، وعلى إثرها تم إنشاء المدارس الإسلامية الثلاثة لتخريج أعوان القضاء الإسلامي وموظفي الشؤون الدينية، إضافة إلى إنشاء معهدين ثانويين في مدينتي الجزائر وقسنطينة⁽²⁾

كان أول دخول رسمي لأطفال الجزائريين بمدارس الفرنسيين في سبتمبر 1847 وتحديدًا في مدرسة عنابة التي اشرفنا إليها سالفاً، وفي هذا الشأن تذكر جريدة المبعثر^{*} () في عدد يوم

30 سبتمبر 1847 انه تم قبول 120 طفل جزائري في المدرسة الفرنسية الكائنة بمدينة عنابة وحوالي 70 تلميذاً بمدرسة قسنطينة وهم أبناء العائلات المتنفذة الخادمة للاستعمار⁽³⁾ كما بادرت

¹ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 50.

² - جمال قنان: المقال السابق، ص: 32.

^{*} - جريدة حكومية رسمية ناطقة باللغة العربية، تصدر عن الإدارة الاستعمارية، صدرت أول مرة سنة 1847. (ينظر: كمال خليل: المرجع السابق، ص 92.

³ - المبعثر: عدد (30 سبتمبر 1847)، ص: 319.

الإدارة الاستعمارية في سنة 1849 عن طريق جريدة المبشر التي كانت تصدرها لأجل تميم الرأي العام في الجزائر في عدد 15 أوت 1849 إذ تأثرت بحالة التعليم في الجزائر الذي أصبح مهملاً إلى حد كبير وقد حاولت بذلك هذه الجريدة كما اشرنا سابقاً إلى تغليب الرأي العام الجزائري، لتبرير السياسة المنتهجة من طرف الإدارة الاستعمارية، حيث قالت: "...وكان سبب زوال التعليم بهذه البلاد غفلة الدولة السالفة." (1) كما أرجعت سبب تأخر السلطات الفرنسية في مباشرة التعليم إلى كثرة الحروب في الأيالة على حد زعمها وبعد استتباب الأمن في البلاد وبسط السيادة الفرنسية كتبت جريدة المبشر في مقال آخر: "لهذا فان السلطات الفرنسية ستشرع في بناء المدارس بكل العمالات لأبناء المسلمين الذين تخرجوا من الزوايا والمساييد ليواصلوا فيها تعليمهم في الفقه والدين والأدب والحساب وغير ذلك وبعد تحصيلهم هذه العلوم يشتغلون في الوظائف المخزنية أو الشرعية على حساب العلم الذي تعلموه." وبهذا باشرت الإدارة الاستعمارية في تطبيق أولى سياساتها حيث تم تعيين مفتشين من طرف وزارة الحرب الأول مكلف بالتعليم العام والآخر بالمدارس الابتدائية تحت إشراف الوالي العام. (2)

وبالرغم من صدور بعض المراسيم المنظمة للتعليم الأهلي في عهد الجمهورية الثانية (1848/1952) (*) إلا انه ظل ضعيفاً ولم ينتشر بسرعة، فالمرسوم الأول كان في 14 جويلية 1850 وهو الذي نص على فكرة المدارس العربية الفرنسية، أما المرسوم الثاني فكان في 30 سبتمبر 1850 ونص على تأسيس "المدارس العربية الإسلامية" أو الشرعية.

ينص المرسوم الأول على إنشاء المدارس العربية الفرنسية و الذي أصدرها المارشال "رندون" « Randon » وزير الحرب الفرنسي، حيث بموجبه يتم تأسيس

¹ - المبشر: عدد 15 أوت 1849. ص 320.

² - عبد الحميد زوزو: المرجع السابق. ص: 214.

* - الجمهورية الثانية: "1848/1852" هو النظام السياسي الجمهوري الذي قام في فرنسا في الفترة الممتدة بين 25 فيفري 1848 و 02

ديسمبر 1851 حينما تم انتخاب لويس نابليون بونابرت رئيساً له، وهذا الأخير الذين أعلن الانقلاب مرة أخرى على طريقة أبيه سابقاً ونصب

نفسه إمبراطوراً على فرنسا لتبدأ مرحلة الإمبراطورية من جديد في بداسة 1852. (ينظر، شارل روبرج، المراجع السابق. ص:)

عشر (10) مدارس عربية فرنسية، ست (6) للذكور وأربع (4) للإناث في كل من "العاصمة ووهران وقسنطينة ومستغانم وبليدة" وتدرس هذه المدارس اللغة العربية والفرنسية والحساب باللغة الفرنسية، كما ينص المرسوم على إعطاء ثلاث شهادات كفاءة لتلاميذ هذه المدارس، وتتألف من ثلاثة أنواع وهي:

- 1- شهادة من الدرجة الثالثة للذين يتكلمون اللغة الفرنسية.
- 2- شهادة من الدرجة الثانية للذين يتكلمون ويقرؤون اللغة الفرنسية.
- 3- شهادة من الدرجة الأولى للذين يتكلمون ويقرؤون اللغة الفرنسية مع معرفة الحساب والتاريخ والجغرافية⁽¹⁾

صدرت هذه المراسيم تباعا في العهد الجمهوري، لكنها ظلت حبرا على ورق، لان الواقع لا يعكس تماما محتواها وتم محاصرة التعليم العربي الحر والتأسيس لنوع آخر من التعليم سمي التعليم التبشيري لعب فيه الكاردينال "لافيجري" « Lavigerie »^{*} دورا كبيرا والغرض منه تمسيح وتنصير الأطفال الجزائريين وخصت منطقة القبائل بهذا النوع لأسباب خاصة سنشرحها لاحقا، وقد بقيت جماهير الجزائريين دون تعليم عدا بعض الأرقام البسيطة، إذ نسجل ما يقارب (53) مدرسة تأسست قبل سنة 1852 بنسبة لا تتعدى 1.1%⁽²⁾.

والملاحظ على هذه الفترة من خلال المصادر والمراجع التاريخية أنها مرحلة اصدت فيها الادارة الاستعمارية حزمة من المراسيم والقوانين المنظمة للتعليم الاهلي، لكن الغرض منها كان اغرائي اكثر

¹ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 51.

^{*} - لافيجري « charles martial lavigerie » من مواليد 1825 في بايون بفرنسا، انتقل إلى الشام أين تعلم العربية واهتم بعادات وتقاليد المجتمع العربي، عاصر أزمة 1860 بين الموارنة والدروز، ثم رجع إلى فرنسا وبعدها جاء إلى الجزائر مستغلا الوضع العام، لينشر مشروعه التبشيري الذي عرف به. (للمزيد أكثر ينظر: ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، (1830/1954) عالم المعرفة، ط. خ، ص 119.

² - رابح دبي: السياسة التعليمية الفرنسية ودور جمعية العلماء المسلمين في الرد عليها (1830/1962) أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم التربية، قسم علم النفس وعلوم التربية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2012/2013. ص 47.

منه واقعي خاصة بعد القضاء على اشرس المقاومات، اذا اراد الساسة والعسكر الفرنسيون تجميع المجتمع الجزائري بانشائهم لمؤسسات تعليمية فاقدة لشرعيتها، وهو ما تكشف عليه السنوات الاتية.

المبحث الأول: نشأة المدارس العربية الفرنسية:

يعود تاريخ تأسيس هذه المدارس إلى سنة 1850 حيث أصدرت الجمهورية الثانية مجموعة من المراسيم والتي تم تطبيقها فيما بعد بمجيء الإمبراطورية التي عملت على تنظيمها ونشرها بهدف السيطرة على الجزائريين بالمدرسة فكانت أهدافها سياسية بحتة التي عبر عنها الفرنسيون ب: "إن الغرض من نشر التعليم الفرنسي للجزائريين عن طريق المدارس المختلطة العربية-الفرنسية، هو القضاء على المدارس العربية الخاصة والحرّة" وقد عملت الإدارة الاستعمارية على وضعها تحت إشراف البلديات بتسييرها ماليا الشيء الذي قلص من فرص نجاحها بعد المعارضة الشرسة من المستوطنين الأوربيين الذين كرسوا جهدهم لأجل سياسة التجهيل وبالتالي التحكم في الجزائريين فكانت بذلك أولى التجارب التعليمية الفاشلة الفرنسية اتجاه الجزائريين وظلت هذه المدارس تنعدم للفاعلية، حتى بعد ما أصبحت من اختصاص المناطق المدنية، التي يقطنها الأوربيون بكثافة وبعد سنة 1861 توقفت البلديات عن دفع الأجور⁽¹⁾

كانت المؤسسات جاهزة لإعطاء دفع جديد للحركة التعليمية، لكن الظروف والأسباب التي ذكرناها سابقا حالت دون ذلك، حيث جسدها قرار "11 ماي 1865" الذي قرر تكليف البلديات المكتملة الوظائف بتحمل الأعباء المالية المرتبطة بصيانة ومراقبة المدارس الأهلية، أما النوع الثاني من هذه المدارس والتي كان تحت إشراف المناطق العسكرية فاستمر في التعليم ولو بوتيرة منخفضة لان مصاريفها كانت تسدد من الضرائب المفروضة على سكان هذه المناطق.⁽²⁾ ولم يطبق في هذه المدارس إجبارية التعليم، إلا على مدارس منطقة القبائل وتحديدًا "تيزي وزو" نظرا

¹ - Poulard.M :.op.cit.P ;94

² - شارل ربيز اجرون: المسلمون الجزائريون وفرنسا. المرجع السابق. ص: 587.

لعوامل متنوعة أراد المستعمر أن يوظفها لأجل فصل هذه المنطقة عن الجزائر لأنهم كانوا يرون أنها تختلف في ثقافتها عن باقي المناطق الأخرى.

الجدول (2): توزيع المدارس الثمانية عشر (18) في الجزائر.

الجزائر	قسنطينة	وهران
مدرسة تيزي وزو (77 تلميذ أهلي)	مدرسة تبسة (46 تلميذ أهلي)	لم توجد أي مدرسة في
مدرسة الاربعاء ناثي راثن (43 /)	مدرسة التل (15 تلميذ أهلي)	عمالة وهران حتى سنة
مدرسة بني منصور (24 تلميذ أهلي)	مدرسة عين البيضاء (54 ت ا)	1865 حين تحصلت
مدرسة الاغواط (30 /)	مدرسة طاكيتونت (17 ت ا)	على
مدرسة العطاف (25 ت أهلي)	مدرسة ب بوغريبرج (21 ت ا)	البعض منها ⁽¹⁾
مدرسة جنديل (42 ت أهلي)	مدرسة بوسعادة (60 ت ا)	
مدرسة بني زقرون (33 ت أهلي)	مدرسة باتنة (36 تلميذ ا)	
مدرسة توكنن (44 ت أهلي)	مدرسة بسكرة (44 ت ا)	

الملاحظ على هذه المدارس أنها لم تمس كل مناطق التراب الجزائري وبالرغم من هذه الأعداد المحتشمة إلا أنها ضعفت فيما بعد حينما تخلت سلطة البلديات المدنية عن تمويلها. إن فشل هذه المدارس يرجع إلفرض الجزائريين الالتحاق بها، لكونها إدماجية أكثر منها تعليمية تهدف إلى ربط الناشئة بالأمة الأوربية، بالرغم من تقديمها تعليما دينيا ومجانيا في نفس الوقت، إذ اعتبروها صورة هزلية للمدرسة القرآنية، لان مدرسيها كانوا فرنسيين دينيين أهدافهم واضحة، فهجرت تماما، حينها

¹ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 56.

أصدرت الحكومة العامة مرسوما في 1859 يقضي بتحديد عدد الكتاتيب، لأجل عرقلة نشاط التعليم العربي الحر.⁽¹⁾

كانت هذه المدارس تسير من طرف معلمين رهبان، الشيء الذي أدى إلى هجرانها والتالي تخوف الجزائريين على مصير أبنائهم حال دون أن تحقق هذه الأخيرة أهدافها التي كانت تصبوا إليها، وقد بذلت الإدارة الاستعمارية قصارى جهدها، لإنجاح هذه العملية وفي هذا الصدد وجه الحاكم العام الكثير من التوبيخات لرؤساء البلديات المكتملة الوظائف، موضحا لهم أن انصهار الأجناس يعتبر من بين الأولويات الكبيرة بالنسبة للحكومة، وأن تحقيق ذلك الهدف مهمة تتكفل بها المدارس البلدية، وأن على المدارس أن تستقبل جميع أطفال البلدية دون تمييز لا عرقي ولا ديني، لكن وبالرغم من كل هذه الإجراءات إلا أن هذا التعليم لم ير النور، حيث انتهى به المطاف سنة 1869 إلى الزوال تماما، عدا المدارس (36) التي كانت تحت السلطة العسكرية.⁽²⁾

كما حددت الأكاديمية عددا من الكتب* في كل مادة مقررة حسب البرامج التي سطرت لهذه المدارس فقد شملت اللغة العربية والفرنسية والحساب بنظام الموازين والمقاييس والمكاييل، إلى

¹ -Poulard.M.op.cit.P ;90-91.

² - شارل روبر اجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة... المرجع السابق، ص: 58.
*الكتب المقررة للقراءة هي:

- Méthode de Lecture : Monsieur Pigné.

-Le Premier Livre de L'enfence et L'adolescence : M... Mola Palune.

Rendu: كتاب الأخلاق للسيد

- كتاب يحتوي على نماذج من المخطوطات.

- كتاب في قواعد النحو الفرنسي مصحوب بالتمارين.

-Petite Arithmétique.M... Varvier.

Gautier: مختصر في الجغرافيا للسيد

وهي نفس الكتب المقررة في مدارس البنات (ينظر: جمال قنان: المرجع السابق، ص42).

جانب معلومات عامة عن التاريخ والجغرافيا وكل واحدة من هذه المدارس تتوفر على قاعة واحدة للدروس، يتم توزيع التلاميذ حسب تخصصاتهم عن طريق الصفوف، يتألف القسم من أربعين إلى خمسين تلميذا، جزء منهم صباحا والآخر مساء وتتوج نهاية الدراسة بامتحان، يتم من خلاله منح الشهادات الثلاثة التي ذكرناها سابقا⁽¹⁾

كما تم إنشاء نظام تعليمي خاص بالكبار، حيث كانوا يرتادون هذه المدارس ثلاثة أيام في الأسبوع، في العمالات الثلاثة الكبيرة "قسنطينة الجزائر وهران" لأجل تعلم الفرنسية، بحيث تم تقديم جوائز ومحفزات لكل من يستطيع استعمال الفرنسية كتابة وقراءة وقد كان الهدف من وراء هذه المدارس هو إدماج المجتمع الجزائري في الثقافة الفرنسية حتى تسهل السيطرة عليه، بداية بغرس مبادئ وأفكار فرنسية في أوساط الناشئة حتى يكونوا فيما بعد معاونين مطيعين وفي نفس الوقت يلقنهم تعليما بسيطا لا يستطيعون المنافسة به على الوظائف مع المستوطنين.⁽²⁾

لكن النظرة الاستعمارية لأبناء الجزائريين حالت دون أن يستمر التلميذ في هذا النظام الجديد، للفوارق الموجودة في الأقسام والحجرات الموجودة في هذه المدارس، بين الجزائريين والأوروبيين (أبناء المستوطنين) حيث عانى التلاميذ الجزائريين كثيرا وأرغموا على ظروف قاسية داخل هذه المدارس، ناهيك عن الإهمال واللامبالاة التي عاشتها هذه المدارس، ولم يكن التعليم فيها إجباريا عدا منطقة القبائل التي ركزت عليها الإدارة الاستعمارية ومنحتها تعليما مكثفا، بشهادة الكثير من المصادر، لأسباب معروفة لدى غالبية الجزائريين، قد نخصص لها كلاما مطولا في فصولنا اللاحقة.⁽³⁾

¹ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² - عبد القادر جغلول: الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص: 61.

³ - جمال قنان: المرجع السابق، ص: 44.

وإذا أردنا أن نقدم حوصلة عامة للفترة المدروسة في هذا الفصل الممتدة من (1850 إلى 1870) لدينا بعض الجداول التي تبين مدى تطور أعداد التلاميذ سواء في العهد الجمهوري أو الإمبراطوري، بالرغم من الاختلاف الموجود، في كل أطوار الدراسة (ابتدائي، ثانوي، تعليم عالي) "إن وجد" والجداول يشرح مراحل تطور عدد المدارس والتلاميذ بين (1852 إلى 1857) وهو على النحو التالي:

الجدول (3): مراحل تطور عدد المدارس والتلاميذ من 1852 إلى 1857.

السنة	عدد المدارس	عدد التلاميذ
1852	255	15.115
1853	287	16.977
1854	356	19.960
1855	417	23.014
1856	417	25.980
1857	403	25.325

من خلال هذا الجدول الذي يعالج مدى تطور أعداد المدارس والتلاميذ بين سنوات (1852/1857) يتبين لنا نسبة الأرقام الضئيلة مقارنة بتعداد السكان الجزائريين وهذا يدل على عدم التحاق التلاميذ بهذا النمط من التعليم، خوفاً من أهدافه التبشيرية الرامية إلى ضرب هوية المجتمع الجزائري، كما نسجل نقصاً في عدد المدارس سنة 1857 وهذا راجع إلى دمج أقسام في بعضها البعض، بالرغم من ضآلة هياكل هذا التعليم.⁽¹⁾

وبخصوص تعليم الفتيات، فقد نص المرسوم التأسيسي على إنشاء أربعة مدارس عربية فرنسية خاصة بالبنات، لم تنشئ سوى مدرستان إحدهما في "العاصمة" والأخرى في "قسنطينة"، لكن مع نهاية 1870 أغلقت مدرسة "الجزائر" وحول مقرها إلى ورشة في التكوين في الخياطة وبقيت مدرسة "قسنطينة" التي كانت تستقبل ثمانين طفلة. أما عن التعليم الثانوي، فقد يرجع تاريخه إلى تقرير رفعه

¹ - عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص: 225.

وزير الحربية المارشال "فايان" « Vayan » عن الحاجة إلى إنشاء مؤسسة ثانوية خاصة بالعائلات الجزائرية الكبيرة والمتنفذة⁽¹⁾

وقد حدد مرسوم سنة 1863 سنوات الدراسة في هذه المدارس بثلاث سنوات يتكون فيها التلميذ ويدرس فيها مواد باللغة العربية من حساب وتاريخ وجغرافيا يشرف عليها معلمون داخل المدرسة، أما المنهاج والبرنامج فانه يفتقد إلى وجود كتب بالعربية تناسبه.⁽²⁾

تتوج الثلاث سنوات التي يقضيها التلميذ في المدرسة بامتحان ختامي، حيث يمنحون مبلغ (0.80 فرنك) لقضاء حاجياتهم من مأكّل وملبس وغيرها من شؤون الحياة.⁽³⁾ لكن ما يلاحظ عموما هو قصر مدة الدراسة الشيء الذي يؤدي إلى عدم تكوين هؤلاء التلاميذ تكويننا جيدا وبالتالي يعانون في مستقبلهم المهني فيما بعد، إذ تواجههم مصاعب كبيرة أمام منافسة أبناء المستوطنين.⁽⁴⁾

ويمكن تلخيص أسباب فشل هذه المدارس إلى:

1- العامل الوطني: تمثل في عدم رضا الجزائريين عن هذا التعليم وخصوصا في هذه المدارس التي تشرف عليها إدارة الاحتلال، كون برامجها عديمة وفارغة من أصول اللغة والدين والتاريخ الحضاري للجزائر، فهي برامج فرنسية هدفها تخريب عقول الناشئة.

¹ - جمال قنان: المرجع السابق، ص: 48-50.

² - الطاهر زرهوني: التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستعمار، موفم للنشر، الجزائر، 1993، ص: 25

³ - كمال خليل: المرجع السابق، ص: 101.

⁴ - محفوظ قداش وجيلالي صاري: الجزائر في التاريخ "المقاومة السياسية 1900-1954" (الطريق الإصلاحي والطريق الثوري) ترجمة عبد القادر

حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص: 227

2- العامل الفرنسي: لان الإدارة الفرنسية كانت متخوفة من انتشاره كونه مزيج بين العربية والفرنسية وبالتالي يطور الوعي الجزائري فيطالب بحقوقه، فيصبح خطرا عليه⁽¹⁾

المبحث الثاني: ظهور المعاهد العربية الفرنسية:

حرر وزير الحرية الفرنسي "فايان" « Vayan » تقريرا أعده بخصوص التعليم الأهلي في الجزائر أكد فيه على ضرورة إنشاء معاهد تشبه الثانويات والكوليجات لتمكين تلاميذ المدارس السالفة الذكر من مواصلة تعليمهم فصدر بذلك مرسوم 1857 الذي نص على ضرورة تأسيس معهد فرنسي في الجزائر لنشر التعليم بالرغم من عدم جدوى هذه المدارس كما ذكرنا لكن الهدف الرئيسي منه هو تمكين أبناء العائلات المتعاونة مع الإدارة الاستعمارية من استكمال تعليمهم الثانوي وقد ورد في هذا التقرير الجملة الآتية: "...نشر التعليم بين أبناء العائلات المنتفذة والفئات العليا من المجتمع الجزائري..."⁽²⁾

يشير التقرير في محتواه إلى دلالات كبيرة تعكس نوايا الإدارة الاستعمارية في مخاطبة الشعب الجزائري وتمكين طبقة دون الأخرى من خلال تكريس الفروق بين فئات الشعب الواحد حتى يتسنى لها خدمة مصالحها الخاصة والدليل أن "فايان" « Vayan » و"ليون روش" « Leon » « Roches » كانا يتقاسمان نفس الخطاب الذي يتوجب أن يكون للأعيان والوجهاء من الجزائريين دون الباقي، وهو ما أشار إليه بقوة التقرير السنوي الذي أعده "إسماعيل اوربان" « Ismaul Urbain » (*) في الغاية من إنشاء هذا المعهد حيث يقول: "لقد

¹ - سميرة بوضياف: ملامح تكوين المعلمين والأساتذة في الفترة الاستعمارية، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، العدد: 08، جامعة قسنطينة 2 ص 72/71.

² - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص: 56.

* إسماعيل اربان: « Thomas Ismael Urbain » (1884/1812) ولد ب(كايان) من علاقة غير شرعية، تتلمذ في فرنسا عاش البؤس لما لاقاه من عنصرية في فرنسا بسبب لونه وطريقة ميلاده، إعتنق "السانسيمونية" انتقل الى الجزائر سنة 1837. اعتنق الاسلام وتزوج عربية، دافع عن الجزائريين في الكثير من القضايا واصبح ينادي بالاندماج. أعجب به "نابليون الثالث وبأفكاره" تعرض للتمهيش في العهد المدني. ترك الكثير من الأفكار والمؤلفات. (للمزيد ينظر: شارل ريبير أجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا... ج1. ص 722-752.

استوجبت مقتضيات نشر التعليم في الوسط القبلي، أن نبدأ بفتح أبوابه للطبقات الراقية في المجتمع العربي وعبرها سوف نصل إلى الأوساط الشعبية. سوف يأتي أولاد القادة والعائلات الكبيرة⁽¹⁾ لانتهاال المعلومات التي تناسب أوضاعهم الاجتماعية.

تأسس أول معهد فرنسي في الجزائر بموجب مرسوم 14 مارس 1857 في مدينة الجزائر، وفتح أبوابه لصالح أبناء الضباط والموظفين من الأهالي والعائلات المتنفذة، وقد ضمت الدفعة الأولى من التلاميذ قرابة مائة وخمسون تلميذا افتتحوا المعهد، ليلحق بهم في سنوات 1860 و1861 قرابة التسعة والستون تلميذا بنظام خارجي.⁽²⁾

وعمقتضى مرسوم آخر في 16 جوان 1865 تم إنشاء مدرستين على شاكلة "الكوليج الإمبراطوري" في كل من قسنطينة ووهران، فتحت المدرسة الأولفي قسنطينة في الفاتح جانفي 1867 والتي التحق بها 112 تلميذا من بينهم 10 جزائريين وهم من أبناء العائلات التي خدمت الاستعمار من ضباط وقادة ورؤساء وأعاون، يعلم المعهد بعض تعاليم الإسلام الأولية والطلبة المتخرجون منه يوجهون مباشرة إلى الجيش أو إدارة القبائل.⁽³⁾ "المكاتب العربية"^(*) لم يلتحق الطلبة الجزائريون بكثرة لهذا المعهد لظروف وأسباب معروفة، رغم المحفزات والمنح المهداة من إدارته المشرفة، التي لم تجد من يستفيد منها، وهنا كتب مدير الدراسات: في بداية 1860 مايلي: "لا يقدم العرب على إرسال أولادهم إلا بعد إلحاح كبير ومنهم من وجب ممارسة الضغط عليه من طرف الجنرالات كي يرضى بقبول المنحة المهداة."⁽⁴⁾

¹ - شارل روبر اجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا... المرجع السابق، ص: 589.

² - Poulard. op.cit.P : 78.

³ - شارل روبر اجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا... المرجع السابق، ص: 589.

^{*} - المكاتب العربية: هي مصلحة إدارية وعسكرية في آن واحد أنشأتها الإدارة الاستعمارية، وهي جهاز لجمع المعلومات وخاصة الحربية سميت في البداية مصلحة الشؤون العربية، ومن وجهة نظر فرنسية هي: "الجهاز الشرعي للسياسة الأهلية" يعتبر الدوق "روفيقو" صاحب فكرة إنشائها سنة 1833 ثم تطور المصطلح فيما بعد. حتى أصبح يسمى المكاتب العربية. (ينظر: صالح فركوس: إدارة المكاتب العربية والاحتلال في شرق البلاد، 1844/1871، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة 2006، ص: 13.

⁴ - شارل روبر اجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا... المرجع السابق، ص: 590.

أما عن التغطية المالية والمصاريف، فقد تم تقسيم التلاميذ إلى ثلاث مجموعات وهي:

* المجموعة الأولى: تغطية كاملة للمصاريف، تكون على حساب المعهد، تضم (45 تلميذا)

* المجموعة الثانية: تغطية ثلاثة ارباع المصاريف والباقي على عاتقهم، تضم (45 تلميذا)

* المجموعة الثالثة: تغطية نصف المصاريف، والباقي يدفعونه على حسابهم، تضم (60 تلميذا)

كما يشترط في التلميذ بلوغ سن التاسعة وقد يصل حتى الاثنتا عشر.⁽¹⁾

ونظرا لعدم التحاق التلاميذ الجزائريون بهذا المعهد، تخوفا من إرسالهم إلى المعاهد الفرنسية، قرر الحاكم العام الفرنسي في الجزائر في هذه الفترة الرد على هذه السياسة بأنها خطأ كبير وبأن "مخاوف الجزائريين من تسليم أبنائهم إلينا ستتضاعف بشكل كبير إذا عزمنا على إرسال هؤلاء الأطفال فورا إلى معاهدنا" ثم أشار إلى وجود مؤسسات خاصة كفيلة وحدها بان توفر لهم الضمانات المرجوة". وتطبيقا لهذا الكلام قررت الحكومة الفرنسية إنشاء معهدين آخرين، واحد في قسنطينة والآخر في وهران، هذا الأخير الذي بقي حبرا عن ورق ولم ير النور، أما معهد قسنطينة فقد حقق نجاحا سريعا، حيث ضم 108 طالبا سنة 1857.⁽²⁾ أما عن البرامج المطبقة في هذه المعاهد، فقد طبع عليه المفرنس أكثر من المعرب، وهي تابعة للبرامج الفرنسية، مبررة ذلك بقلة مدرسي اللغة العربية، لذلك فالعربية كانت اختيارية ولم تكن رسمية عكس الفرنسية، حيث كانت الإدارة تختار مدرسين لتعليم الدين الإسلامي لمن أراد من التلاميذ وهي حصص خاصة يدفع ثمنها. ومن هنا يمكن القول أن هذه المعاهد حادت عن أصلها الأول أثناء تأسيسها.⁽³⁾

¹ - الميشر: عدد 15 جوان 1887.

² - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص: 57.

³ - شارل رويبر اجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا ... المرجع السابق، ص: 591.

أصبحت هذه المعاهد فرنسية أكثر منها جزائرية، لأنها أسست في بدايتها للتلاميذ الجزائريين، لكن مع تطور السنوات قلّ عدد التلاميذ وتطورت الأمور لصالح الفرنسيين والجدول الآتي يوضح لنا عدد الطلبة الجزائريين الذين التحقوا بهذه المعاهد.

الجدول (4) عدد الطلبة في هذه المعاهد.

السنة	عدد التلاميذ	الجزائريين	الأوروبيين
1868	156	115	41
1869	187	123	64
1870	205	116	89

من خلال الجدول تشير الأرقام أن الطريقة التي تأسست بها هذه المعاهد تغيرت بحلول سنة 1870، حيث تراجعت أعداد الطلبة الجزائريين ومالت الكفة لصالح الأوروبيين الذين كانت لهم إمكانية الدراسة في فرنسا وهو الشيء الذي أدى إلى بداية زوال هذه المعاهد، خاصة وان مستوى هذه المعاهد كان ضعيفا يصل فقط إلى حد قراءة الفرنسية والعربية عند الطلاب الضعفاء وبعض الإملاء والحساب عند الأقوياء.⁽¹⁾

يتضح من دراستنا لهذه المعاهد الثلاثة أن الحكام الفرنسيين والإدارة الاستعمارية، كانت لهم أهدافا وغايات ولم تكن لهم نية صادقة لآجل تعليم الجزائريين وإنما أرادوا بهذه السياسة التعليمية المبتورة والباهتة أن يحققوا وضعاً ثقافياً هشاً وصولاً إلى:

- خلق نخبة من الأجيال الجديدة تلعب دور الوسيط بين الإدارة الاستعمارية و الجزائريين

- عرقلة نشاط مدارس التعليم العربي الحر والقضاء عليها.

- زرع مبادئ وثقافة الأجنبي في أوساط الناشئة، للتخفيف من حدة المقاومات. ومن اجل تنفيذ هذه السياسة جاء القرار صادماً للأهالي حيث ألغى "الأميرال" دوقيدون" معهدي الجزائر

¹ - Turin. y. op.cit.P : 280.

وقسنطينة، نتيجة لتنامي حقد المستوطنين على هذه المعاهد وتم دمجهم في الثانويات وهي فكرة جديدة تضاف إلى سلسلة التجارب الفاشلة والمتعمدة من السلطات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، كما ألغى المدارس الريفية سنة 1870⁽¹⁾

المبحث الثالث: المدارس الإسلامية الحكومية الثلاث:

بعد إنشاء المعهد العربي بمدينة الجزائر كثانوية عامة فكرت الإدارة الاستعمارية في إنشاء مدارس إسلامية حكومية شرعية ذات مستوى عال، فتم الترويج للفكرة وجسدت بمرسوم 1850/09/30 والهدف منها هو تخريج موظفين تستعين بهم السلطة الاستعمارية في الفتوى والترجمة وتكون بمثابة واسطة بين الأهالي والادارة الاستعمارية.⁽²⁾

تكفلت جريدة المبشر بنشر الإعلان في صفحاتها للترويج إلى هذه المدارس حيث أعلنت التلاميذ الراغبين في الالتحاق بهذه المدارس بضرورة التوجه إلى مكتب مدير المدارس والشؤون الدراسية في الحكومة العامة وتسجيل أسمائهم لاجتياز امتحان الانتقاء.⁽³⁾ وفقا لشروط يجب أن تتوفر في الممتحن وهي كالاتي:

* ان يكون سن المترشح بين 16 و22 سنة.

* شهادة ميلاد تثبت مكان النشأة.

* شهادة طبية تثبت الصحة الجيدة للمترشح.

* أن يكون المترشح حاصل على شهادة إنهاء الدراسة في المدارس العربية الفرنسية.

* تعهد يلتزم فيه المترشح بالعمل عشر سنوات فعلية في مهنة التدريس.

¹ - جمال قنان: المرجع السابق، ص56.

² - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص:59.

³ - المبشر: عدد 12 افريل 1865

* شهادة حسن السيرة مستخرجة من المدارس التي درس فيها.

كما حدد المنشور عدد الطلبة المقبولين ب(30) طالبا، وهو عدد قليل جدا، مع منح (10) مقاعد للأهالي و(20) للأوربيين وهو الشيء الذي يبين بوضوح النية المسبقة والسيئة في آن واحد من طرف الحكومة العامة.

أما عن البرامج التي تم وضعها لهذه المدارس، فقد حددتها المادة الثانية من المرسوم والتي أكدت على مجانية التعليم، وتقديم دروس تشمل مايلي:

* القواعد النحوية و الأدب * القانون والقضاء * التوحيد.

أما الحجم الساعي للغة العربية فقد حدد بثلاث ساعات أسبوعيا.⁽¹⁾

وأرادت الإدارة الفرنسية إنشاء هذه المدارس الموازية، حتى تسيطر على الأهالي وتبعده المدارس الحرة والزوايا والمساجد وفي هذا الصدد نذكر كلاما صدر عن الوزير "راندون" عن الغاية من هذه المدارس، حيث يقول: "فمن هذه المدارس يتخرج الموظفون الإداريون والقضاة وبكلمة اعم الشخصيات و العناصر التي لها تأثير على السكان، حتى لا يفلتوا من قبضتنا"⁽²⁾

أما عن الأهداف المرجوة من وراء تأسيس هذه المدارس، فيمكن تلخيصها كالاتي:

* خلق فئة جديدة تلعب دور الوسيط بين "الأهالي" والإدارة الفرنسية.

* إحداث قطيعة بين السكان والمساجد والزوايا التعليمية.

¹ - أبو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3 المرجع السابق، ص: 413-414

² Turin. Y.op.cit .P ; 281.

*إشرافها على الدين الإسلامي لاستمالة "الأهالي" بعد إدراكها مدى تعلقهم به *الحد من التأثير الخارجي للمساجد والمدارس الكبرى (الزيتونة، القرويين) (1)

لكن هذه المدارس لم تعمر طويلا بالرغم من المراسيم والقرارات التي صدرت بهذا الشأن والتي سنتطرق إليها لاحقا في الفترات التي سنشرحها فيما بعد. ويمكن ذكر بعض أسباب فشلها:

*ضعف الإدارة وغياب الرقابة الصارمة.

*قلة برامجها وضعف مقرراتها.

*الاختلاف الجوهرى بين التلاميذ في السن الشيء الذي اثر سلبا على مردودهم.(2) لذلك وبالرغم من الاهتمام اللامتناهي من طرف الإدارة الاستعمارية بهذه المدارس خاصة بعد اصلاح 1876 إلا أن عدد طلابها لم يتطور بل ظل محدودا ودون المستوى حيث نلاحظ في موسم (1898/1897) عدد الطلاب بلغ (155) طالبا، منهم (120) طالبا نظاميا (35) طالبا مستمعا، يتوزعون على كل المستويات كالاتي:

الجدول (5) عدد الطلبة في هذه المدارس.

عدد التلاميذ	السنوات
42	السنة الأولى
26	السنة الثانية
16	السنة الثالثة
18	السنة الرابعة
07 تلاميذ و (35) تلميذ مستمعا	السنة الخامسة

¹ - عبد القادر خليفى: السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر، الشهاب الجديد، العدد الثالث، المجلد

الثالث، السنة الثالثة، الجزائر، افريل 2004، ص: 325

² - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص: 61.

08	السنة السادسة
----	---------------

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن أعداد الطلبة كانت تتناقص السنة تلوى الأخرى وهذا دليل واضح على عدم فاعلية هذه المدارس لأنها لم تلق صدًى واسع من "الأهالي" للاعتبارات التي ذكرناها سالفًا.⁽¹⁾ وهذا ما يؤكد الجنرال "ويمبغان" قائد ضاحية الجزائر في 1866 قائلاً: "إن المدارس لا تقدم إلا جزءاً من الخدمات التي كنا ننتظرها من هذه المؤسسة... وان لم تكن النتائج مرضية فعلياً أن نعزو مسؤوليتها إلى عيب في التنظيم وإلى النقص الجذري في المنشآت المادية. وقد كان عدد التلاميذ في هذه المدرسة من وسط غير راق ومن طبقة اجتماعية لا يمكنها أن توفر لنا قضاة أجلاء."⁽²⁾

بالرغم من فشل هذه المدارس الإسلامية الثلاثة إلا أن الإدارة الاستعمارية أرادت ضخ نفس جديد فيها ابتداءً من سنة 1876 خاصة حينما تم إلغاء المدارس العربية الفرنسية، وإلغاء المعهد الإمبراطوري، حيث تم تنظيمها جيداً حتى تؤدي دورها المنشود وهو تخريج ما تحتاجه الإدارة الاستعمارية من موظفين لخدمة شؤون "الأهالي" ولأجل هذا صدر مرسوم "15 أوت 1875" من طرف الجمهورية الثالثة الذي نص على ضرورة إنشاء مدارس إسلامية ابتداءً من 16 فيفري 1876 ويكلف الحاكم العام بحق مراقبة هذه المدارس، كما يكلف مدير التعليم بتسييرها وإدارتها وهي بمثابة تعليم عالي هدفها الأول هو تخريج موظفين الشيء الذي أدى إلى تناقص طلبتها وهو ما يؤكد الجدول السابق.⁽³⁾

وقد تدعم هذا المشروع بمرسوم آخر في 29 جويلية 1876 يحمل في طياته قانوناً أساسياً جديداً من (77) مادة من إمضاء الوالي العام "شانزي" (1873-1879) والذي تضمن:

*تتولى السلطة العسكرية رقابة هذه المدارس ونفقاتها المالية.

¹ - أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص: 387.

² - كمال خليل: المرجع السابق، ص 78.

³ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، المرجع السابق، ص: 377.

*ضبط نظام للمدارس فيما يخص الإدارة والتدريس وكيفية تعيين المدير وتحديد صلاحيات كل موظف فيها ويتولى طبيب عسكري الحالة الصحية لتلاميذ ومدرسي هذه المدارس.⁽¹⁾

كما تم التكفل بالمعلمين بتحسين ظروفهم والزيادة في رواتبهم ثم صدر مرسوم "23 جويلية 1895" الذي حدد الدراسة في المدارس الإسلامية بأربع سنوات ووضع برنامج خاص بكل سنة و التي كنا قد اشرنا إليها سالفاً، وتم وضع برنامج خاص بطلبة التعليم العالي، تتوج بعد إكمال الست سنوات بدبلوم الدراسات العليا وقد اصدر الحاكم العام "جون كامبون" في "29 جويلية 1895" قراراً يقضي بأنه ابتداء من أول جانفي 1898 لن توظف حكومته في مجال القضاء والدين إلا من تخرج من هذه المدارس.⁽²⁾

كان الهدف الفرنسي من خلال تاسيسه لهذه المدارس الشرعية الثلاثة ليس حبا في الجزائريين وانما غلق الباب على المعاهد والجامعات المجاورة، كالقرويين في المغرب والزيتونة في تونس. التي اصبح يلتجأ اليهل اغلب طلاب العلم من الجزائر بحثا عن البرامج الناجعة والتكوين الجيد، لذلك التجأت الادارة الاستعمارية الى تاسيس هذه المدارس حتى يسهل عليها تكوين اطارات جزارية على مقاسها تسير بهم شؤون "الاهالي" العامة.

اضافة الى رغبة الإدارة الاستعمارية في ربط الجزائريين بفرنسا عن طريق التعليم، بعد القضاء على المقاومة المسلحة. وبالتالي تسهل عليها تمرير ثقافتها ونشرها على نطاق واسع. فاستغلت المدرسة لتمرير سياساتها الإدماجية وصولاً الى فرنسة الجزائريين، من خلال القضاء على كل ما له علاقة بالتعليم العربي الإسلامي، المنتشر في كل اقاليم الجزائر. وهي الخطوة الأولى لارساء دعائم المدرسة الأهلية الموجهة للجزائريين. لكن بالرغم من كل هذه المحاولات الا انها ه المدارس بقيت تقدم تعليماً فارغاً وهشاً أدى الى هجرانها من طرف الجزائريين ولم تبق سوى أعداد قليلة إختارت خدمة الاستعمار. بالرغم من استمرارها حتى سنة 1951.

¹ - محمد بن علي شعيب: أم الحواضر في الماضي والحاضر - تاريخ مدينة قسنطينة - مطبعة البعث، الجزائر، 1980، ص 295.

² - ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3: المرجع السابق، ص: 387.

المبحث الرابع: مدرسة تكوين المعلمين « Ecole Normale »

تعرف بمدرسة "بوزريعة" تأسست بموجب مرسوم 04 مارس 1865 هدفها تكوين المعلمين العاملين في المدارس، لكنها وجهت إلى العنصر الأوربي أكثر من الأهالي الذين لم يلتحقوا بها حتى بداية القرن العشرين في إطار الإصلاحات العامة التي أقرتها الإدارة الاستعمارية في 1933.⁽¹⁾

صدر هذا المرسوم وفقا لتقرير مشترك بين وزير الحرية والتعليم، تم رفعه للإمبراطور، ذكر فيه أن التعليم الابتدائي حقق تقدما هاما في الجزائر، حيث فتحت مدارس عامة وأخرى خاصة للبنات والبنين ومدارس دينية تابعة لمختلف الديانات والمذاهب و بالتالي فهم يحتاجون لمعلمين أكفاء يضمنون السير الحسن للدروس، ملمي بالدرجة وقادرين على مواكبة مناهج التلقين وفقا لظروف وتقاليد "الأهالي" وعليه ضرورة إنشاء مدرسة تحمل هذه الأهداف، كما أشار التقرير إلى عدد المدارس المنتشرة في الجزائر والتي قدرها ب(231) مدرسة ابتدائية يشرف عليها معلمون لائكيين، منها(19) مدرسة عربية فرنسية خاصة بأبناء "الأهالي" وباعتبار أن عدد المناصب المفتوحة سنويا لتخريج المعلمين هي عشرة فان هذه المهمة تتولاها المدرسة الناشئة وهنا اقترح التقرير إرسال دفعة بثلاثين تلميذاً توزع على ثلاث سنوات يخصص خمس هذا العدد للتلاميذ الجزائريين⁽²⁾ وقد تم فتح هذه المدارس من طرف الوالي العام الذي قال: "منذ زمن طويل رضي "الأهالي" المسلمون أنفسهم بعهد أطفالهم إلى مدرسين فرنسيين ولكن نقص وخلل طرق التعليم وخاصة صعوبة توظيف مدرسين أكفاء خلق حاجزا افقد سيطرتنا على جيش الشباب، فإن مدرسة تكوين المعلمين هي الوحيدة التي يمكن أن تعطيم لنا."⁽³⁾ وقد وضعت شروط لمزاولة التعليم بهذه المدرسة منها اشتراط السن بين السادسة عشر والثانية والعشرون وفي حالة تجاوز الطالب السن القانونية يشترط فيه رخصة من الوالي العام إضافة إلى تمكنه من امتحان القبول، حينها يدرس

¹ - بوضياف سميرة: المرجع السابق، ص: 72.

² - جمال قنان: المرجع السابق، ص: 58.

³ - رابع دبي: المرجع السابق، ص: 77.

التلاميذ مدة ثلاث سنوات كاملة وفقا لبرنامج مكثف فيه اللغة الفرنسية بخمس ساعات أسبوعيا واللغة العربية بثلاث في الأسبوع.⁽¹⁾

أما عن برامجها فتشمل أغلبية المواد المعروفة وهي متنوعة وكثيرة.^(*) وبالرغم من تأسيس هذه المدرسة في "بوزريعة" إلا أن فرص التعليم لم تكن متكافئة بين الطرفين إذ تم تخصيص نسبة قليلة للجزائريين وهي عشرة من ثلاثين إلا أن هذا الرقم لم يتحقق حيث لم يسجل سوى ثلاثة جزائريين بداية من 1865 وبقي هذا الرقم على حاله في السنوات التالية بسبب التحايل المقصود في مسابقات الانتقاء حيث ترجح الكفة دائما لصالح الأوربيين المستوطنين.⁽²⁾ بالرغم من وجود قانون داخلي واحد لهذه المدرسة إلا أن ظروف تدرس تلاميذ "الأهالي" ليست التي كان يتمتع بها أولاد الأوربيين وهو ما يتجلى في المعيشة اليومية لفئة على حساب فئة أخرى، وعليه رغم كل هذه الإصلاحات المتتالية إلا أن النظام الخاص بتلاميذ "الأهالي" بقي على حاله من التأسيس حتى سنة 1938 وظل هذا الاختلاف قائما حيث ينم تلاميذ الموقع الأول للمدرسة (مصطفى باشا) في مرقد جماعية، عكس الأوربيين الذين ينامون في غرف خاصة، إضافة إلى التمييز والتفرقة التي كانت موجودة حيث يذكر احد تلاميذ "الأهالي" دفعة (1925/1922) أن أسوء ذكرى له في المدرسة هي ذاك التمييز الخارق بين تلاميذ المدرسة. الأهالي والأوربيين، حيث كان الأهالي يأكلون في صحون من حديد، في حين يأكل الأوربيين في الخبز، كما يجلس الأهالي في جهة بعيدة عن الأوربيين وعلى كراسي خشبية تتسع لأربع أشخاص، عكس الأوربيين الذين يملكون كراسي فردية⁽³⁾

¹ - جمال قنان: المرجع السابق، ص: 59.

^{*} - يتضمن برنامج التكوين المواد الآتية: القراءة، الكتابة، المحفوظات، الحساب، الرياضيات، الفيزياء، الكيمياء، العلوم الطبيعية، الميكانيكا وتطبيقاتها في الصناعة، التربية البدنية، الرسم، تاريخ عام وتاريخ فرنسا والجغرافيا، وهي مواد متدرجة في البرنامج حسب السنوات.

² - جمال قنان: المرجع السابق، ص: 59..

³ - Collona.F : op-cit.P : 102.

كانت الدراسة في المدرسة تدوم سنتين وأصبحت ثلاث سنوات ابتداء من سنة 1892 وهذا بعدما تم إلغاء دروس مدرسة "قسطنطينة" ولم تبق إذن سوى دروس مدرسة الجزائر وإذا لم يعثر التلميذ المعلم منصبا يعمل فيه، يبقى سنة أخرى رابعة تحت التدريب، لكن هذه الدروس الخاصة لم تكن في متناول الجميع حيث كان التلاميذ يخضعون للامتحان على مستوى المدارس الثلاث، كانت كل دفعة تضم عشرين مترشحا وأحيانا ما يتناقص كما ذكرنا سالفا، لذلك كان لزاماً على هؤلاء التلاميذ الحضور للدروس الخاصة في مدرسة تكوين المعلمين، ليحصلوا على الشهادة في نهاية السنة الثالثة ويقضون السنة الرابعة في التدريب والتحضير في إحدى المدارس الابتدائية الخاصة بالأهالي.⁽¹⁾

طبق الفرنسيون في هذه المدرسة سياسة تربوية تهدف إلى دمج التلميذ الأهلي وسلخه عن هويته ومثالثنا في هذا سنة 1896 حيث تم أخذ قرابة (19 تلميذا) نبغوا في مدرسة بوزريعة، فقدمت لهم مكافأة بالذهاب إلى "باريس" ومقابلة وزير التعليم، حيث رافقهم في هذه المنحة "مفتش المدارس العربية" في الجزائر والملاحظ أنهم من منطقة "القبائل" وهي الجهة التي ركزت عليها الإدارة الاستعمارية حيث ستكون فئة كبيرة من النخب في مطلع القرن العشرين والتي سنخصص لها فصلا بكامله في دراستنا هذه وتشير الوثائق والتقارير أنهم كانوا يتقنون اللغة الفرنسية ويتكلمونها بطلاقة وهنا تشير جريدة "المبشر" إلى إعجاب هؤلاء بمظاهر التمدن في فرنسا وبذلك يكونون قادرين على "بث تمدنا في وطنهم الأصلي"⁽²⁾

كان يؤطر هؤلاء التلاميذ مجموعة من الموظفين، يصنفون إلى قسمين، موظفون دائمون والمتعاونون من الخارج، يضم الصنف الأول المدير والذي يدرس في نفس الوقت إحدى المواد ويساعده ثلاثة نواب معلمين، إضافة إلى مدير الملحقة التابعة لمدرسة تكوين المعلمين. أما عن الصنف الثاني فهم مدرسو كل مواد العربية والزراعة التطبيقية، البستنة والتربية البدنية، كما كان هناك

¹ - ابوالقاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص: 417.

² - المبشر، عدد 22/أوت/1896.

إمام مسلم و قس مسيحي يتولون الشعائر الدينية كل على مذهبه الخاص وقد حددت عناوين الكتب في مختلف المواد، عدا اللغة العربية لأن المدرسة كانت تريدها دارجة عامية مقصودة على حساب الفصحى وهو توجه استعماري هدفه تزويل الفصحى وإهمالها حتى تصبح من التاريخ فيضيع الجزء المهم من الهوية الوطنية ولا تزال بعض المحاولات المغمورة موجودة حتى الآن تريد أن تحيي هذه المشاريع الاستعمارية وتشجع الدعوات المنادية باستخدامها، من منطلق أن الفصحى تقصر عن مواكبة التطور العلمي. وبالمقابل فقد وضعت مراتب لهذه الأصناف من الموظفين، اختلفت باختلاف المهام الموكلة لكل موظف في هذه المدرسة.⁽¹⁾

بالرغم من استمرار هذه المدرسة حتى استقلال الجزائر إلا أنها بقيت حكراً على أبناء الأوربيين والفرنسيين الذين ظلوا يدرسون بها بطريقة تشبه التعليم السائد في فرنسا. إذ كانت المناهج والمقررات بالرغم من وجود التلاميذ داخل مدرسة واحدة إلا أن ثمة فروق شاسعة بين الذي يعطى لأبناء الأوربيين وبين الذي يوجه للجزائريين. إضافة إلى الأعداد القليلة من الجزائريين وهو شاهد يدل مرة أخرى على عقم التعليم الأهلي في الجزائر، لأن الإدارة الإستعمارية أرادت أن تقلص به الانتشار الواسع للتعليم العربي الإسلامي. ناهيك عن السياسات المتذبذبة المنتهجة من قبل إدارة الاستعمار الفرنسي في الجزائر. وبالتالي فهي سياسة مقصودة وهادفة سعى من خلالها الإحتلال إلى توجيه التعليم الأهلي لفئة بسيطة من المجتمع الجزائريين تخدم مصالحه. دون اللجوء إلى فرض سياسة تعليمية عامة لكل الجزائريين، فالنظرة الاستعمارية لمسألة تعليم "الأهالي" هندستها الكثير من الساسة الفرنسيين الحاقدين. على الجزائر والأمة الإسلامية بصفة عامة. لذلك ظل هذا التعليم عبارة عن هيكل بدون روح على مدار قرن من الزمن، سادته الجهل والامية تبنته الإدارة الإستعمارية لخدمة مصالحها وتحديد أهدافها حتى يسهل تطبيقها.

¹ - جمال قنان: المرجع السابق، ص: 60.

المبحث الخامس: المناهج والمقررات:

سنتكلم في هذا المبحث عن البرامج الأساسية والتمويل العام للتعليم الأهلي بكل أطواره، بالرغم من الإشارات التي ذكرناها سابقا بالنسبة لكل صنف من هذا التعليم، إضافة إلى المواد المقررة بالتفصيل سواءً في المدارس العربية الفرنسية أو المعاهد "الكوليجات" والمدارس الإسلامية الثلاث ومدرسة تكوين المعلمين.

منذ البداية الأولى سطرت السياسة التعليمية الفرنسية على مجموعة من الأهداف الخفية الهادفة إلى فرنسة الفرد الجزائري وإحداث القطيعة بين الأجيال الأولى واللاحقة، وقد كانت هذه السياسة صريحة جدا، إذ كان المسؤولون الفرنسيين لا يخفون ذلك في تصريحاتهم وتقاريرهم، وهو الشيء الذي أدى إلى إهمالهم للتعليم في العشرين سنة الأولى بدعوى إحلال السلم والأمن في الجزائر أي القضاء على المقاومات العسكرية في كامل أنحاء البلاد، وقرروا إنشاء المدارس الابتدائية الأولى الستة سنة 1850.⁽¹⁾

حددت مرتبات موظفي المدرسة عند تأسيسها كآتي:

الجدول (6) مرتبات موظفي المدارس²:

الوظيفة	المرتب السنوي	الوظيفة	المرتب السنوي
1-المدير	4500ف	5-ملقن الأناشيد	1000ف
2-نواب المعلمين	2400ف	6-الإمام	1000ف
3-المعلم مدير المدرسة الملحقة	3000ف	7-الواعظ المسيحي	1000ف
4-مدرس العربية	2000ف	8-معلم التربية البدنية	500ف

¹- ابوالقاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، المرجع السابق، ص: 423.

²- جمال قنان: المرجع السابق، ص: 60-61.

ذكر في تقرير أعدته مصالح الولاية العامة حول موضوع التعليم جاء فيه: "الآن وقد استتب الأمر لفرنسا بخضوع القبائل التي كانت تدين بالولاء للأمير عبد القادر يجب التفكير في المستقبل، فما دامت فرنسا قد قررت الاستقرار في البلاد فإنه يتحتم عليها تجاوز مرحلة التسيير اليومي للأمر وفق مستجداتها والقيام منذ اليوم بغرس أشجار شابة والتي تستوجب انتظار عدة سنوات قبل أن تعطي ثمارها فمن يريد محصولا وافرا عليه أن ينتقي بذورا جيدة ويحسن رعايتها"⁽¹⁾

لقد كان التعليم المراد به فرنسيا شكلا ومضمونا، بحيث يبدأ التلميذ بدراسة اللغة الفرنسية ثم يباشر دراسة المقررات الأخرى من حساب فالتاريخ الفرنسي والجغرافي والتاريخ الطبيعي ومبادئ الزراعة والأخلاق والموازين والمكاييل الفرنسية طبقا للنظام الفرنسي، ويضاف للبنات الشغال الحياطة والحياكة، فالمناهج كانت فرنسية بامتياز عدا تعليم القرآن والعربية الدارجة يعلمها مدرب جزائري⁽²⁾

عمل الفرنسيون جهدا كبيرا من اجل تلقين أطفال "الأهالي" اللغة الفرنسية دون شرحها ودراستها باستعمال واسطة العربية أو الدارجة وظلوا على هذه الكيفية، إلا أن بعض الأصوات نادى فيما بعد بضرورة مراعاة بيئة الطفل والمحيط الذي يعيش فيه وبخصوص هذا الشأن جاءت مراسيم وقوانين منظمة لهذه المناهج و المقررات خاصة أيام الجمهورية الثالثة نذكر منها نص سنة (1887) الصادر عن لجنة تدعى "لجنة قسنطينة" الذي وضع خطة الدراسات والبرامج للتعليم الابتدائي في الجزائر، حيث اهتمت بدراسة أوضاع المدارس العمومية الأهلية دون التمييز بينها حسب مصطلحات ذلك الوقت، كما حافظت اللجنة على نفس البرامج المقررة في المدارس حتى تصبح جارية التعامل والاستعمال بالنسبة للطفل لأن المكانة الرئيسية في هذا التعليم هو اللغة الفرنسية.⁽³⁾ وتعتبر المرحلة المدروسة في هذا الفصل والتي تمتد بين (1850 و1870) بالنسبة

¹ - جمال قنان: المرجع السابق، ص: 25.

² - Tableau Des établissements Français en Algérie : 1846-1849.P :195.

(نقلا عن سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص423.)

³ - ابو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص323-324.

للتعليم الأهلي في الجزائر وثبة معتبرة، مقارنة بالفترة السابقة التي تم فيها القضاء على مخلفات التعليم الإسلامي وعليه يمكن القول أن هذه السنوات تم فيها التأسيس لنموذج جديد لكيفية تعليم "الأهالي" ولو بطريقة محتشمة ومحدودة، حيث تم إنشاء عدد من المدارس الحكومية الفرنسية الجزائرية والمدارس الثلاث إلى جانب المعهدين الثانويين في "الجزائر" و"قسنطينة" كما تم فتح المدرسة الخاصة بتكوين المعلمين والمدرسة الفلاحية^(*) كل هذه الجهود المبذولة كانت من قبل الإمبراطور "نابليون الثالث" « Napoléon III »^(**) الذي كان يريد أن يمنح مكانة للجزائريين.⁽¹⁾

نص مرسوم 14 جويلية 1850 على إنشاء المدارس الستة الأولى في كل من "الجزائر، قسنطينة وهران، عنابة، مستغانم، بليدة" في إطار مجانية التعليم وأدرجت اللغة العربية في المناهج و المقررات، كما حضت بنفس القيمة التي تتمتع بها الفرنسية وهي سياسة أرادت بها الإمبراطورية أن تجلب أكبر عدد ممكن من تلاميذ "الأهالي" حيث كان يؤطر كل مدرسة معلم فرنسي الذي يعتبر مديراً للمدرسة ويساعده معلم من "الأهالي" يعينان من طرف الحاكم العام في الجزائر، كما تم إنشاء أربع مدارس للبنات في كل من "الجزائر، قسنطينة، وهران، عنابة" لتعلم اللغة العربية والفرنسية والحساب

* - المدرسة الفلاحية: تأسست في 26 ماي 1865، وهي مدرسة فلاحية عربية فرنسية، مقرها مدينة الجزائر، تستقبل التلاميذ الميسورين من الأهالي والأوربيين على نفقة أسرهم وميزانية بعض المقاطعات، والصف الثاني من التلاميذ اليتامى سواء "الأهالي" أو "الأوربيين" تتكفل بهم المدرسة، تحدد التكلفة المدرسية بـ 360 فرنك سنوياً، يشرف الوالي العام على المدرسة وهو الذي يعين المدير والإدارة، يتألف برنامجها من شقين: الأول نظري والثاني تطبيقي، يخص الأول القراءة والكتابة وتعلم الفرنسية ومبادئ أولية في البيطرة، أما الجانب التطبيقي فيكمن في الزراعة والبستنة والأشغال اليدوية، وتتوج سنوات الدراسة بشهادة تمنح من المدرسة للتلاميذ. (جمال قنان: المرجع السابق، ص: 61-63).

** - نابليون الثالث: اسمه "شارل لويس نابليون" « Charles Louis Napoléon » (1873/1808) ابن شقيق نابليون بونابرت، انتخب رئيساً لفرنسا سنة 1848، أيد بريطانيا وتركيا في حرب القرم سنة 1854 ضد روسيا، حضر افتتاح تدشين قناة السويس سنة 1869، استسلم في حرب 1870 ضد بروسيا في معركة "سيدان" « Sedon » رحل إلى إنجلترا واعتزل السياسة، توفي 09 فيفري 1873. (ينظر خليل كمال: المرجع السابق، ص: 34. الهامش)

¹ - جمال قنان: المرجع السابق، ص: 82.

إلى جانب الخياطة والطرز، تدير المدرسة معلمة فرنسية بمثابة مديرة وتعاونها جزائرية وفقا لشروط منصوص عليها كما عند الذكور.⁽¹⁾

أما عن المعاهد العربية الفرنسية فقد تألفت من مرحلتين ابتدائية تدوم ثلاث سنوات، يتدرب فيها التلميذ على اللغة الفرنسية، ثم ينتقل إلى المتوسط ولكن بعد اجتياز امتحان صعب في اللغة الفرنسية، وكانت اللغة العربية في المعاهد تدرس بالعامية الدارحة بمعدل ساعة في الأسبوع، أما اللغة الفصحى فتدرس مرة في الأسبوع في السنة الثانية ومرتين للسنوات النهائية، لكن بلسان فرنسي، أما المرحلة التحضيرية فيدرس فيها التلميذ التاريخ الفرنسي والحساب والجغرافية الفرنسية، وبعد اجتياز هذه المرحلة يأخذ في تلقي دروس الأدب الفرنسي ويتدرب على الترجمة الفرنسية ويدرس تاريخ فرنسا من 1789 ثم يأخذ دروسا عن تاريخ إفريقيا دون تاريخ العرب والمسلمين والجزائر بصفة خاصة.⁽²⁾ ويسير المعاهد العربية الفرنسية وتحديدًا معهد الجزائر هيئتان هما: المجلس الإداري ومجلس التعليم، وقد حدد وزير الحرية كيفية تشكيلهما ومهامهما في القرارين اللذين صدرا في 24/أفريل 1857 إذ يتكون المجلس الإداري من مدير المعهد وعضوية كل من الناظر وثلاثة مدرسين تتحدد عضويتهم كل سنة إلى جانب سكرتير المعهد والمقتصد، وهو مجلس إداري يختص في الشؤون الإدارية والمالية، أما مجلس التعليم فيتكون من المدير رئيسا والناظر والمدرس الأول باللغة الفرنسية والمدرس الأول باللغة العربية يحضران اجتماعات المجلس الشهرية بالتناوب، يمول المعهد من ميزانية الدولة وميزانية المقاطعات إلى جانب الضرائب العربية.⁽²⁾

أما عن برامج المدارس الإسلامية الثلاث، فقد كانت تسمى "الفقهية" لأنها اقتصت في الفقه والمواد الدينية الإسلامية بهدف تخريج القضاة والأئمة التي تحتاجهم الإدارة الاستعمارية، بدأت الدراسة في هذه المدارس باللغة العربية ثم أدخلت عليها تعديلات وإصلاحات فيما بعد

1- جمال قنان: المرجع السابق، ص: 40.

2- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص: 404-405.

3- جمال قنان: المرجع السابق، ص: 56.

منذ 1876 حيث أصبحت ازدواجية في برامجها ولغة التدريس فيها، فتغير اسمها من المدارس الإسلامية إلى الفرنسية العربية أو الفرنسية الإسلامية (فرانكو ميزولمان) وكان لكل مدرسة ثلاثة معلمين جزائريين، منهم مدير المدرسة، أما مواد التدريس فهي النحو والأدب والفقه وأصول الدين والتوحيد، كانت مدة الدراسة ثلاث سنوات.⁽¹⁾

أما عن مدرسة ترشيح المعلمين وتكوينهم التي تم تأسيسها في "بوزريعة" كما اشرنا سالفا فان التمييز فيها لعب الدور الكبير حيث صنف المعلمون الفرنسيون إلى:

- معلمون مرسمين موزعون على خمس طبقات.
- معلمون مساعدون متربصون موزعون على أربع طبقات.
- مديرون يجري اختيارهم من بين المعلمين المرسمين.
- متدربون (متمرنون) لا يقلون عن 16 سنة ويكونون حاملين على الأقل لشهادة الدراسة الابتدائية.
- مساعدون موزعون في طبقات على نفس النمط الذي عليه المتربصون الفرنسيون يحملون نفس الشهادة.⁽²⁾

كان البرنامج المتفق عليه في هذه المدرسة نسخة من برامج التعليم الفرنسية، مع إضافة الدارجة أو العامية، وهو ما أكده المارشال "ماكهمون" (*) في 09 جانفي 1865، بقوله: "إن البرنامج كان موضوعا على أساس برنامج المدرسة الابتدائية الفرنسية، مع ترك مكان لتعليم اللغة العربية."⁽³⁾

¹- ابو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي ج3، المرجع السابق، ص: 367-368.

² - Collona.F : op.cit.P :19.

(*) ماكهمون: « Mac-Mahon » دوق ماجنتا، مارشال فرنسي ثم حاكم عام للجزائر، من مواليد 13 جويلية 1808 اصوله ايرلندية خريج مدرسة سسان سير العسكرية سنة 1825 رقي إلى رتبة عقيد عام 1845 ثم جنرال سنة 1848، عين حاكم عام على تلمسان، قائد الحملة العسكرية على ميلة نة 1857 شارك في الحرب الفرنسية الروسية وشارك في معركة "سيباستوبول" الشهيرة في 08 سبتمبر 1855 شارك في الحملة العسكرية على منطقة القبائل سنة 1857 وأصبح حاكما عام على الجزائر. (ينظر: كمال خليل: المرجع السابق، ص47).

³- سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي ، ج3 ، المرجع السابق، ص414

خاتمة الفصل:

بعدما سيطر الاستعمار الفرنسي على اقاليم الجزائر الثلاثة "الجزائر. قسنطينة. وهران" أراد ان يؤسس لبداية المدرسة الاهلية الكولونيالية في الجزائر لذلك عمل على:

- إنشاء المدارس العربية الفرنسية: والتي كانت الخطوة الأولى لإرساء دعائم التعليم الأهلي في الجزائر، فصدرت مراسيم امبراطورية تنظم وتهيكل الواقع التعليمي.
 - ظهور المعاهد العربية الفرنسية والتي تعتبر تعليم إكمالي بالنسبة للمدارس الأولى شبيهة بالثانويات في عصرنا هذا. ينتقل إليها الطلبة المتفوقون في المدارس.
 - تأسيس المدارس الشرعية الثلاثة او مايسمى بالمدارس الفقهية، والتي أردتها الإدارة الإستعمارية ان تكون بمثابة تعليم عالي يتخرج منها موظفين وإطارات يسهرون على شؤون الأهالي.
 - تأسيس مدرسة تكوين المعلمين لأجل تكوين معلمين واساتذة يسهرون على تعليم أبناء الجزائريين. ممن أسعفهم الحظ.
 - وضع برامج ومقررات باللغة العربية والفرنسية لهذه المدارس بصفة عامة، أغلبها كان بسيطاً لا يتعدى مستوى القراءة والكتابة.
- عموماً يؤرخ لهذه المرحلة على أنها البداية الأولى للتعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر بعد القضاء التدريجي على التعليم العربي الإسلامي الموازي الذي كان يشكل خطراً على الإحتلال الفرنسي في الجزائر. لذا أرادت الإدارة الإستعمارية أن تعوض هذا الأخير بتعليم هش يفتقد لأدنى مستوياته، فظلت هياكله بدون روح، وتلاميذه ضعاف المستوى، فهجره الجزائريون.

الفصل الثالث:

تطور حركة التعليم الأهلي

الفرنسي في

الجزائر (1871/1892)

الفصل الثالث:

تطور حركة التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر (1871/1892)

المبحث الأول: تنظيم التعليم الأهلي.

المبحث الثاني: التعليم الابتدائي.

المبحث الثالث: التعليم الثانوي.

المبحث الرابع: المراسيم التعليمية الفرنسية.

المبحث الخامس: البرامج المدرسية.

الفصل الثالث: تطور حركة التعليم الأهلي في الجزائر (1871/1892)

شهدت الجزائر بعد ثورة 1871 تغييرات مهمة جدا في جميع مناحي الحياة، حيث أصدرت السلطات الاستعمارية مجموعة عديدة من المراسيم والقوانين المحففة والمتعسفة في حق الجزائريين، كانت تهدف إلى محاولة ضبط الساحة السياسية والعسكرية و الاقتصادية وحتى الثقافية في الجزائر، لذلك يمكن القول انه حتى هذه السنوات لم تؤسس الإدارة الاستعمارية نظام مدرسي أو تعليمي رسمي يمكن أن يهتم بتعليم الجزائريين فعلاً.

المبحث الأول: تنظيم التعليم الأهلي.

أدركت الإدارة الاستعمارية بعد ثورة المقراني (*) سنة 1871 أثر المدرسة والتعليم على الجزائريين بالرغم من المحاولات المحتشمة في السياسة التعليمية التي ذكرناها سابقاً، حيث وجدت أن اغلب المشاركين في هذه الثورة كانوا من المتعلمين، خاصة وان المدارس التعليمية كانت تحت إشراف البلديات تتصرف فيها كيف ما تشاء، تنشر وتقلص وتخصر هذا التعليم على فئة معينة من الجزائريين، لذلك عمدت الإدارة الاستعمارية فيما بعد إلى إتباع سياسة تعليمية جديدة أعطي لها شعار "من يمسك بالمدرسة يتحكم في المستقبل" فبدأت في إصدار المراسيم والقوانين تباعاً المنظمة والمهيكله للحركة التعليمية، لكن وبالرغم من كل هذه التعديلات التي أدخلت بقي التعليم الأهلي يراود مكانه حتى بداية 1890 والتي سنخصص لها جزءاً هاماً.⁽¹⁾

* - المقراني: اسمه الكامل (محمد المقراني) احد قادة الثورات الشعبية التي اندلعت سنة 1871 وهو محمد المقراني بن احمد المقراني احد حكام منطقة "مجانة" (باش أغا) قدم استقالته في مارس 1871 للسلطات الفرنسية بعد تعيين حاكم على مدينة برج بوعرييج والتي رآها الشيخ تقليصاً لنفوذه فزحف على هذه المدينة في 05 ماي 1871 دامت ثورته قرابة السنة تحديدا خلفت قرابة (100.000) شهيد وأعقبها نتائج وخيمة جدا على الجزائريين بمصادرة الأراضي وتوزيعها على المعمرين، واستنشد فيها الشيخ المقراني ونفي الكثير من أتباعه إلى منطقة "كالدونيا الجديدة" في أقصى شرق الأرض وأصدرت الإدارة الفرنسية فيما بعد قانون "الأهالي" سنة 1871 (للاطلاع اكثر حول ثورة المقراني ينظر: يحي بوعزيز: ثورة الباشاغا محمد المقراني والشيخ الحداد 1871، عالم المعرفة، الجزائر. 2009)

¹ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق: ص 127.

وتشير الإحصائيات أن نسبة التعليم في هذه السنوات ظلت بطيئة جدا حيث قدر عدد الأطفال الذكور سنة 1886 المسجلين حوالي 2.23 مقابل 0.43. / للإناث من عموم الشعب الجزائري وهي نسب ضئيلة جدا وهو ما يفسر وصول مسيرة التعليم الأهلي إلى طريق مسدود تحت مؤثرات عديدة وضغوط متنوعة، حيث توقفت بشكل شبه كامل في سنة 1870 وحتى سنة 1883 بتأثير معوقات وأسباب كثيرة التي جعلت "المدارس العربية الفرنسية" التي ذكرناها سابقا تضمحل وتتلاشى، إضافة إلى الأحداث التي شهدتها فرنسا ذاتها بعد انهزامها أمام الألمان وكذا ثورة الشيخ المقراني سنة 1871⁽¹⁾

كل هذه العوامل جعلت اغلب المدارس تقفل أبوابها حتى سنة 1880^(*) إذ لم تكن توجد إلا مدارس قليلة جدًا التي تسمى المدارس العربية الفرنسية التي أسسها العسكريون سنة 1850 والتي أشرنا لها سابقا وفي هذا الصدد يشير أحد الفرنسيين بقوله "أردنا أن نبدأ بالمدرسة لكن فشلنا، فلم نقم بتأسيس المدارس ولكننا ألغينا المدارس التي كانت موجودة قبل مجيئنا كما لمسيد والزوايا و المدارس الإسلامية" ونسجل من خلال هذا الكلام أن الإدارة الاستعمارية عمدت إلى محو التعليم تماما واستبداله بنمط آخر يوجه إلى فئة قليلة جدا من الجزائريين وهو ما تعكسه الأعداد القليلة جدا من المدارس الموجودة مقارنة بجغرافية الجزائر الواسعة، حيث بلغ عددها سنة 1873 (26 مدرسة) و(21 مدرسة) سنة 1876 لينزل عددها مرة أخرى العام 1880 إلى (16 مدرسة) تحتوي على (3172 تلميذا) وهي أرقام مخيفة ترمز إلى تعمد السلطات الاستعمارية إلى فرض طابع عام تجهيلي ظلامي يؤسس لحقبة سوداء عرفتها الجزائر في تاريخها الحديث.⁽²⁾

¹- Poulard.M. op.cit.P ; 82.

* - تعتبر هذه الفترة من أصعب فترات الاستعمار الفرنسي في الجزائر، إذ شهدت تقلصا رهيبا في عدد المدارس التي انخفضت من 38 مدرسة إلى 16 وعدد التلاميذ من 13 ألف إلى 3172 تلميذ، لم تحرك فيها الإدارة الاستعمارية شيئا وبقيت ترضخ لسلطة الكولون بدعوى حاجة الجزائر إلى طرق وسكك حديدية... وليس لتعليم مفلس لا نتيجة له... "عمار هلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، د م ك، الجزائر، 1985، ص 116.

²- غيد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 128.

تسارعت الأحداث والاضطرابات في فرنسا الوطن الأم بعد سنة 1871 حيث وصل إلى الحكم الجمهوريون مرة أخرى وعودة الحكم المدني من جديد، الشيء الذي جعل الجزائر جمهورية صغيرة في الإطار الاستعماري تحكمها سلطة المستوطنين، الذين توطد حكمهم بعد ظهور النظام البرلماني وتشجيع حكومة "ألفيبي" « **Ollivier** » (*) للمستوطنين، إذ أقرت هذه الأخيرة إحلال سياسة مدنية تمثلها وزارة الداخلية بدل وزارة الحربية وطبقت في المناطق الشمالية و الجنوبية التي ظلت تحكمها السلطة العسكرية وبناء على تسارع هذه الأحداث بقي الجزائريون في تخوف مستمر من ملامح النظام التعليمي الجديد، فوقع حالة ارتباك جديدة "للأهالي" خشية تمييع أولادهم وتنصيرهم في المدارس المدنية الناشئة من جديد، وهو الشيء الذي جعل وتيرة التعليم الأهلي تسير ببطء شديد كما اشرنا سالفاً (1)

وسعياً لإعادة بعث التعليم من جديد أصدرت الجمهورية الثالثة مرسوم 15/أوت/1875 والذي نص في مادته الأولى أن "التعليم الابتدائي مجاناً في المدارس العربية الفرنسية بالمناطق العسكرية ويشمل برامج مبادئ اللغة الفرنسية: القراءة والكتابة بالفرنسية ومبادئ الحساب ونظام الأوزان والقياسات وكذلك القراءة والكتابة باللغة العربية" لكن هذا المرسوم لم يأت بالجديد وأثبت عجزاً تاماً لمقاطعة الجزائريين له، وعدم التحاقهم بالمدارس المذكورة، وانعدام المحفزات والوسائل التشجيعية كالمنح وغيرها، فلم تستطع الإدارة الاستعمارية تطبيق هذا المرسوم لانعدام نية صادقة في بناء أقسام ومدارس تكفي حاجة التلاميذ. (2) وقد أشارت الظروف العامة في الجزائر قبل صدور المرسوم المشار إليه سالفاً أن الوضع التعليمي في هذه الأثناء أصبح كارثياً، إذ يشير تقرير حرره عامل عمالة قسنطينة السيد: "دس كلوزو" « **Desclozeaux** » في 18/جانفي/1875 الذي

* - حكومة "ألفيبي" « **Ollivier** » حكومة ظهرت في فرنسا إبان تأسيس الجمهورية الثالثة عقب خسارة "نابليون الثالث" في الحرب السبعينية وفقدان فرنسا لإقليمي الألزاس واللورين، امتدت هذه الجمهورية حتى سقوطها سنة 1940 اثر الاجتياح النازي لفرنسا. (للمزيد ينظر: نادية زروق. سياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة في الجزائر. دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر 2014).

1- رابح دبي: المرجع السابق، ص 71.

2- غيد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 126.

يؤكد التراجع الهام الذي شهدته أرقام الأطفال الأهالي في المدارس المختلطة في هذه السنوات الأخيرة، ثم تبعه تقرير آخر حرره قائد مقاطعة الجزائر في 08/أفريل 1875 الذي قدم شرحًا مفصلاً للمجلس الأعلى حول طريقة غلق العديد من المدارس العربية الفرنسية بسبب نقص المعلمين.⁽¹⁾

لم يستطع مرسوم 15 أوت 1875 إنقاذ المدارس العربية الفرنسية من الزوال والانهيار، ذات الطابع العسكري التي لم تستطع التجاوب مع الحكم المدني الجديد، فصدر مرسوم جديد في 23 فيفري 1883 الذي بموجبه ألغيت هذه المدارس واستبدالها بنوع آخر، بدعوى أنها مدارس مهجورة أصبحت تشكل عبئًا على ميزانية البلديات، خاصة وأنها كانت ضعيفة مقارنة بالحجم الكبير لهذه المدارس، حيث لم تتجاوز "50.000 فرنك وهو قرض مخصص لمساعدة البلديات في إنشاء مدارس لهذا الغرض وظلت هذه القيمة ثابتة حتى سنة 1879 وهي مبالغ ضعيفة جدا لا تستطيع أن تلبى حاجيات هذه المدارس فانهارت تماما وتم استبداله بالنوع المذكور سالفا لتبدأ فترة أخرى في تطور حركة التعليم الأهلي في الجزائر المستعمرة.⁽²⁾ و صدر هذا المرسوم حينما كان وزير التعليم والتكوين "جول فيري" « Jules Ferry » (*) الشخصية المعروفة والمشهورة في تاريخ الحركة التعليمية في الجزائر المستعمرة، الذي جاء بمخطط كبير لإعادة تنظيم التعليم الأهلي تحت إشراف لجنة تتكون من:

-P.foncin.inspecteur général de l'instruction publique.

-A rambaux. Chef de cabinet du Ministre.

¹ - شارل روبيراجون: الجزائريون المسلمون وفرنسا...: المرجع السابق، ص 599.

² - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 131.

* - جول فيري: « Jules Ferry » (1893/1832) محامي ورجل سياسة فرنسي، ونائب جمهوري أوأخر الإمبراطورية (1869) انظم إلى حكومة الدفاع الوطني سنة 1870 إثر الحرب السبعينية، رئيس بلدية باريس، وزير التعليم العمومي (1883/1879) رئيسا للمجلس (1885/1880) عرف بقوانينه المتعددة لمنح الحريات العامة كالتجمع والصحافة والنقابات، عرف اسمه بمختلف القوانين المتعلقة بإصلاح التعليم (مجانية وإجبارية ولائكية التعليم الابتدائي) صاحب مشروع التعليم في الجزائر (مرسوم 1883) (للمزيد ينظر كمال خليل: المرجع السابق، ص 18).

-Buisson. Directeur de l'enseignement primaire.

طبقت هذه اللجنة الخطوط العريضة التي جاء بها المرسوم وهي كالآتي:

- إنشاء مدارس متنوعة ومتخصصة في البلديات التي يسكنها الجزائريون بكثرة "الأهالي" تقسم الى نوعين وهما:

*مدارس رئيسية أو مراكز تسيير من طرف أستاذ فرنسي تحت إشراف الحاكم العام.

*مدارس تحضيرية تسيير من طرف معلم جزائري "أهلي" تراقب من طرف مديرية التكوين والتعليم الفرنسية. كما تم إنشاء مدارس خاصة بالفئات الصغرى (من 03 إلى 08 سنوات) تسييرها مدرسات فرنسيات.

-أما في البلديات المختلطة فقد تم إنشاء مدارس تجمع بين الفرنسيين والجزائريين "الأهالي" في أقسام بحجم 25 تلميذ⁽¹⁾

عموما إذا أردنا تقييم هذه الفترة يمكن القول أنها مرحلة انتقالية بين سقوط النظام الإمبراطوري وإعلان الجمهورية الثالثة، لذلك فجل النظام التعليمي الذي أنشا في بداية 1850 فقد بريقه مع نهاية 1870 بسبب التحولات السياسية الطارئة التي ذكرناها سالفًا وهي الخسارة الفرنسية أمام الألمان ونتائج مقاومة "المقراني" سنة 1871 وبالتالي فكل المحاولات الجديدة لإعادة هيكلة التعليم الأهلي من جديد ظلت بطيئة جدا لمدة فاقت العشر سنوات، وهو الشيء الذي يوحي بضعف وتيرة التعليم خلال هذه السنوات والجدول التالي يوضح ذلك.

الجدول (7) عدد الطلبة الجزائريين من 1872 إلى 1887.

السنة	عدد التلاميذ	النسبة
1872	3272	./0.62

¹-Poular.m :op-cit ,p100-101

1883	4095	./0.77
1886	7341	./1.33
1887	9064	./1.69 ⁽¹⁾

من خلال تأملنا للجدول نلاحظ أن سبة تطور أعداد التلاميذ ظلت بطيئة جدا إذ لم تزد عن 1.7%. خلال خمسة عشرة سنة والتي بقي فيها التلميذ الجزائري يبحث في معاناة عن مقعد دراسي له، باعتبار أن عدد التلاميذ الذين بلغوا سن الدراسة المعمول به خلال هذه السنوات 535389 تلميذ لم يلتحق بالمدرسة سوى نسبة ضئيلة جدا ونتيجة لكل هذه المعطيات والظروف تدهورت المدارس العربية الفرنسية وتراجعت نحو الزوال، خاصة بسقوط الإمبراطورية وظهور النظام الجمهوري من جديد.

وقفت عوامل وأسباب وراء هذا التراجع الرهيب والتي كنا ذكرناها في مواطن متفرقة في دراستنا هذه ولإفادة أكثر نجملها و نلخصها في الآتي:

-العزوف الشديد الذي أبداه الجزائريون اتجاه هذا النوع من التعليم لتعارضه مع الهوية خاصة مسألة تعليم العربية، ورجوعهم إلى التعليم العربي الحر. إضافة إلى ضغط المعمرين⁽²⁾

-الرفض التام من البلديات تقديم قروض لتغطية ميزانية المدارس.

-تدني أجور المعلمين بسبب الضغط الرهيب الممارس من المستوطنين على البلديات.⁽³⁾

بدأت مرحلة جديدة في مسار تعليم الجزائريين، انطلاقا من استشراف لجنة "جول فيري" « Jules Ferry » التي تطرقت لها فيما قبل وهي التي رسمت سياسة جديدة وهامة في

¹ - عمار هلال: المرجع السابق، ص 114-115.

² - ابو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص412.

³ - turin.y.op.cit.P 246

نفس الوقت لتوجيه التعليم الأهلي التي يقول عنها جان ميرانت « jean mirant » " في كتابه "كراسات" أنها"خطة تمثل التقدم الأكثر حسما وهو الذي بدأ وتحقق منذ 1830" كما جسد مرسوم 13 فيفري 1883 وهو نقطة التحول في عملية تنظيم التعليم الأهلي إلزامية البلديات (*) بفتح مدرسة على الأقل في كل بلدية مع مجانيته وإلزاميته عمليا للأوربيين ونظريا للجزائريين⁽¹⁾

كما نص المرسوم أيضا على ضمان الحرية الفكرية في المدارس، إذ رأى البعض أنها لا تكيه بصورة أخرى، كما قررت برامج وكتب لهذه المدارس تتماشى مع أفكار الجمهورية الثالثة وتم استحداث دبلوم خاص يسمى "شهادة الدراسات الأهلية" وأقر المرسوم وظائف جديدة مؤقتة للمفتشين الابتدائيين المكلفين بالمدارس الأهلية تحت إشراف مدير التعليم⁽²⁾

تعتبر هذه المرحلة فترة أخرى من تاريخ الجزائر العصب والمظلم، إذ تغيرت الأحداث والوقائع بتغير النظام السياسي في فرنسا، بعد هزيمة الامبراطور في الحرب السبعينية، فرجعت الجمهورية من جديد وبسياسة جديدة فأجهزت كل الإنجازات السابقة، وأغلقت المدارس العربية الفرنسية بالرغم من قتلها وجفائها، لكن الجمهوريون أنخوا بذلك حتى بصيص الأمل الذي أصبح قائما ولو عند فئة قليلة من الجزائريين. وبدأت حزم المراسيم والقوانين البائسة والتعسفية تصدر تباعاً بعد ثورة "المقراني" كان أخطرها قانون نزع الملكية وأخرى سنذكرها لاحقاً، فرجعت وتيرة التعليم إلى بدايتها الأولى نتيجة للضغط الرهيب للمستوطنين. فساد الجهل والامية من جديد، وتبادلت الإدارة الإستعمارية الأدوار التمثيلية في من يمون تعليم "الأهالي" إلى غاية أن جاء وزير التعليم

* - اختلف نوع التعليم وغطه من بلدية إلى أخرى، إذ يتوجه التلاميذ الجزائريين "الأهالي" في البلديات الكاملة والمختلطة إلى المدرسة الأوربية نفسها إن لم تكن لهم مدرسة خاصة، مع العلم أنهم يدرسون بالفرنسية، أما تلاميذ البلديات الأهلية التي تمثل الجزء الأكبر من الغالبية فالتعليم بالدارجة والفرنسية وهي مدارس خاصة بالأهالي. (ابو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص425).

¹ - ابو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، المرجع السابق، ص425.

² - Collona.F ;op.cit.P ;18

الحديد"جول فيري" « **jules ferry** » وصدور مرسوم 1883 القاضي بإلزامية التعليم ومجانته لكل الجزائريين والذي كان بمثابة ذر الرماد في العين. يضاف إلى سياسة جديدة.

المبحث الثاني: التعليم الابتدائي.

توصف هذه الفترة (1870/1892) بفترة ظلام أخرى عكس الفترات السابقة التي على الأقل شهدت محاولات ولو محدودة، حيث قضت الجمهورية الثالثة على ما تبقى من هذه المدارس وقطعت الدعم الموجه لها من طرف البلديات، بل وفرضت ضرائب أخرى على "الأهالي" عقابا لهم على ثورة "المقراني" وجاء قانون الأهالي "الأندجينا" (*) الصادم لكل الجزائريين والذي عمّد الأمور من جديد، حيث تراجعت أعداد التلاميذ الجزائريين بشكل رهيب، إذ بلغ عددهم سنة 1880 (2814) تلميذ من قرابة ثلاثة ملايين تلميذ جزائري بلغوا سن الدراسة ولم يبق من المدارس المنتشرة في أقاليم الجزائر إلا (16) مدرسة سنة 1882.⁽¹⁾

في سنة 1871 فصلت السلطة المدنية عن السلطة العسكرية فزاد عدد المستوطنين بشكل لافت والذين طالبوا بالحرية الكاملة وساهموا في إحلال السلطة المدنية بدل العسكرية لأنها تخدم مصالحهم وهو الشيء الذي حققته لهم الإدارة الاستعمارية إذ أحلت السلطة المدنية ممثلة في وزارة الداخلية في المناطق الشمالية وتحديدًا أين يستقر أغلبهم، أما باقي المناطق الجنوبية فقد ظلت خاضعة للحكم العسكري التابع لوزارة الحربية وبهذا تقلصت أعداد التلاميذ الجزائريين ولم يبق منهم

* - قانون الأهالي "الأندجينا" مجموعة نصوص وإجراءات استثنائية أصدرتها السلطة الاستعمارية بعد هزيمتها في الحرب السبعينية، بدأت سنة 1871 وألحقت عليها إجراءات أخرى حتى سنة 1881 وبقي العمل بها مدة خمسين سنة كاملة، وبمقتضى هذا القانون اكتسبت السلطة الإدارية اختصاصات وصلاحيات السلطة القضائية وهي: * يخول للحاكم العام توقيع العقوبات دون الرجوع إلى المحاكمة لحفظ الأمن العام. * الأخذ بالمسؤولية الجماعية، بمعنى الفرد إذا ارتكب مخالفة تكون العقوبة جماعية.

* يحق للمتصرفين الإداريين ورؤساء البلديات حبس الأفراد ومصادرة أملاكهم دون محاكمتهم. (للمزيد أكثر ينظر: سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، عالم المعرفة، الجزائر، 2011 ص448.....460).

¹ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص341.

الفصل الثالث: ————— تطور حركة التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر(1871/1892)

إلا جزء قليل، لكنهم تحفظوا على إرسال أولادهم وكانوا يوصونهم بقولهم "لا تسمعوا أو تتعلموا شيئا مما يقوله لكم المدرس، لأنه يريد أن ينسيكم ويعدكم عن دينكم." (1)

بالرغم من صدور مرسومي 1875 و 1883 اللذان أكدا على مجانية التعليم إلا أن هذا المصطلح بقي في خانة المزايدات السياسية، بل ظل البرلمان الفرنسي معارض تماما لفكرة تعليم الجزائريين، والدليل هو حجم الميزانية المقدمة للتعليم إذ لم تتجاوز 30000 فرنك سنة 1883 وهو رقم قليل جدا لا يفي بقطاع هام كالتعليم، إذ عمدت السلطات الاستعمارية إلى شل المدارس وتقليصها تماما بحجة أنها لم تكن تؤدي وظيفة معينة عند التخرج، ولم تكن لها وظائف محددة ولا تضمن مستقبل خريجيها. (2)

لكن بحلول سنة 1883 تم إنشاء 59 مدرسة جديدة، 29 في الجزائر و 23 بعمالة قسنطينة، وللتوضيح أكثر الجدول التالي يبين ويوضح أعداد التلاميذ من 1882 إلى 1886.

الجدول (8) مجموع اعداد التلاميذ من سنة 1882 إلى 1886.

السنة	عدد التلاميذ
1882	5172
1883	4092
1884	4824
1885	5695
1886	7341 ⁽³⁾

¹ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 131.

² - رابح دبي: المرجع السابق، ص 72

³ - عمار هلال: المرجع السابق، ص 116

نلاحظ من خلال الجدول أن نسبة تطور التلاميذ كانت في تذبذب مستمر إذ بدأت برقم ثم انخفضت سنة 1883 مع أنها السنة التي صدر فيها المرسوم لترتفع قليلا السنة الموالية، لتبدأ في الارتفاع لكن ليس بالشكل الكافي والكبير الذي يمثل حجم الجزائريين بصفة عامة.

هي إذن أرقام وإحصائيات تشير بوضوح إلى تذبذب السياسة التعليمية الفرنسية في هذه الفترة، إذ تبين للعام والخاص أن الإدارة الإستعمارية كانت تتعامل بالمثل مع الجزائريين .

ورد في التقرير الذي أعدته اللجنة المشكلة من طرف وزير التعليم "جول فيري" Jules Ferry «
«ferry بعض التغييرات على نظام التعليم الابتدائي، حيث كتب في هذا الشأن "أيميل كومب" Emil Compe »

Emile Combe écrit « C'est le décret de 13 fevrier 1883 prepare sur instruction de monsieur Jules Ferry par monsieur Henri Bourgeois ,Stanislas Bourgeois et Masqueray qui ranimera L' enseignement primaire des indigènes d'Algérie suivant un cadre nouveau »

ونصت المادة(40) من المرسوم على تأسيس مدارس طفولة للجنسين الذكور والإناث، في البلديات المتعددة عكس المختلطة، ولها نفس البرامج في المدارس الأوربية مع إضافة تاريخ وجغرافية الجزائر، وقد استفاد التعليم في الجزائر كثيرا من لجنة جول فيري التي أعطت للتعليم نوعية جديدة حيث تطور عدد المدارس الابتدائية من (16 مدرسة) سنة 1882 إلى (84 مدرسة) سنة 1888 و(34) ملحقة كما تطور عدد التلاميذ من (3172) سنة 1882 ليصل سنة 1888 إلى (10688)...⁽¹⁾

بدأت السلطة المدنية تتوسع شيئا فشيئا في أقاليم الجزائر، فتوسعت بذلك سلطة المستوطنين في المناطق المدنية الراضين لعملية تعليم الجزائريين، واستطاعوا أن يسيطروا على سلطة البلديات وقاموا بتسييرها ففرضوا الغرامات وصادروا أملاك الجزائريين من جديد، فقوت شوكتهم، فزاد عدد البلديات

¹ -Eliaou Gaston guedj :L'enseignement indigène en Algérie au cours de la colonisation (1832/1962) p33.34.

الفصل الثالث: ——— تطور حركة التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر(1871/1892)

الكاملة الصلاحيات، و مثلهم الأميرال "دوقيدون" (*) « **Deguedon** » الحاكم العام الجديد الذي عمل على تفكيك البنية التنظيمية العربية وفي عهده توسعت السلطة المدنية بشكل كبير ومنحت امتيازات كبيرة للمستوطنين وعمل على تطبيق سياسة الاندماج وتحقيق فكرة "ينبغي أن يذوب السكان المسلمون في الحضارة الفرنسية لأن الشعب القادم من الشمال جاء ليستقر في الجزائر" (1)

وفي هذا الصدد يقول وزير التربية "الفريد رامبو" « **Alfrid Rambo** » سنة 1897 "إن الاجتياح الأول للجزائر تم بالسلاح وانتهى سنة 1871 بنزع السلاح بمنطقة القبائل والاجتياح الثاني قد حصل بجعل الأهالي يقبلون إدارتنا وعدالتنا... والاجتياح الثالث سيكون بالمدرسة، يجب عليها أن تعوض الجهل والأحكام المسبقة والمشددة بالمفاهيم الأولية ولكن الدقيقة للعلوم الأوربية..." (2)

ثم خلفه حاكم عام آخر من الحكام المدنيين الجمهوريين يدعى "شانزي" « **Chanzy** » بين "1873/1879" وهو حاكم عام يضاف إلى الحكام السابقين المتطرفين في حق الجزائريين أثناء هذه الفترة الذي زاد من مساحة السلطة المدنية وطور عدد البلديات كاملة الصلاحيات التي يسطر عليها المستوطنون وبعده مباشرة اي حينما تم إنهاء مهامه كحاكم عام على الجزائر، عينت

* - دي قيدون، **Louis Henri-comte Deguedon** (1871/1873) ولد في 22 نوفمبر 1809 بمدينة "فرنيل" من أسرة ايطالية نبيلة تخرج من المدرسة العسكرية عام 1830، أصبح حاكم المارتينيك في 1853 ثم عين حاكما عاما على الجزائر في 1871، صاحب قرار إلغاء المكاتب العربية في 14 سبتمبر 1871 نظم الإدارة في منطقة القبائل، طبق قانون 21 جوان 1871 الذي يقضي بمنح 100 ألف هكتار للنازحين من منطقة الازراس والورين، توفي سنة 1886. (كمال خليل: المرجع السابق، ص 57)

¹ - عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 دار الغرب الإسلامي، بيروت 2005، ص 194.

² - بجاوي مياط مسعودة: المجتمع المسلم والجماعات الأوربية في جزائر القرن العشرين، حقائق وإيديولوجيات وأساطير / مج 1، تر: محمد المعراجي، دار هومة، الجزائر 2010، ص 211.

السلطات الاستعمارية حاكما عاما آخر والذي بدوره ألغى الادارة العسكرية وسلمها للمدنيين.⁽¹⁾

وبهذا القرار أصبح عدد البلديات كاملة الصلاحيات يفوق البلديات المختلطة بشكل كبير حيث بلغ سنة(1881) "196" بلدية من النوع الأول مقابل "77" بلدية مختلطة في الجهة الشمالية من الجزائر ولم يبق العدد عند هذا الرقم بل تواصل في الارتفاع حتى أصبح يقارب(261) بلدية كاملة الصلاحيات مع نهاية القرن، وفي هذا الشأن يقول "جول فيري" « julles ferry » "إن البلديات كاملة الصلاحيات هي استغلال لابن البلد على المكشوف" وقد طبق هذا النظام على الجزائريين بكل قسوة، فكانت مرحلة قاسية جداً تضاف إلى الفترات السابقة، وجسدت بقوانين ومراسيم مجحفة عقابا للجزائريين بعد مقاومة " المقراني" أهمها قانون "نزع الملكية الأهلية" فارني « Varnier » (*)

شهدت هذه الفترة صدور منظومة قانونية غزيرة هدفت كلها إلى تعزيز وجود الكيان الاستعماري على ارض الجزائر وبالمقابل ظلت سياسة وزير التعليم الفرنسي "جول فيري" وراء محاولات ذر الرماد في الأعين الداعية إلى ضرورة تعليم الجزائريين، لكن الحقيقة أن هذه المحاولات كانت تتعرض لمضايقة سلطة الإدارة المدنية التي كان يحميها ويسيرها المستوطنون، فظلت مختلف القوانين والمراسيم التعليمية الصادرة من السلطة الاستعمارية ممثلة في شخص وزير التعليم "جول فيري" تسير بوتيرة بطيئة جداً وفي مناطق محدودة من الجزائر، حيث صدر قانون جديد

¹ - شارل ربيز اجرون: الجزائريون المسلمونو فرنسا..... المرجع السابق، ص 52

* - "فارني" أو "وارني" « Varnier » طبيب جراح، ولد سنة 1810، عين مساعد جراح في مستشفى وهران عام 1832، حيث استقر منذ ذلك الوقت في الجزائر، الحق بالقنصلية الفرنسية لدى الأمير بمعسكر، ثم عين مدير للشؤون الدينية في مقاطعة وهران عام 1848 ثم مقررا لدى المجلس الأعلى للإدارة في الجزائر سنة 1849 وأخيرا أحيل على التقاعد، فتنفرغ للكتابة وكان يدافع عن المصالح الاستعمارية وهو محرم ما يسمى: "الكراسات الجزائرية" التي اعتبرها المعمرون ميثاقا لهم ضد الإمبراطورية. (ينظر: كمال خليل: المرجع السابق، ص 58)

الفصل الثالث: ————— تطور حركة التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر (1871/1892)

سنة (1887) ينظم المدارس الأهلية في الجزائر ويؤكد على ضرورة تعيين أساتذة أكفاء في مدارس الطفولة الجديدة وخاصة مدارس البنات⁽¹⁾

مرة أخرى واجه هذا القانون والقوانين السابقة عراقيل جمة خاصة في قبة مجلس النواب حيث قدم « A rozet » اقتراح أمام البرلمان لإضافة مبلغ (85000ف) لميزانية التعليم في الجزائر، فصوتت الأغلبية من النواب بالرفض المطلق، ب(377) معارض و(140) مدافع من مجموع (517 نائب) وهو دليل آخر على السياسة المحففة المنتهجة في حق الجزائريين الرامية إلى تجهيل الجزائريين، بالرغم من تدخل بعض الشخصيات لتدعيم البلديات بقروض لأجل هذه العملية، لكن المعارضة الشرسة للنواب حالت دون ذلك، بل وأكد بعضهم على وقف التعليم الأهلي الموجه للجزائريين ومنهم: الذي أكد صراحة على الوقف الفوري لهذا التعليم بالرغم من بساطته و في هذا الشأن يقول السيد: "بواسوران" « Boisoran » " لا تزرعوا سيطرة الموظفين العرب، لا تحظروا إطارات الحرب القادمة، لا تعلموا هؤلاء أقوياء الإيمان"⁽²⁾

وقد ركزت سياسة "جول فيري" « Jules Ferry » التعليمية على منطقة القبائل لأسباب معروفة، حيث تم بناء ثماني مدارس تمول من طرف الإدارة الاستعمارية ويسيرها أساتذة أوروبيين، إضافة إلى معلمي القرآن "الطلبة" دون تفسيره⁽³⁾

وتعود هذه السياسة إلى ما قبل عهد "جول فيري" « Jules Ferry » وزير التعليم، حيث عرض الكولونيل قائد « Fort-National » على الحاكم العام "دوقيدون" (1873/1879) مخططا يرمي إلى فرنسة القبائل وكان ذلك في 12 فيفري 1873 "شعب عملنا على تعريبه أكثر مما سعينا في فرنسته أقترح إذن أن نلغي نهائيا جميع المدارس العربية الفرنسية وان" نبذل ما في وسعنا من جهد من أجل أن نلقي الزوايا في طي

¹ - Eliaou Gaston guedj, op.cit.p34.

² - شارل ريبير اجرون: تاريخ الجزائر... المرجع السابق، ص52.

³ - Paulette Dechavanne : L'enseignement en Algérie avant 1962, Conférence prononcée le 24 octobre 1992, à Aix-en-Provence, p23.

النسيان وان نشئ في بلاد القبائل مدارس فرنسية. وبعد مشاورات تم تأسيس مدارس خاصة على كاهل الدولة الفرنسية في منطقة القبائل.⁽¹⁾

لكن وبعد مجيء وزير التعليم الجديد "جول فيري" « Jules Ferry » الذي اشتهر بهذه السياسة، تكفل بمشروع القانون المقترح من طرف الحاكم العام "شانزي" « Chanzy » والرامي إلى ضرورة تمويل التعليم الابتدائي خاصة في منطقة القبائل والذي تمت المصادقة عليه من طرف "المجلس الأعلى في الجزائر" بتاريخ 30 نوفمبر 1878 وعلى اثرها أوفد "جول فيري" سنة 1880 إلى الجزائر موظفين للتحقيق الذي اعتمد على كتيب لصاحبه "إسماعيل إربان" الذي ذكرناه سابقا، عنوانه "التعليم العمومي في الجزائر 1830/1880 باسم صديق فرنسي له يسمى: "فارماستو" « Farmasto » ذكر فيه محاسن هذا المشروع وفي 11 أكتوبر 1880 أبلغ "جول فيري" « Jules Ferry » الحاكم العام رسميا في قرار معروف باسم "الرسالة" برنامجه التعليمي الطامح لتطبيقه، الذي ركز فيه على منطقة القبائل " حيث يقول التقرير على لسان "جول فيري" لا توجد منطقة في مستعمرتنا ينتظر ناسها مقدم معلمينا، بفارغ الصبر، مثل بلاد القبائل حيث يظهر السكان استعجالا أكبر لنزويدنا بالوسائل التي تسهل فتح المدارس فيها".⁽²⁾

وهكذا بدأت سياسة "جول فيري" « Jules Ferry » تظهر نتائجها إذ تطور عدد التلاميذ الجزائريين الذين التحقوا بالمدارس الأهلية بين سنوات (1887 و 1896) من (9064) إلى (19885) بحيث ازداد عددهم بحوالي 1000 تلميذ، لكن إذا أخضعنا العدد إلى إجمالي عدد المتدربين الذين وصلوا السن القانونية نجد قرابة 98% من الجزائريين "الأهالي" لا أمل لهم في الدراسة، إذ تشير إحصائيات الإدارة الاستعمارية إلى: بلوغ عدد التلاميذ الذين وصلوا السن القانونية (535389) أما عدد التلاميذ

¹ - شارل ربيير اجرون: الجزائريون المسلمون و فرنسا... المرجع السابق، ص 611.

² - شارل ربيير اجرون: الجزائريون المسلمون و فرنسا... المرجع السابق، ص 614.

الملتحقين بالمدارس الفرنسية (10631) وعليه فنسبة الالتحاق بالمدارس الأهلية لا تعكس وجود تعليم حقيقي وعادل.⁽¹⁾

وإذا رجعنا إلى مرسوم 1887 نجد أنه لم يأت بجديد ولا يوجد فرق بينه وبين مرسوم 1883 بحيث بقيت إجبارية التعليم ملزمة لأبناء المستوطنين، أما أبناء الجزائريين الأهالي فلم تطبق عليهم هذه المادة إلا إذا توفرت أقسام ومدارس للتعليم، أما الذي جاء في هذا المرسوم مغايراً للمرسوم السابق فهو إضافة بعض الأنواع من المدارس وهي: المدارس العادية: يشرف عليها فرنسيون وفرنسيات.

*مدارس صبيانية: للذكور والإناث الذين تتراوح أعمارهم بين (4 و8 سنوات).

*المدارس الرئيسية: هي مدارس ابتدائية موجودة في المراكز الأهلية البعيدة عن القرى⁽²⁾

وإذا رجعنا إلى مرسوم (13 فيفري 1883) نجد أنه تعرض لكيفية تطبيق إجبارية التعليم وحدد آليات تنفيذه وتطبيقه، فقد وضع مجلس للتعليم على مستوى البلدية وآخر على مستوى العمالة، أما الأول فيترأسه رئيس البلدية ومعه أعضاء يقومون بتحضير القوائم الاسمية للأطفال الذين بلغوا سن الدراسة، كما نص المرسوم أيضا على استحداث شهادتين للتعليم، الأولى للتعليم الابتدائي والثانية للتعليم الابتدائي العالي.⁽³⁾

في سنة 1891 تم تشكيل لجنة من طرف مجلس الشيوخ الفرنسي سميت "اللجنة الثماني عشرة" للتقييم السياسة الأهلية ومن بينها التعليم، كان هدفها تقصي الحقائق حول مسائل ظلت

¹ - عمار هلال: المرجع السابق، ص 116

² - رابح دبي: المرجع السابق، ص 95.

³ - محفوظ قداش: المرجع السابق، ص 114-115.

الفصل الثالث: ——— تطور حركة التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر (1892/1871)

محل شكايون رفعها الجزائريون في شكل عرائض إلى السلطات الاستعمارية في "باريس" وقد بدأت هذه اللجنة تؤدي عملها بالجزائر.⁽¹⁾

وكان من نتائج هذه اللجنة، المبادرة التي اتخذها ممثلها في الجزائر، مفتش الأكاديمية "جونمير" « **Jeanmaire** » تشكيل لجنة خاصة بالتعليم مقرها "قسنطينة" هدفها إعداد البرامج الخاصة بمدارس التعليم الأهلي في سنة 1889. والذي وصل عددها إلى خمسة وسبعون مدرسة، منها ثلاث مدارس رئيسية فقط، تتواصل فيها الدراسة بشكل مستمر وتسعة وثلاثون مدرسة للطور الابتدائي الأول⁽²⁾ أما مقرر اللجنة "السيد كومب" « **Compe** » والذي تكلمنا عنه سابقا فقد حرر تقريرا شاملا وفي غاية الدقة^(*) وهو متوفر بين أيدينا والذي تكلم فيه عن الحالة العامة للتعليم الأهلي في نهاية الثمانينات، ورده عن المستوطنين الراضين لفكرة تعليم "الأهالي" كما وضع الكثير من الاقتراحات الهادفة إلى توسيع دائرة التعليم الأهلي وخاصة الابتدائي منه، بضرورة فتح مدارس لأطفال "الأهالي" كما ركز على الأداء المتبع في طرق التدريس من طرف الجهاز المؤطر لهذه المدارس⁽³⁾

بالرغم من هذه الإصلاحات التي جاء بها وزير التعليم العمومي "جول فيري" « **Jules Ferry** » والتي جسدها مرسوم 1883 الداعي إلى اجبارية التعليم وإلزاميته إلا أن الإدارة الاستعمارية بقيت تمارس الاجحاف والقهر اتجاه المجتمع الجزائري حيث سعت لتكريس الفكر العنصري بتقديم منطقة عن الأخرى إذ ركزت على منطقة القبائل التي أرد الفرنسيون أن يصنعوا بها التميز والتفرقة ونشر الكراهية بين أفراد المجتمع الواحد.

¹ - شارل ريبير اجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا، المرجع السابق، ص 447-448.

² - جمال قتان: المرجع السابق، ص 124. للمزيد أكثر انظر تقرير مفتش أكاديمية الجزائر.

* - تقرير ثري تميز بغزارة المعلومة ونزاهتها، في عرض الواقع الحقيقي المعاش بالنسبة للأهالي والدفاع عنهم في الحصول على حقهم في التعليم، والذي يعتبره الأسلوب الأسهل لإدماجهم في الدائرة الفرنسية، اعتمد فيه على مائة وثمانين تقريرا تفتيشيا حول التعليم الأهلي خلال سنوات الثمانينات كما استشار بعض المعلمين الأهالي أمثال بن رحال وبن صديرة. (للمزيد ينظر محفوظ قداش: المرجع السابق، ص 125.)

³ - Emile Combes : **Rapport sur L'enseignement indigène en Algérie**. Paris, 1892 . P 28..

كذلك نجد ان مجموع الأعداد التي كانت تتوفر عليها الجزائر من التلاميذ والأطفال الذين وصلوا سن التعليم قد فاق عددهم حجم الصفوف التي تم بناؤها والتي تكلمت عنها سياسة "جول فيري" التعليمية وبالتالي فهي أساليب لا تعدوا ان تكون من الماضي، ولكن هذه المرة بطريقة أخرى. إضافة الى مرسوم 1883 لم يأت مرسوم 1887 بالجديد إذ حافظ على بنوده الأولى في إلزامية التعليم واجباريته، لكن السياسية العامة بقيت دون فاعلية تذكر إذ ظل المستوطنون يضغطون على السلطة المدنية، فكان التعليم لأبنائهم بدل الجزائريين.

المبحث الثالث: التعليم الثانوي.

تأثر التعليم الثانوي بنفس الأوضاع التي ذكرناها سابقا بخصوص تعليم الجزائريين "الأهالي" بصفة عامة، حيث انكمش وضعف مردوده بإلغاء المدارس العربية الفرنسية إذ لم يكن تلاميذ يوجهون إلى هذا الطور، حيث صدر مرسوم من الحاكم العام "دوقيدون" في 28 أكتوبر 1870 يلغي المعاهد العربية الفرنسية ذات المستوى الثانوي والحق طلابها بمعهد قسنطينة وثانوية "الجزائر" مع فصل التلاميذ الجزائريين عن الأوربيين.⁽¹⁾

وبدأت أعدادهم في التناقص شيئاً فشيئاً والذين كانوا يوظفون من طرف "المكاتب العربية" وفقاً للمصلحة التي تحتاجها الإدارة الاستعمارية وهي فئة من الجزائريين من أبناء الأعيان والأسر النافذة.⁽²⁾ النافذة.⁽²⁾

وقد انعكست هذه السياسة سلبا على تناقص عدد الطلاب خاصة بعد 1880 بفعل زوال المدارس العربية الفرنسية والجدول التالي يوضح عدد الطلاب الملتحقين بالمعاهد العربية الفرنسية.

الجدول(9) عدد الطلاب بالمعاهد العربية الفرنسية

الشهر والسنة	عدد الطلاب
--------------	------------

¹ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 132.

² - Galland ; Histoire du collège d'Alger, paris, p :55.

88	جانفي 1872
83	ديسمبر 1872
84	ديسمبر 1873
86	ديسمبر 1874
90	ديسمبر 1875
94	ديسمبر 1876
93	ديسمبر 1877
104	ديسمبر 1878
100	ديسمبر 1879
100	ديسمبر 1880
(1)	

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن العدد تزايد بشكل بطيء جدا وهو رقم لا يمثل إطلاقا حجم التلاميذ في ذلك السنوات وهذا دليل على تقلص المدارس العربية الفرنسية التي كانت تصدر التلاميذ لهذه المعاهد. فإذا تأملنا هذه الأعداد نجد أنها لا ترقى تماما إلى حزمة المراسيم والقوانين التي كانت تصدرها الإدارة الاستعمارية. مقارنة بتعداد الأطفال والتلاميذ الذين أهملوا وغيبتهم السياسة التعليمية المححفة المطبقة من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي.

وقد تكون هذه الأرقام خاطئة تعمدتها الإدارة الفرنسية وبالموازاة فإن التلاميذ الذين التحقوا بهذه الثانويات كلهم ينتمون إلى العائلات التي خدمت الاستعمار (باشا، اغا، قايد...) وذلك لأجل كسب معونة ومساعدة هذه العائلات في السيطرة على كل المشاكل والانتفاضات الشعبية، وقد علق عليهم مستشار الحكومة السيد "شوفو" « Choveau » بقوله "هؤلاء الرؤساء العرب كانوا مفيدين

¹ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 133.

الفصل الثالث: ————— تطور حركة التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر(1871/1892)

لنا خاصة عندما يحايدون تأثيرا آخر أكثر خطورة، هو تأثير المرابطين الذين كانوا ويكونون معادين لنا دائما⁽¹⁾

ظل التعليم الثانوي يمر بنفس الظروف التي يعيشها التعليم الأهلي بصفة عامة، حيث تشير إحصائيات (1886-1887) إلى مجموع عدد التلاميذ في الطور الثانوي إلى:

(2789 تلميذ) منهم (101) تلميذ جزائري من مجموع (3.262.422) بينما قدر عدد الأوربيين القاطنين بالجزائر (434.831) وهذا دليل صارخ على عدم تكافؤ الفرص بين الطرفين ويبين أن التعليم الأهلي كان حكراً على أبناء العائلات الأرستقراطية وفي انخفاض مستمر حيث كان عددهم سنة (1876) (226) تلميذ، ثم انخفض إلى العدد المذكور سالفا مما يؤكد مرة أخرى أن هؤلاء التلاميذ المتبقين هم أبناء هذه العائلات.⁽²⁾

عمدت هذه السياسة إلى تخفيض أعداد التلاميذ الجزائريين لفترة زمنية لا يستهان بها وهو الشيء الذي أدى إلى تناقص رهيب في أعداد التلاميذ الملتحقين بالتعليم وفي هذا الصدد يوجد جدول مأخوذ من تقرير "جون مار" Jean mair «لسنتي (1897 و1898) يبين استمرار الإنخفاض حتى نهاية القرن التاسع عشر وهو كالتالي:

الجدول (10) عدد الطلبة في المعاهد والثانويات (1897/1898)

الجزائريون		الأوربيون		المؤسسات
1898	1897	1898	1897	
40	52	1665	1631	الثانويات
44	38	1030	971	المعاهد

¹ -Merad Ali, **Regard sur L'enseignement des Musulmans en Algerie 1880-**

1960, Alger, 1963, P605.

² - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 189-190.

المجموع	2602	2695	90	84
الفرق		93+		6- (1)

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن عدد تلاميذ الثانوي الجزائريين حتى إن كانوا من أبناء العائلات المنتفذة إلا أنهم قلة قليلة تنقص سنة تلوى الأخرى، عكس التلاميذ الأوربيين الذين كانوا يتزايدون بكم هائل مع رعاية أوفر، ليتجهوا إلى التعليم العالي فيما بعد الذي حرم على الجزائريين بتاتا ناهيك عن التعليم الثانوي الذي كان أضعف من التعليم الإبتدائي بحكم قلة التلاميذ الذين زاولوا الدراسة وهو مانعكس سلبا على هذا الأخير الذي تكشفه الأرقام والإحصائيات مادام أن عدد المدارس الإبتدائية يعد، فما بالك بمجموع الثانويات التي لا تعدوا أن تكون واحدة أو إثنان في كل إقليم من أقاليم وعمالات الجزائر.

عموما إذا تأملنا في واقع التعليم الثانوي من بداية تأسيس المدرسة الأهلية نجده ضعيف جدا ولا يرقى إلى مصاف التعليم. بالرغم من كل السياسات المذكورة سالفنا من بداية الإمبراطورية حتى سنة 1892. خاصة بعد إلغاء المعاهد العربية الفرنسية على يد الحاكم العام "دوقيدون" في بداية 1870 الذي حال دون بناء ثانويات تستعيب على الأقل الأعداد المحتشمة للمدارس الإبتدائية. على غرار التعليم الأهلي الفرنسي الرسمي، أرادت الإدارة الاستعمارية أن تسيطر على التعليم العربي الحر الذي كان يشكل خطرا على الوجود الاستعماري، فارتأت إلى تأسيس ما يسمى بالمدارس الإسلامية الثلاثة التي اشرنا إليها سابقا وذلك لأجل السيطرة على ما التعليم العربي الحر والإشراف على المتخرجين منه حتى تتقي عداوتهم ويكونوا في صفها لذلك حاولت السلطات الاستعمارية الاستلاء على هذه المدارس حتى تظهر للجزائريين احترامها للإسلام وتتصدى بذلك لتعليم الزوايا والطرق الدينية، فأرادت أن تشارك رجال الدين كما كانت تسميهم

الفصل الثالث: ————— تطور حركة التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر(1871/1892)

في إدارتها ونفوذها، لكن هذه المدارس التي أنشأتها اهتمت بالدراسات الفرنسية أكثر من الدراسات الإسلامية خاصة بعد سنة 1876.⁽¹⁾

صدر مرسوم 1876/02/16 بهدف تنظيم هذه المدارس وتوجيهها لخدمة أهداف الإدارة الاستعمارية، لأنها لم تكن قادرة على تغطية النفقات العامة لهذه المدارس، لذلك ركز هذا المرسوم على ضرورة تنظيمها وتوجيهها لصالح خدمة الإدارة الاستعمارية وهو هدف سياسي أكثر منه تربوي تعليمي، فأرادت أن تسيطر على مواقف المدرسين الجزائريين في هذه المدارس ونفس الهدف بالنسبة لطلبة هذه المدارس حيث تستقبل إلا النخبة المثقفة الموالية للاستعمار.⁽²⁾

قبل صدور هذا المرسوم القاضي بتنظيم هذه المدارس وجعلها في خدمة النظام الفرنسي سبقته مراسيم أخرى كان منها مرسوم 1863 الذي أعطى سلطة المراقبة للإدارة الاستعمارية، ثم جاء القرار الإمبراطوري الصادر في 1865/06/25 الذي كرس الطابع الفرنسي مرة أخرى لهذه المدارس، لتختتم بالمرسوم السالف الذكر (1876/02/16) الذي حدد الهدف العام لهذه المدارس الهادف إلى تكوين موظفين بطابع فرنسي في مجال القضاء والتعليم بغية السيطرة التامة على شؤون المسلمين الجزائريين. كما أعفى المرسوم حاكم المنطقة العسكرية.⁽³⁾

وقد سميت هذه المدارس الإسلامية فيما بعد بمقتضى مرسوم (1876/02/16) وتشريع (1877/03/07) (Ecoles supérieures de droit Musulman) المدارس

العليا للقانون الإسلامي، إذ تحتوي كل مدرسة على ستة أساتذة (ثلاث فرنسيين وثلاث جزائريين) يؤطرون طلبة بنظام داخلي مدة ثلاث سنوات، لاتقل أعمارهم عن سبعة عشر سنة. تحت إدارة وإشراف مدراء يسيرون هذه المدارس الأكثر حساسية ويشغلون وظائف أخرى وهو أمر

¹ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 137-138.

1- المرجع نفسه: ص 188.

³ - Poulard.m : op-cit. p : 69.

مقصود حتى لا يقدموا عناية واهتماماً بهذه المدارس في حالة تفرغهم لإدارتها وتسييرها وبالتالي "لا تقدم تعليماً وافياً وكافياً".⁽¹⁾

ونتيجة لهذا الإصلاح(*) الذي كرسه مرسوم(1876/02/16) بدأ عدد الطلبة في التناقص خلال سنوات1877،1878 و إلى1891 حيث نقص عددهم في مدرسة "تلمسان" الى40 طالبا بعدما كان50 طالبا بين سنوات(1860و1881) ثم نزل العدد الى21 طالبا سنة1890 كما أثرت هذه الإصلاحات سلبا على جموع الطلبة الملتحقين بالمدارس وكانت سببا في نقصان أعدادهم، حيث أصبحت ملفاتهم تفحص فحفا دقيقا من طرف الحاكم نفسه، إذ يركز على الانتماء السياسي والاجتماعي وسيرهم وعلاقتهم بالإدارة الفرنسية قبل وبعد الدراسة. إضافة إلى البرامج الهزيلة(*) التي كرسها هذه الإصلاحات.⁽²⁾

كما قلصت ميزانية هذه المدارس خاصة في سنتي(1877و1878) حيث رفضها البرلمان الفرنسي نهائيا فتوقف نشاطها تماما وشهدت ركوداً بسبب انعدام الأموال العامة القادمة من المتروبول.⁽³⁾

¹ -Rinn.L : Note sur l'instruction Publique Musulmane, en Algérie, alger 1882, p : 27.

* - تطرقت جريدة المبشر في عددها الثاني عشر سنة1877 إلى المراسيم والقرارات التي جاءت بهذه الإصلاحات، التي تضمنت إدارة ورواتب وبرامج هذه المدارس بالتفصيل، إضافة إلى حقوق وواجبات طالبي الوظائف الإسلامية(المبشر، ع12، ماي1877)
* - ذكرت المادة الرابعة من المرسوم(1876/02/16)برامج هذه المدارسسوهي كالآتي:

1- تعليم اللغة الفرنسية، التاريخ، الجغرافية، الحساب، بعض مبادئ القانون الفرنسي، القانون المدني، القانون الجنائي والإداري.
2- تعليم اللغة والأدب العربي، علم التوحيد، القانون الإسلامي.
الملاحظ هنا أن اللغة العربية والتعليم الديني رتب في المرتبة الثانية، وهو ما يناه الطابع العام لهذه المدارس.
كما وضعت شهادة يتخرج بها الطالب من هذه المدارس بعد انقضاء ثلاث سنوات تحمل اسم شهادة الدراسات الإسلامية.

(Rinn. l: op.cit,P :36.

² - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص378.

³ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص140.

الفصل الثالث: ————— تطور حركة التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر(1871/1892)

لقد مارس الاستعمار الفرنسي الاجحاف في حق الجزائريين طيلة الفترة المدروسة، إذ امتدت سياسته حتى إلى التعليم الاسلامي الذي يشرف عليه ويسيره وفق برامج ، ومناهجه، اذ نسجل تناقصا رهيبا في عدد الطلبة الذين يلتحقون بالمدارس الشرعية الثلاثة وهي نفس الملاحظة المسجلة سالفا بخصوص التعليم الثانوي العادي، فلا الأول نجا من السياسة المحففة ولا الثاني حقق اهدافه، وهذا دليل على عقم هذه السياسة المقصودة.

المبحث الرابع: المراسيم التعليمية الفرنسية:

إذا نظرنا إلى فترة حكم الجمهوريين من 1871 الى 1892 نجد مرحلتين مهمتين الأولى من(1871حتى1880)والثانية من(1880 حتى1892) فالتعليم الذي أسس في العهد الإمبراطوري بمراسيمه وهياكله وبرامجه انهار تماما كما سبق وان ذكرنا في الفترة الأولى من الحكم الجمهوري وذلك للنية المبيتة التي جاءت بها السلطة المدنية السياسية وهي عدم تثقيف الشعب الجزائري والعمل أكثر على تجهيله، لتأتي مرحلة ثانية بداية من سنة 1880 وهي الفترة التي تولى فيها "جول فيري" « Jules Ferry » وزارة التعليم الفرنسية التي ستشهد انطلاقة جديدة لحركة التعليم الأهلي في الجزائر، بصدور أهم المراسيم المنظمة للتعليم في تاريخ الجزائر المستعمرة والتي سنقوم بذكرها وشرحها بالتفصيل وهي كالآتي:

1-مرسوم 13فيفري1883. صدر هذا المرسوم الجمهوري لتنظيم التعليم الأهلي، وبنص على

مايلي:

1- تلزم البلديات على تأسيس مدرسة أو مدارس مجانا للأطفال الأوربيين والأهالي على حد سواء (المادة: من 1 الى 4)

2- يؤسس نفس التعليم ونفس المدارس لكل من الأطفال الأهل والأوربيين في البلديات كاملة السلطة والبلديات المختلطة (المادة: 38 الى 41)

3- يعطي التعليم في البلديات الأهلية باللغتين العربية والفرنسية في مدارس خاصة المادة:

(42الى43)

4- يثبت مبدأ إجبارية التعليم والزاميته.

5- علمانية التعليم وضمن حرية الفكر عند التلاميذ(المادة:35)

6- تؤسس ثلاث أقسام للمعلمين "موجهة لتحضير الأهالي إلى وظائف التعليم"(المادة:37)7-

إحداث كتب خاصة بالتعليم الأهلي(المادة:37)

8- إحداث شهادة خاصة في شهادة الدراسات الأهلية(المادة:31)

9- تأسيس هيئة من المدرسين الأهلي.(المادة:39)

يعتبر هذا المرسوم إذاتأملنا في بعض مواد حدثا هاما ونقطة تحول في تاريخ المدرسة الأهلية في الجزائر المستعمرة، إذ نسجل لأول مرة بالرغم من المحاولات التي بادرت بها الامبرطورية في الخمسينات من القرن التاسع عشر إنشاء نظام تعليمي منظم ومقن موجه للجزائريين "الأهالي" ليس كباقي المحاولات السابقة.⁽¹⁾

فُسم التعليم الابتدائي إلى صنفين بمقتضى بنود ومواد هذا المرسوم، وفقا لنماذج البلديات الموجودة في الجزائر وهي: البلديات الأهلية والبلديات كاملة الصلاحيات.

أ- **البلديات الأهلية:** وتم فيها إنشاء ثلاثة أنواع من المدارس وهي كالأتي:

*المدارس الرئيسية(Ecoles Principales) وتسمى أيضا مدارس المركز، يسيرها

مدرس فرنسي يعينه الحاكم العام باقتراح من مديريةية التعليم.

¹ -Colonna :op-cit.p : 99.

*المدارس التحضيرية: يشرف عليها (Ecoles Préparatoires) وتسمى مدارس الأقاليم. ممرنون ومدرسون جزائريون تحت تصرف المدرسين الفرنسيين، تؤسس بقرار من الحاكم العام وباقتراح قائد المنطقة العسكرية، أو بناء على طلب مفتش الأكاديمية.

*المدارس الصببانية (Ecoles Infantines) وفقاً للنموذج الأوربي، موجهة للأطفال.

*المدارس التحضيرية: (Ecoles Préparatoires) وتسمى مدارس الأقاليم.

يشرف عليها ممرنون ومدرسون جزائريون تحت تصرف المدرسين الفرنسيين، تؤسس بقرار من الحاكم العام وباقتراح قائد المنطقة العسكرية، أو بناء على طلب مفتش الأكاديمية.

*المدارس الصببانية: (Ecoles Infantines) وفقاً للنموذج الأوربي، موجهة للأطفال.

ب- البلديات المختلطة كاملة الصلاحيات: أسست فيها مدارس عمومية للأوربيين والجزائريين

وهي مدارس واقعة قريباً من المواقع الفرنسية، تستقبل العنصر الجزائري غالباً، لكنها بقيت حبراً على ورق بسبب ضغط المستوطنين.⁽¹⁾

ركز مرسوم 13/فيفري 1883 على إجبارية التعليم إذ طبق على كل الشرائح التي كانت تخضع للسلطة الاستعمارية من يهود و أوربيين وجزائريين، بنسب متفاوتة إذ يكون إلزامياً على الجزائريين "الأهالي" إذا توفرت المقاعد الدراسية وتوفرت وسائل التعليم وهو العائق الذي حال دون تطبيق مواد هذا المرسوم على غالبية الجزائريين وظل مقتصرًا على فئة معينة، إضافة إلى إهماله لتعليم البنات ماعداً في المدارس الصببانية وفي هذا يقول مدير التربية "جون مير" « Jeanmaire » :

"عندما أتكلم عن الأطفال أقصد الذكور فقط، لأنه لم يخطر على بالنا أبداً فتح المدارس للبنات المسلمات...⁽²⁾

¹- Paulard : op-cit. : 101.

²- Clachaud Ch : rapport sur L'instruction publique en Algérie : p. 62.

والجدول التالي يبين بوضوح عدد التلاميذ والطلاب الجزائريين في جميع الأطوار خلال السنة الدراسية(1887/1888) في الأقاليم الثلاثة"الجزائر-قسنطينة-وهران" من الجنسين ذكور وإناث.وفي كل المستويات من الإبتدائي إلى الثانوي سواء المدارس او الثانويات أو المعاهد، كما يشير إلى صف المعلمين بالأرقام وفي كل عمالات الجزائر،وهو على النحو التالي:

الجدول(11)عدد التلاميذ الجزائريين في جميع الأطوار(1887/1888)

المقاطعات	مدارس الحضانة				المدارس الابتدائية	صف المعلمين	المعاهد والثانويات	المدارس والثانويات	المجموع
	ذكور	إناث	ذكور	إناث					
الجزائر العاصمة	119	99	4026	307	25	43		4641	
قسنطينة	43	43	4085	394	23	50	18	3656	
وهران		76	1058	212	؟	18	36	2361	
	162	209	9069	913				10688	
	471		9982		48	111	76	(¹)	

من خلال الجدول نلاحظ:بقاء التعليم الأهلي مقتصرًا على بعض أبناء العائلات التي تخدم الاستعمار وتكريس سياسة المستعمر في تغليب الرأي العام بأنها حريصة على تعليم الجزائريين.وأعداد قليلة جدا من التلاميذ الجزائريين مقارنة بما جاء به المرسوم من إجبارية

¹ - jeanmaire ;Rapport sur la situation de L'enseignement en Algérie.(1887-1888).P ;67
1888).P ;67

التعليم. لكن إذا تفحصنا نتائج هذا المرسوم نجد أنها ظهرت عكس ما جاءت به مواده، ففي المادتين: 42 و43 مثلاً من المرسوم تؤكد على أن التعليم في المدارس يعطى باللغة الفرنسية والعربية، غير أن الواقع أثبت غير ذلك، إذ منع تلاميذ القسم المتوسط والعالي من التكلم بالعربية، بل أُجبروا على الفرنسية حتى في أوقات الاستراحة، كما نص المرسوم صراحة في مواده: (1 و2 و3 و4) على وجوب فتح مدرسة على الأقل في كل بلدية لاستقبال التلاميذ على حد سواء دون التفرقة بينهما وهذا ما لم يتم بتاتا، كما أكدت المواد: (38 حتى 41) على ضرورة توحيد التعليم لكلا الطرفين، لكن القائمين على شؤون البلديات أسسوا مدارس للأوروبيين تقدم تعليماً جيداً وأهملوا الجزائريين.⁽¹⁾

عموماً إذا راجعنا كل المواد التي جاءت في هذا المرسوم، نجد أنها بقيت حبراً على ورق وكانت محاولة لتغليب الرأي العام أن الإدارة الاستعمارية حريصة على تعليم الجزائريين هو الشيء الذي لم يحدث إطلاقاً طيلة سبعين سنة من الاحتلال والجدول الموالي يوضح: تطور عدد التلاميذ في المدارس الفرنسية الخاصة بالأهالي في الفترة الممتدة من 1882 إلى 1890

الجدول (12) تطور عدد التلاميذ في المدارس الأهلية من 1882 إلى 1890.

السنة	عدد التلاميذ	السنة	عدد التلاميذ
1882	3127	1886	7341
1883	4095	1887	9064
1884	4821	1888	10638
1885	5695	1889-1890	11206 ²

الملاحظ في الجدول يكشف مرة أخرى أن المواد التي جاء بها المرسوم وخاصة التي تشير إلى إلزامية فتح مدرسة على الأقل في كل بلدية. لم تطبق بتاتا والدليل هو هذه الإحصائيات التي يحملها

¹ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص: 141.

² - عمار هلال: المرجع السابق، ص 115

الجدول اذ نجد خلال ثلاث سنوات مجموع عدد الطلبة وصل الى الفين وخمسمائة تلميذ وهو رقم بسيط جدا مقارنة بآلاف الطلبة في سن الدراسة بمعنى أن هذه المدارس قد فتحت في المدن الكبرى فقط وبارقام محتشمة. ثم إرتفع الى ستة آلاف تلميذ جديد أي بمجموع تسعة آلاف تلميذ في ظرف ثماني سنوات وفقا لمرسوم 1883 و 1887 وكلاهما يدعوا الى إلزامية التعليم. وهوالتناقض بعينه. فالمراسيم بقيت نظرية أما التطبيق فلا يتعدى أجزاء بالمائة. وهي عشرات مقصودة تضاف إلى السنوات السالفة الذكر.

ونفس المثال ينطبق على عدد المدارس التي تأسست بموجب هذا المرسوم فقد كانت قليلة جداً لاتف بالغرض المنشود أمام جموع طلبة غفير جداً، لذلك فالأرقام المنشورة تؤكد الشح الكبير في عدد المدارس والأقسام، إضافة إلى المعلمين والمعلمات المؤطرين للعملية التربوية في هذه المدارس. وبخصوص هذه الهياكل الضعيفة لدينا جدول آخر مأخوذ من تقرير المفتش العام "جون مار" « **Jeanmaire** » وهو كالتالي:

الجدول(13) أرقام توضح الهياكل التربوية في الجزائر.

معلمون و معلمات						مدارس وأقسام				
مساعدات	ممرنون	مساعدون	مساعدات	مساعدون	مدراء	أقسام	مدارس	مدارس	مدارس	المقاطعات
زوجات المدرسين	جزائريون	جزائريون	فرنسيات	فرنسيون	فرنسيون	ملحقة	تحضيرية	أهلية عادية	رئيسية	
6	46	2	3	9	20	12	18	20	1	العاصمة
1	36	؟	2	2	16	9	27	14	2	قسنطينة
؟	22	2	؟	7	9	13	3	9	؟	وهران
7		4	5	18	45	34	48	43	3	المجموع

	104								
١.		183				34			

ب-مرسوم 1887: صدر هذا المرسوم ليتم ويؤكد مرسوم 1883 و1885 وينظم التعليم العمومي والخاص وبموجبه تأسس نوعان آخران من المدارس وهما:

1-مدارس عادية:(Ecoles ordinaire) يشرف عليها فرنسيون وفرنسيات.

2-مدارس صيبانية للأطفال الذكور والإناث من(4الى7)سنوات بالنسبة للذكور ومن(4الى8)للإناث تحت إشراف فرنسي ومساعدة جزائرية.

*حدد مرسوم 1887 القصد من المدارس الرئيسية الذي لم يحدده مرسوم 1883 وهي المدارس الابتدائية المؤسسة في المراكز الأهلية الهامة البعيدة عن القرى الأوربية.
*يشارك التلاميذ الجزائريون في المسابقات والامتحانات المبرمجة للأوربيين.
*أبقي المرسوم سلطة مدير التعليم في تعيين المعلمين والمدرسين.

*لم يأت هذا المرسوم بأي جديد يذكر وظل التعليم العمومي على حاله، بحجة عدم وجود ميزانية لتغطية العملية التعليمية ولم تطبق إلزامية التعليم إلا على أبناء المستوطنين، في حين بقي أبناء الجزائريين ينتظرون مقاعد للدراسة.⁽²⁾

*ألغى هذا المرسوم المكافأة المالية التي تقدر ب300 فرنك، التي جاء بها مرسوم 1883

*ألغى المرسوم شهادة التعليم الابتدائية العادية الخاصة بالجزائريين.⁽³⁾

¹ -Jeanmaire : op-cit, p65.

² - رابع دي: المرجع السابق، ص85.

³ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص150

عموما فإن مرسوم 1887 لم يأت بجديد يذكر هو الآخر حيث أبقى على إلزامية التعليم بالنسبة لأبناء المستوطنين، في حين يبقى أبناء الجزائريين ينتظرون فرص توفر أقسام⁽¹⁾

إذا أجرينا مقارنة بسيطة بين المرسومين (1887/1883) نجد أن الثاني صدر ليؤكد الأول وليس ليتمم بمعنى أن المرسوم الأول نص على إلزامية التعليم ومجانيته. لكنه لم يطبق والارقام السالفة الذكر دليل على ذلك. أما الثاني فقد أكد مرة أخرى على إجبارية التعليم ومجانيته.

تبقى فروق بسيطة بين المرسومين حيث وضع مرسوم 1887 القصد من المدارس الرئيسية وهي مدارس إبتدائية بعيدة عن مكان تجمعات الأوربيين. كما ألغى المرسوم الثاني المكافأة المالية التي قررها المرسوم الأول. إضافة إلى إلغاء شهادة التعليم الإبتدائية الخاصة بالتلاميذ الجزائريين. وهي فروق قليلة جداً بالنظر إلى حجم هذين المرسومين.

المبحث الخامس: البرامج والميزانية.

في ظل الحماس الذي جاء به مسؤولو الجمهورية الثالثة وعلى رأسهم وزير التعليم "جول فيري" « Jules Ferry » وتحديدًا بين سنوات (1887 و 1892) أعيد بناء مناهج وبرامج جديدة، لذلك شكلت لجنة تعرف بلجنة قسنطينة هدفها وضع خطة دراسات وبرامج للتعليم الابتدائي الأهلي في الجزائر، فبدأت بدراسة أوضاع المدارس العمومية الأهلية بدون تمييز وحافظت اللجنة على مواد التدريس المبرمجة سابقا في المدرسة الابتدائية، مع إدخال مادة تاريخ وجغرافية الجزائر.⁽²⁾ وقد ركزت الإدارة الاستعمارية على تغيير سياستها اتجاه الجزائريين "الأهالي" بالعمل

¹ - رايح دبي: المرجع السابق، ص 85.

² - ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، المرجع السابق، ص 424.

على تحريف كل مايرمز إلى تاريخ وجغرافية الجزائر و عملوا على التفريق بين العرب والأمازيغ ورسخوا فكرة عدم التجانس بين القوميتين إلا بالقوة في فترات مهمة من التاريخ⁽¹⁾

لذلك عمد الاحتلال الفرنسي إلى نشر هذه الفكرة والعمل على غرسها في الأجيال الجديدة تحت إشراف مدارسها من اجل صنع نخبة تتغنى بعظمة فرنسا ومجدها ولأجل ذلك جندت المدرسة الأهلية لتطبيق سياستها الجديدة الرامية إلى القضاء على ما تبقى، فشجعت الكتابات الداعية إلى ضرب هوية المجتمع الجزائري ونعته كونه ليس أمة بل وركزت عليه في برامجها التعليمية وعليه كتب أحد منظري ومشجعي هذه الفكرة حيث قال:

"إن أحسن وسيلة لتغيير الشعوب البدائية في مستعمراتنا وجعلهم أكثر ولاءً وأخلص في خدمتهم لمشاريعنا هو أن نقوم بتنشئة أبناء الأهالي منذ الطفولة وأن نتيح لهم الفرصة لمعاشرتنا باستمرار وبذلك يتأثرون بعاداتنا الفكرية وتقاليدينا، فالمقصود إذن باختصار هو أن نفتح لهم بعض المدارس لكي تتكيف في عقولهم حسبما نريد."⁽²⁾

إن الهدف من التغيير في السياسة بعد سبعين سنة من المحاولات الفاشلة، هو خلق فئة جديدة ناشئة تحتضنها هذه المدارس، تطمس فيها الهوية وتصبح الأصولأوربية أكثر منها جزائرية وبالتالي يسهل التحكم في هذه الأجيالوتسخر لأجل خدمة السياسة الاستعماريةوهو الشيء الذي تعمدته فرنسا في التعليم الأهلي العمومي حتى تبيع الخصوصية الجزائرية وترسخ الثقافة الاستعمارية.⁽³⁾

بقيت قرارات هذه اللجنة محترمة ومطبقة بالرغم من صدور المراسيم المختلفة التي ذكرناها سالفاوقد اعتبر "جون ميرانت" « Jean Mirant » خطة هذه اللجنة مرحلة هامة من تاريخ توجيه التعليمالأهلي حيث يقول عنها: "أنها خطة تمثل التقدم الأكثر حسما وهو الذي بدأ وتحقق

¹ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 163 .

² - احمد طالب الابراهيمى: من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية (1962-1972) ترجمة حنفي بن عيسى، الجزائر، ص 16.

³ - تزي رايح: التعليم القومي والشخصية الوطنية (1930/1956)، ص 115.

منذ 1830" وكانت هذه البرامج تركز أساسا على تمجيد تاريخ فرنسا وعظمتها وقوتها العسكرية وتتنكر لتاريخ الجزائر وتتجاهل عن قصد المرحلة الإسلامية وتؤكد على الفترة الرومانية وصولاً إلى العهد الفرنسي، الداعي إلى نشر الحضارة كما يدعون.⁽¹⁾

كتب احد المسؤولين الفرنسيين عن الهدف من هذه البرامج "اعتقد أن الغاية المنشودة لا تهدف فقط إلى إدخال بعض المعارف في أدمغة الأطفال الأهالي وعقولهم وإنما غرس بذرة العقلية الفرنسية فيهم". وقال أيضا "...فضلا عن ذلك، أحيى أن أرى عددا قليلا من الأطفال المتعلمين ولكنهم يحملون عقلية متطورة. وبهذه الحالة فقط يستطيعون التأثير على محيطهم..."⁽²⁾

وقد في هذا الشأن تشريع سنة 1890 واضعاً برامج جديدة لتنظيم التعليم بجميع أطواره، حيث ورد فيه مايلي:

- تحدد تمارين اللغة الفرنسية بتسعة تمارين أسبوعيا.

- خمس ساعات أسبوعية للقراءة.

*التعليم الابتدائي:- تحدد تسع ساعات أسبوعيا للغة الفرنسية.

- أربع ساعات للقراءة وخمس ساعات لتمرين اللغة.

*التعليم المتوسط. -الفرنسية سبع ساعات ونصف.⁽³⁾

بالرغم من هذه المراسيم التي كانت من الناحية النظرية منظمة للتعليم الأهلي إلا أن البرامج المستحدثة أثرت سلبا على أعداد الطلبة الجزائريين حيث ظلت قليلة جدا موازاة مع الكم الهائل لجموع الطلبة الذين وصلوا السن القانونية والجدول التالي يوضح ذلك:

¹- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص424.

²- احمد طالب الابراهيمى: المصدر السابق، ص17.

³- راجع دبي: المرجع السابق، ص86.

الجدول(14) عدد التلاميذ الجزائريين في المدارس من 1892 إلى 1900.

السنة	المدارس	الأقسام	عدد التلاميذ
1892	124	218	12.263
1893	138	244	31.439
1894	163	273	16.794
1895	178	253	20.264
1896	189	360	21.022
1897	187	392	22.468
1898	199	412	23.823
1899	221	447	22.128
1900	221	460	24.565 ⁽¹⁾

نلاحظ من خلال الجدول الفروق الكبيرة في نوعية التعليم المقدم للطرفين، حيث يتمتع أبناء الأوربيين بتعليم راق ومتخصص في حين يتلقى أبناء الجزائريين "الأهالي" تعليما ضعيفا.

ظل التعليم الخاص بالجزائريين يسير بوتيرة بطيئة جدا لا تتناسب مع حركة السكان التي تتطور شيئا فشيئا بسبب السياسة التجهيلية المعتمدة من طرف السلطات الفرنسية من جهة ومعارضة الكولون لمنح القروض للبلديات حتى لا تؤسس مدارس للتعليم، بدعوى إثقال كاهلها بأعباء إضافية فبقيت المدارس المتبقية عمومية في أغلبها، حيث وصل عددها إلى 221 مدرسة إلى جانب 50 قسما تابعا لمدارس الأوربيين.⁽²⁾

والجدول التالي يبين نوعية المدارس وعددها وتوزيعها على المقاطعات.

الجدول(15) توزيع المدارس على المقاطعات بمختلف أنواعها.

المجموع	المدارس الخاصة	المدارس العمومية
---------	----------------	------------------

¹-Bulletin de l'enseignement des indigenes.no :13 P : 15.

²- عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص168.

الفصل الثالث: تطور حركة التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر (1892/1871)

المقاطعات	المدارس الفرنسية	م ا الذكور	م ا للإناث	مدارس تحضيرية	مدارس صيبانية	أقسام أهلية تابعة للمدارس الأوربية	مجموع عدد الأقسام	ذكور	إناث	مجموع الأقسام
الجزائر	18	14	01	34	03	12	07	03	18	211
قسنطينة	12	37	02	32	01	22	02	؟	03	171
وهران	07	04	02	12	؟	14	؟	؟	؟	67
المجموع	37	85	05	78	04	48	428	21	03	09
	209 عدد المدارس العمومية									
	12 مدرسة خاصة									
	499									
	(1)									
	(1)									

إذن نلاحظ عموماً نقص فادح في جموع الطلبة يكاد يندم مقارنة مع الترسانة الكبيرة للمراسيم والقوانين الصادرة في هذه الفترة وهو دليل آخر على سياسة مقصودة ومتعمدة.

وفيما يلي جدول آخر يبين تطور عدد التلاميذ الجزائريين منذ سنة 1882 حتى 1900 وهي الفترة المعروفة بغزارة القوانين والمراسيم المنظمة لحركة التعليم الأهلي في الجزائر.

الجدول (16) تطور عدد التلاميذ الجزائريين من 1882 إلى 1900.

السنوات	عدد التلاميذ	الزيادة والنقصان
1882	3172	
1883	4095	923
1884	4521	726
1885	5695	874

¹- Jeanmaire : Situation de L'enseignement en Algérie pendant 1897-1878.P : 75.

1646	7341	1886
1723	9064	1887
1574	10638	1888
نقص 07	10631	1889
575	11206	1890
141	11347	1891
916	12263	1892
1176	13439	1893
3355	16794	1894
2889	19783	1895
1339	21022	1896
1446	22468	1897
1355	22468	1898
305 ⁽¹⁾	24128	1899

نلاحظ زيادات بسيطة جدا لاتفي الأعداد الهائلة لجموع الطلبة الذين وصلوا السن القانونية للتعليم على مدار عشرين سنة، أي جيل بكامله أصبح جاهلا وأمياً. أما عن الميزانية العامة للتعليم الأهلي في الجزائر فكانت على نوعين وهما: ميزانية الموظفين وتتولاها الدولة ولا خلاف حولها والنوع الثاني وهو المهم الذي يتمثل في بناء المدارس وترميمها وتجهيزها والذي كان من مهام البلديات وهو جوهر القضية، إضافة إلى القروض التي توجهها الدولة لهذه البلديات وهي التي كانت تتعرض لضغط المعمرين كما أشرنا سالفاً حيث تقدر قيمة هذه القروض بين 40 و80 من المصاريف الكاملة وقد تتجاوز هذه النسبة أحيانا وقد كانت مدا خيل بعض البلديات كبيرة جداً مقارنة بالأخرى من خلال الضرائب وعائدات الأوقاف، لكنها لا تبني المدارس بضغط من المعمرين كما تم الإشارة إليه سالفاً.⁽²⁾

وقد وضع مرسوم 1883 تكاليف التعليم الأهلي وخاصة الابتدائي على حساب البلديات، حيث فرضت بعض الضرائب المححفة والقاسية على الجزائريين وسميت هذه الأموال: les centimes additionnels ou principales des centimes direct.

¹ -Jeanmaire :rapport-1899.p :2.

² - ابو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3 المرجع السابق، ص433.

أما مرتبات المعلمين فكانت تدفع من الحكومة، كما جاء في مرسوم 1883 بإنشاء ضريبة جديدة سميت "جمرك البحر" « Octroi de mer » وهي ضريبة كانت تفرض على السلع الوافدة من البحر إلى المدن الجزائرية والتي توزع على البلديات الفرنسية في الجزائر كاملة السلطة والمختلطة، أما معلمي المدارس في البلديات الأهلية فأجورهم على حساب الحكومة باعتبار أنها لا تأخذ ضريبة "جمرك البحر"⁽¹⁾

لكن وبالرغم من هذه النصوص التي أقرتها المراسيم إلا أنها لم تكن تدفع كلها للتعليم حيث نصت ميزانية 1886 على سبيل المثال على تخصيص مبلغ 45.000 فرنك كمعونة للبلديات لتقديم الدعم للتعليم الابتدائي فكان بناء 19 مدرسة أهلية و ارتفع العدد بعد ذلك أما باقي البلديات الأخرى فقد رفضت تقديم الأموال لصالح بناء مدارس أخرى.⁽²⁾

رهنّت البلديات مستقبل التعليم الأهلي، بعم تقديم القروض الكافية التي تسد الميزانية العامة للتلاميذ، وفي هذا الصدد بشير المفتش " جونمار « Jeanmaire » في الميزانية التي أعدها سنة 1893 إلى المنح الدراسية في الثانويات والتعليم الابتدائي والمدارس الإسلامية ومنح أخرى تابعة لها وقسمها على النحو التالي:

*622.850 فرنك القيمة الإجمالية للميزانية.

*50.000 فرنك ميزانية الثانويات. والمدارس.

*621.000 فرنك للمدارس الشرعية الثلاثة.

*51.850 المنح التابعة لها.⁽³⁾

¹ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 144.

² - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3. المرجع السابق، ص 434.

³ - Jeanmaire :rapport :1899.p :22.

هذه هي الميزانية التي كانت تخصص لمدارس التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر بكل أقاليمها فهي لا تتعدى حجم ميزانية بعض المدارس في مقاطعة من مقاطعات فرنسا، فهي لا تفي بالغرض ولا تتكفل بمصاريف هذه المدارس، وهي ميزانية ضعيفة جداً مقارنة بحجم هذه الهياكل بالرغم من قلتها. وهي سياسة تعمدتها الإدارة الاستعمارية على مدار سبعين سنة من الاحتلال.

خاتمة الفصل:

تتفرع الفترة المدروسة في هذا الفصل إلى مرحلتين. تبدأ الأولى بنهاية ثورة المقراني وتنتهي عند بداية سنة 1880 أما الثانية فتصل إلى غاية 1892. الفترة الساطعة في تاريخ الحركة التعليمية في الجزائر، ميزها مجيء وزير تعليم جديد من الجمهوريين الطامعين في تغيير السياسة الاستعمارية من البندقية إلى القلم.

شهدت هذه المرحلة أحداث هامة جداً في تاريخ التعليم في الجزائر. نلخصها في نتائج وصلنا إليها من خلال ارقام وإحصائيات وقرارات مهمة وهي:

- تغيير السياسة التعليمية في الجزائر بتغيير النظام السياسي في فرنسا بعد سقوط الإمبراطورية ومجيئ الجمهوريين من جديد وهو ما أربك الجزائريين مرة أخرى تخوفاً من قرارات جديدة قد تضر بابنائهم، بالرغم من صدور مرسوم 1875 الداعي إلى مجانية التعليم.

- ظل التعليم الإبتائي يسير بوتيرة بطيئة نظراً لإلغاء الهياكل والمؤسسات التعليمية السابقة. فتناقصت جموع الطلبة الجزائريين بهذه المدارس. بسبب ضغط المستوطنين الذي أرادوا أن يكون هذا التعليم فلاحياً حربي أكثر منه علمي.

- انعكست وضعية التعليم الإبتدائي سلباً على المستوى الثانوي خاصة عندما تم إلغاء المعاهد العربية والفرنسية. وإقتصارها على المدارس الفقهية الثلاثة التي بدورها تعرضت للإهمال بسبب الميزانية المحدودة والتجاهل المطبق المفروض من طرف سلطة المستوطنين.

-صدرت حزمة من المراسيم في هذه الفترة بداية من مرسوم 1875 ثم 1883 الذي يتبر سابقة في تاريخ التعليم الأهلي في الجزائر والذي ميزه إقرار مجانية التعليم وإلزاميته على كل الجزائريين وعمل وزير التعليم الجديد السالف الذكر على تطبيق هذا المرسوم.الذي أكدده مرسوم آخر في سنة 1887 لكن دون تغير في سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر.

-برامج وميزانية هزيلة جداً اقرتها الإدارة الفرنسية لتمويل وتسيير المدارس الجديدة.

الفصل الرابع:

هيكلية التعليم الأهلي الفرنسي في

الجزائر 1892/1914

الفصل الرابع: هيكلية التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر 1892/1914

المبحث الأول: التشريع المدرسي في مرسوم 1892.

المبحث الثاني: إجبارية التعليم في الابتدائي.

المبحث الثالث: التعليم الثانوي.

المبحث الرابع: التعليم العربي الإسلامي.

المبحث الخامس: التعليم الفلاحي (التطبيقي)

المبحث السادس: المدارس الإضافية (المساعدة)

الفصل الرابع: هيكلية التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر 1914/1892

استمرت السلطة الاستعمارية في إصدار المراسيم التعليمية التي تنص على إجبارية التعليم دائما، لكنها في حقيقة الأمر ظلت سياسة ترويجية فقط، لم تطبق إطلاقا لا في مرسوم 1883 ولا 1887 وظل التعليم ضعيفا لا يلبي حاجة السكان، لأنه شمل فئة قليلة جداً من الأطفال، ستلعب دور الوسيط بين الجزائريين والإدارة الاستعمارية فيما بعد، إلأن جاء مرسوم 1892 أو مايسمى بتشريع 1892 والذي لبي مطالب الكولون بجعل التعليم تطبيقي ومهني لأجل إنتاج عمالة مهنية وحرفية فقط دون تكوين علماء ومفكرين.

المبحث الأول: التشريع المدرسي في مرسوم 1892.

نص هذا التشريع بخصوص تعليم الجزائريين مايلي:

- 1- يعطى التعليم الابتدائي لكل الأطفال الذكور سواء عموماً أو خاصاً. (المادة الأولى)
- 2- يجب أن تتوفر كل بلدية على مدارس للأطفال الذكور الجزائريين. (المادة 2)
- 3- إجبارية التعليم في المناطق التي يحددها الحاكم العام للذكور. (المادة 5)
- 4- ضرورة احترام حرية الفكر وضمائها للأطفال. (المادة 4)
- 5- تخضع المدارس التحضيرية لرقابة المدراء الأوربيين وهي المدارس البعيدة (المادة 14)
- 6- يعطى التعليم وفق برامج خاصة وبمساعدة وسائل تربوية خاصة. (المادة: 15)
- 7- تشبه رواتب المدرسين الأهالي مثيلاتها عند المدرسين الأوربيين المتدربين (29-39)
- 9- تأسيس شعبة خاصة موجهة لتكوين المدرسين الفرنسيين لتعليم الأهالي (المادة 35)

8- تأسيس شعبة خاصة موجّهة لتكوين المدرسين الفرنسيين لتعليم الأهالي. (المادة: 45) 10-

تأسيس قسمين للمعلمين في مدارس النورمال بالجزائر العاصمة وقسنطينة. (المادة: 44)

11- تخضع المدارس الإسلامية وكذا المدرسين إلى موافقة الحاكم العام (المادة: 47 إلى 56)

12- يقوم مفتشو التعليم الابتدائي الأهلي بمراقبة وتفقد كل من المدارس العمومية والخاصة (المادة: 57 إلى 68)

كما قسم المرسوم (1892/10/18) المدارس الأهلية حسب المادة 13 إلى مايلي:

أ- المدارس الرئيسية: « écoles principales » تحتوي على ثلاثة أقسام، يديرها مدير فرنسي.

ب- المدارس الإبتدائية: « écoles élémentaires » تحتوي على قسمين في الغالب يديرها مدرس فرنسي.

ج- المدارس التحضيرية: « écoles préparatoires » تحتوي على قسم واحد، يديرها جزائريون يحملون الشهادة الإبتدائية وتراقب من قبل مديري المدارس الرئيسية.

د- مدارس الطفولة: « écoles enfantines » مفتوحة للجنسين، بداية من سن الرابعة

ج- مدارس البنات: « écoles des filles » خاصة بالإناث، لكن قليلة.⁽¹⁾

إن أهم ما يميز بنود هذا التشريع هو أنه بين أطوار التعليم وأبعد التناسق والاستمرارية، وكل هذه المحاولات كانت تحت ضغط الكولون الهادفة إلى صناعة المدرسة المهنية والحرفية، كما اختلقت العملية بين البلديات كاملة السلطة والبلديات المختلطة حيث تخضع الأولى إلى فحص ودراسة الوالي بعد استشارة المجلس البلدي والذي يحولها إلى الحاكم العام. أما في الثانية فتخضع إلى

¹ - جمال قنان: المرجع السابق، ص 135.

المتصرف الإداري أو السلطة العسكرية. فالحاكم العام. وأمام هذه الفروقات والخروقات ظل التعليم قاصراً سواء العمومي أو الخاص وفي هذا الصدد تشير التقارير الإحصائية سنة 1893 إلى عدد المدارس الذي بلغ:

-20 مدرسة رئيسية. 45 ابتدائية. 60 تحضيرية. 07 صيبانية. 06 مدارس للبنات.⁽¹⁾

إن المتتبع لهذه الفترة المدروسة يلاحظ التباين الكبير بين المناطق في عدد المدارس حيث استفادت مناطق بقسط وافر على حساب مناطق أخرى وأحيانا حتى داخل المنطقة نفسها نجد تباين واضح مثل ما حدث في منطقة القبائل التي ركزت عليها الإدارة الاستعمارية كثيرا على حساب الجزائر العاصمة بالرغم من أنها منطقة واحدة⁽²⁾

وتعود بوادر هذه السياسة إلى مرسوم 1883 والهدف منها هو تشتيت التعليم، إذ كيف لهذه السياسة التعليمية أن تنجح وهي صادرة من كيان واحد وتحت تصرف إدارة واحدة وفقا لنمط واحد ومناهج واحدة وفي نفس الوقت تقسم المدارس إلى أنواع متعددة وهي مؤسسة لهدف واحد حيث تجد المدارس الرئيسية مثلا تختلف من البلديات الأهلية إلى البلديات العسكرية، كل هذه السياسة كانت تهدف إلى تفريغ هذا التعليم من محتواه الحقيقي.⁽³⁾

جاء مرسوم 1892 مكتملاً ومتمماً لتصورات لجنة قسنطينة المشار إليها سابقاً، لذلك ركز على التنظيم أكثر من البرامج حيث حدد شروط إنشاء المدارس وتسييرها، كما تطرق إلى اللجان التعليمية والرواتب وترقية المعلمين والتصنيف وبرامج تعليم البنين والبنات والتفتيش وقد قسم المرسوم التعليم إلى ثلاثة أطوار: تحضيرية وابتدائية ومتوسط يتوج بشهادة الدراسات الخاصة

¹ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 162

² - Collona.F ; op.cit.P ; 46.

³ - جمال قنان: المرجع السابق، ص 135-136.

بالأهالي، كما حدد المرسوم أعمار التلاميذ وجعلها من السادسة إلى الثالثة عشرة، أما مواد الدراسة فهي بالفرنسية طبعاً والبرامج المعهودة سابقاً وأدخلت الأعمال اليدوية والزراعية التطبيقية.⁽¹⁾

كما قسم الإطار التربوي في مدارس التعليم الأهلي إلى ثلاثة أصناف: معلمون مرسومون ومعلمون مساعدون وممرنون، وقد رتب المرسومون في خمس درجات والمساعدون في أربع درجات وتم وضع سنتين للأقدمية كحد أدنى وقد يكون لمفتش الأكاديمية حق الإقتراح في الترقية الاستثنائية وفي هذا الصدد لدينا جدول يبين سلم أجور الإطار التربوي:

الجدول (17) شبكة أجور المعلمين.

العدد	المعلمون المرسومون	الراتب	المعلمات المرسمات	الراتب	المعلمون المساعدون	الراتب
	الدرجة الأولى	2500ف	الدرجة الأولى	2000ف	الدرجة الأولى	1500ف
	الدرجة الثانية	2200ف	الدرجة الثانية	1800ف	الدرجة الثانية	1400ق
	الدرجة الثالثة	1900ف	الدرجة الثالثة	1700ف	الدرجة الثالثة	1300ف
	الدرجة الرابعة	1700ق	الدرجة الرابعة	1600ف	الدرجة الرابعة	1200ف
	الدرجة الخامسة	1500ف	الدرجة الخامسة	1500ف		(²)

¹ - ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3 المرجع السابق، ص426.

² - جمال قنان: المرجع السابق، ص137

كان الهدف من جعل الفرنسية لغة البرامج، لأجل التكلم بها واعتبارها وسيلة تواصل بين الجزائريين والفرنسيين دون الغوص في الأدب الفرنسي والمعارف العلمية وبالتالي تكوين الأطفال بهدف خدمة الأرض والورشات الحرفية لا أكثر، كما دخل التعليم الخاص ليزاحم العمومي في هذه الفترة وأهمل تعليم الإناث بالرغم من استحداث مدارس للبنات إلا انه ظل ضعيفاً لا يتعدى المدن الكبرى، لان تدريس المرأة يشكل خطراً على إدارة الاستعمار، حتى لا تستطيع أن تربي جيلا وأجيالا قادرة على مواجهة الاستعمار الفرنسي⁽¹⁾

والجداول التالية تبين أعداد الطلبة الملتحقين بالتعليم العمومي والتعليم الخاص.

الجدول (18) عدد التلاميذ المسجلين في المدارس الابتدائية العمومية (1897-1898)

الجزائريون		الأوروبيون		العمالات
إناث	ذكور	إناث	ذكور	
379	9053	10639	12720	الجزائر العاصمة
510	7867	6933	7836	قسنطينة
239	3459	11003	12966	وهران
1218 ⁽²⁾	20379	28575	33522	المجموع

تشير أرقام الجدول إلى تباين صارخ بين الأوروبيين والجزائريين. إذ نلاحظ في الخانة الأولى بالنسبة لتلاميذ الجزائر العاصمة فرق شاسع بين الذكور، أما عن البنات فالمقارنة منعدمة، اما قسنطينة فيتساوى العدد في الذكور ويختلف في البنات. أما وهران فالإختلاف كبير سواء في عدد الذكور أو

¹ - راجع دبي: المرجع السابق، ص 94

² - Jeanmaire : rapport (1897-1898)p :42

الإناث، بمعنى نجد النسبة كاملة لدى المستوطنين الككل يقرأويدرس، أما الجزائريين، فالنسبة لاتكاد تصل الى واحد أو إثنان بالمائة مقارنة بمجموع عدد التلاميذ الذين وصلوا السن القانونية للتعليم.

الجدول(19) عدد التلاميذ المسجلين في المدارس الابتدائية الخاصة(1897/1898)

الجزائريون		الأوروبيون		العمالات
إناث	ذكور	إناث	ذكور	
223	565	3605	1543	الجزائر العاصمة
09	134	2176	965	قسنطينة
؟	03	2358	1356	وهران
(1)232	702	8239	3864	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول الفروق الشاسعة بين المتعلمين الأوروبيين والجزائريين وذلك للأسباب الآتية:

*الاختلاف الكبير في نوعية المدارس بين المستوطنين والجزائريين.

*الفرق الكبير في البرامج والمقررات المطبقة والمدرسة.

*السياسة التجهيلية المتعمدة من قبل إدارة الاستعمار الفرنسي اتجاه الجزائريين.

كما نظم هذا التشريع(1892) سلك التفتيش للتعليم الأهلي، على النمط التالي:

*المفتشون العامون للتعليم العام.

*رئيس مفتشي الأكاديمية.

¹- Ibid.P :43

*مفتشي التعليم الابتدائي الأهلي ومندوبيهم.

*رئيس البلدية، الحاكم في البلدية المختلطة، قائد الملحق العسكرية في البلديات المختلطة.

ورتب هؤلاء المفتشون في خمس درجات وفقاً لشروط معينة يتقاضون مرتبات عالية تختلف عن مرتبات المعلمين بداية من 3500 ف إلى 5500 للمفتشين و 3000 ف لمندوبيهم.⁽¹⁾

هو تشريع آخر يضاف إلى سلسلة المراسيم والقرارات السابقة التي اعتادت الإدارة الإستعمارية على استصدارها في حق الجزائريين. تشريع هدفه تنظيم التعليم الأهلي لما يخدم سلطة المستوطنين. يفتقد للفاعلية. لم يضيف شيئاً للواقع التعليمي الجزائري، ميز بين المدارس، واهل أولوية التلاميذ الجزائريين كثيري العدد في حصولهم على مدارس أكثر تلي أعدادهم الكبيرة.

حقق هذا التشريع غاية المستوطنين في توجيه التلاميذ الجزائريين إلى تعليم فلاحى مهني، يتخرج منه طلبة يوجهون إلى الفلاحة والمهن تحت سلطة "الكولون" الساعي إلى السيطرة على الأرض ومن يخدمها، لتجسيد نظام "الحماسة" الشبيه بالرق أو العبيد الذي يختلف عنه في بعض الفروع.

بقي التعليم وفقاً لهذا التشريع على حالته القديمة، بالرغم من تغير هيكله و لجانته وبرامجه، وهي دلالة وافية تشير إلى التوجه العام المقصود من قبل الإدارة الإستعمارية بخصوص السياسة التعليمية المسطرة والمنتهجة في الجزائر.

¹ - جمال قنان: المرجع السابق، ص 138.

المبحث الثاني: التعليم الابتدائي واجباريته:

بالرغم من مما جاء في النصوص القانونية لمرسومي 1883 و1887 من إلزامية التعليم وإجباريته على الأوربيين والجزائريين معا إلا انه بقي حكراً على أبناء المستوطنين وظل الأطفال الجزائريون ينتظرون الفرصة لشعور مقاعد دراسية قد لا يصل إليها سوى أبناء العائلات المتقدمة وبقيت الإدارة الفرنسية تتحجج بقلّة الأقسام والشيء نفسه ما نص عليه التشريع المدرسي في مرسوم 1892 باعتباره الأكثر تنظيماً وهيكلته للتعليم الأهلي، حيث ظل الواقع يراوح مكانه ولم تطبق هذه السياسة إطلاقاً، بل كانت مجرد نصوص قانونية جوفاء لا طائل منها وباعتراف صريح من رئيس بلدية قسنطينة في تقرير له السيد "مارسيه" وجهه إلى الوالي في 12 أوت 1898 يعترف فيه بإهمال إدارته لإجبارية التعليم حيث يقول: "إن إجبارية قانوننا التعليمي لم تطبق على مسلمي الجزائر..."⁽¹⁾

وبالموازاة وجهت الإدارة الاستعمارية إجبارية التعليم إلى منطقة القبائل حيث أعطت الأولوية لإنشاء المدارس لأجل استيعاب كل التلاميذ الذين وصلوا سن الدراسة دون التفكير في مناطق الجزائر الأخرى، وخصص لهذه العملية ميزانية إضافية صادق عليه البرلمان في ميزانية التعليم الأهلي لسنة 1892-93 بمبلغ 400 ألف فرنك لإنشاء المدارس ومبلغ 150 ألف فرنك رواتب المعلمين.⁽²⁾

كما انبثق عن مرسوم (1892) في المنطقة التي شملها نظام إجبارية التعليم لجنة دراسية تتكون من الأعيان في كل قرية تتألف من ستة أشخاص، ثلاثة يعينهم الوالي والثلاثة الآخرون ينتخبون وعمل هذه اللجنة هو إعداد قوائم باسم الأطفال الجزائريين في سن التعليم وكذا توفير الشروط اللازمة لتحقيق دوام أفضل ومحاولة كسر الرفض الجزائري للمدرسة الفرنسية، لذلك كان المعلم يقدم

¹ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 170.

² - جمال قنان: المرجع السابق ص 141-142.

قائمة بأسماء الأطفال المقبولين وهم أبناء الأسر الغنية طبعاً ثم عامة الناس إذا كانت الأماكن موجودة.⁽¹⁾

وقد نص مرسوم 1892 على مجموعة عديدة من العقوبات بخصوص إجبارية التعليم حيث استمرت عقوبات 1887 والتي كانت على النحو التالي: تحذير تقدمه اللجنة الدراسية وتوبيخ يقدمه رئيس البلدية، الإداري أو حاكم المنطقة العسكرية إضافة إلى عقوبات تفرضها الشرطة.⁽²⁾ من خلال ماتضمنه المرسوم من عقوبات وما هو موجود في الواقع نلاحظ التناقض الصارخ بين المنظومة القانونية ومجموع عدد المدارس والتلاميذ الذين كانوا يزاولون الدراسة.

وقد ظلت إجبارية التعليم بين الوهم والحقيقة حيث ظهرت محاولة جديدة لتطبيق هذا المبدأ في قانون 1898 والذي جاء ببرامج جديدة وسمح بتطبيق عقوبات قانون "الأندجينا" الأهالي "بغرامات مالية مع السجن لأولياء التلاميذ الراضين لتعليم أبنائهم في مدارس التعليم الأهلي خاصة الذين يتواجدون بالقرب من هذه المدارس.⁽³⁾

ونتيجة لتطبيق هذه العقوبات استغلت البلديات المختلطة هذه السياسة لفرض إجراءات تعسفية في حق الجزائريين تحت غطاء إجبارية التعليم، إذ تشير التقارير في سنة 1998 تسجيل 414 عقوبة في حق الجزائريين، والتي بالرغم من فساوتها إلا أن هذه الفترة شهدت إقبالا كبيرا من الجزائريين على مدارس التعليم الأهلي وبقيت هذه العقوبات سارية المفعول حتى تدخل مدير التربية والتعليم شخصيا وأمر بتوقيف هذه السياسة التعسفية.⁽⁴⁾

لكن يمكن الإشارة إلى أن التعليم الابتدائي تقدم نحو الأفضل مقارنة مع السنوات السابقة، حيث تشير الإحصائيات إلى تطور في عدد التلاميذ الجزائريين في العشر سنوات الأخيرة

¹ -Paulard M. op, cit, p ;222.

² - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص170.

³ -Jeanmaire :rapport(1898-1899)p ;08

⁴ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص172.

من القرن التاسع عشر، فمن 11347 تلميذ سنة 1891 وصل العدد إلى 24188 تلميذا وطالبا في جميع المستويات منهم:

-689 في مدارس الحضانة، 05 تلاميذ في التعليم الابتدائي، 39 طالبا في ملحقة بوزريعة لتكوين المعلمين، 188 طالبا في المدارس الإسلامية الثلاثة، طالبين في التعليم العالي، الحقوق والطب.⁽¹⁾

نفس الملاحظة تنطبق على عدد المدارس التي تستقبل التلاميذ حيث ارتفع العدد إلى 221 مدرسة في العمالات الثلاثة، موزعة على النحو التالي:

-96 مدرسة خاصة بالطور الأول للتعليم الابتدائي، 38 مدرسة تحضيرية من قسم واحد، 04 مدارس للحضانة، ثلاثة في العاصمة وواحدة في قسنطينة، أما مناطق الجنوب التي تخضع للحاكم العسكري فمدارسها كانت في الغالب تحضيرية.⁽²⁾

ولأجل فرض إجبارية التعليم على الأطفال الجزائريين نص مرسوم 1892 في مواده (47 إلى 56) على حضر فتح المدارس القرآنية لاستقبال الأطفال في أوقات الدارسة في مدارس التعليم الأهلي إلا بترخيص وموافقة حاكم المنطقة وذلك بدعوى تطبيق مبدأ إجبارية التعليم.⁽³⁾

وفي سنة 1898 حدث تغيير هام في برامج التعليم الأهلي إذ كلف مدير التربية في ذلك الوقت "جون مير" بتحضير البرامج الجديدة للتعليم الابتدائي للجزائريين الذي كان من قبل قد نشر كمشروع دراسات وبرامج سنة 1890 وتم تثبيت الطابع التطبيقي فيه لأجل تجديده وتغييره وفقا للأهداف التالية:

1- تعليم الجزائريين اللغة الفرنسية الدارجة لتسهيل الاتصال مع الأوربيين.

¹ -Jeanmaire :rapport(1898-1899)p ;08.

² - جمال قنان: المرجع السابق، ص 153

³ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 176.

2- تلقينهم حب فرنسا.

3- إعطائهم التعليم التطبيقي مثل الأعمال اليدوية والفلاحة ومبادئ في العلوم الطبيعية (*)

وقد وضع مشروع الدراسات والبرامج لعام 1898 ثلاثة مستويات للتعليم الأهلي وهي:

1- المستوى التحضيري.

2- المستوى الابتدائي.

3- المستوى المتوسط.⁽¹⁾

وحدد مرسوم 1898 مواد البرامج على النحو التالي:

1- اللغة الفرنسية (اللغة، الكتابة، المحادثة، القراءة، التمارين الكتابية)

2- الحساب والنظام الميترى.

3- الرسم (أعمال يدوية أو دروس تحضيرية)

4- اللغة العربية، (معلمها فرنسي)

5- الفلاحة والعمل اليدوي. (دروس وتمرين)

6- التربية الأخلاقية (مع دروس في اللغة أو القراءة)

* - تشير المقدمة التي مهدت للبرنامج الكامل للدراسة في مرسوم 1898 إلى الاتجاه العام والنهائي لمدارس التعليم الأهلي، حيث تذكر: "يهدف التعليم المقدم للأهالي إلى تكوين رجال محترمين، متورين، أصدقاء للعمل، مستعدين للتقرب منا باستعمال لغتنا ومراقبة التطور الذي سنسمح لهم بالمساهمة فيه وذلك لتحسين ظروفهم، صحتهم، ممارساتهم الفلاحية، أعمالهم الصناعية وعلاقاتهم التجارية وإذا كانت برامج 1890 قد امتازت بهذه الخصائص فان برامج 1898 جاءت لاستكمالها وتطويرها فالشباب الأهلي الذي يتكون في مدارسنا مستعد لتحسين وتغيير الظروف الحياتية لعائلته ومن هنا لا يضطر للبحث عن مهنة أخرى وستبقى اهتماماته موجهة إلى:

أعمال الأرض والإعمال الحرفية وليس نحو الوظائف الإدارية والعمومية. (للمزيد أكثر ينظر: poular.M :op-cit.p183.)

¹-ibid.p:183-184.

7- ثقافة عامة (الاقتصاد البيتي، النظافة، مبادئ علمية، تشريع مستعمل)

8- مبادئ ومعارف حول فرنسا والجزائر (تاريخية، جغرافية، إدارية)

9- استراحات (غناء، رقص، حركات وتمارين رياضية)

والملاحظ على هذه البرامج المعدلة أنها كسابقتها لأنها تضمن الحد الأقصى لتعليم اللغة الفرنسية وتجعل من العربية لغة ثانية.⁽¹⁾

كما استحدث نظام جديد في هذه البرامج حيث أدخلت التمارين الشفوية، وأصبح التعليم شبه شفوي بدل كتابي، يلعب دور الوسيط بين الجزائريين والأوروبيين بمعنى عبارة عن لسان ناطق باللغة الفرنسية دون الغوص في حضارتها وأدبها وفكرها وهو اتجاه جديد لتوجيه التعليم الأهلي للحرف والزراعة من اجل خدمة المستوطنين.⁽²⁾

والجدول التالي يبين توزيع عدد الساعات والدروس في كل مادة على حدة من مواد برامج 1898. بالنسبة للتعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي. اذ يعطي كل مادة تعليمية عدد الساعات المخصصة لها ومجموع عدد الدروس. وهو بمثابة توزيع زمني للتلاميذ يشمل مواد متعددة وهي:

*التربية الأخلاقية.

*اللغة الفرنسية.

*الحساب والنظام المتري.

*الرسم.

*الفلاحة والعمل اليدوي.

*اللغة العربية.

¹ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 177.

² - Jeanmaire ; Situation de L'enseignement en Algérie pendent 1878-1897, P : 18

* الثقافة العامة.

* مبادئ حول فرنسا والجزائر.

الجدول (20) توزيع عدد الساعات والدروس في برنامج 1898.

الصف المتوسط		الصف الابتدائي		الصف التحضيري		المواد
الدروس	الساعات	الدروس	الساعات	الدروس	الساعات	
2	1	2	1	؟	؟	التربية الاخلاقية
11	5.5	23	11.5	30	15	اللغة الفرنسية
10	5	10	5	10	5	الحساب والنظام المتري
3	1.5	5	2.5	5	2.5	الرسم
6	3	5	2.5	؟	؟	الفلاحة والعمل اليدوي
5	2.5	5	2.5	5	2.5	اللغة العربية
10	5	؟	؟	؟	؟	ثقافة عامة
3	1.5	؟	؟	؟	؟	مبادئ حول فرنسا والجزائر
10	5	10	5	10	5	استراحات
60 ⁽¹⁾	30	60	30	60	30	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول الحجم الساعي الكبير الذي حظيت به اللغة الفرنسية وهو ما يفسر التحليل السابق الذكر والاتجاه الرامي إلى تهميش اللغة العربية بالرغم من أنها اللغة الأولى استعمالا وهو مخطط يهدف إلى تميع المجتمع. لكن بالرغم من هذا التحيز إلا ان القارئ يلحظ تغيرا

¹- Jeanmaire :plans D'études et programmes.1898. p : 7.

في المواد المبرمجة عكس السنوات الماضية. والتي كان فيها التعليم ضعيف جدا من ناحية برامجه ومقرراته.

جاء في توجيهات المناهج الجديدة للتعليم الأهلي بعد 1898 مايلي:

- ضرورة التركيز بالنسبة للمعلمين في دروسهم للتلاميذ على فكرة وجوب الإقتداء بأبائهم في الاشتغال بالزراعة وعدم الاهتمام بالقطاعات الأخرى .

- يستوجب على المعلمين بث الروح في التلاميذ "بوطنيتهم سوف لن يذخروا جهداً للعمل من أجل تحميل صورة فرنسا التي يعملون من اجلها في أعين التلاميذ".⁽¹⁾

ولأجل نشر اللغة الفرنسية على أوسع نطاق، عملت السلطات الاستعمارية على تكوين جهاز كبير من المدرسين الأوربيين يشرفون على عملية تلقين لغة الاستعمار للجزائريين حتى تسهل لغة التواصل، دون أن تلجأ لتأسيس عدد آخر من المدارس وهو أمر يشكل خطراً على الإدارة الاستعمارية لأنها ترى في هذه المدارس هو تعليم الجزائريين وتثقيفهم وبالتالي فنشر الفرنسية بين اوساط العامة كفييل بخلق التواصل بين الطرفين.⁽²⁾

وقد ظل الاعتقاد راسخا لدى الإدارة الاستعمارية أن عملية التعليم الخاصة بالجزائريين تبدأ من تلقينهم اللغة الفرنسية، ثم المواد التعليمية الأخرى التي تصبح تابعة لها واللغة الملقنة للتلميذ الجزائري هي لغة العوام والشارع المستعملة للخطاب، أما اللغة الفرنسية العلمية فهي حكر على أبناء الأوربيين فقط.⁽³⁾

بقي الإستعمار يركز على اللغة الفرنسية ويهمل العربية قصدا ظنا منه أنه سيجق الإندماج المزعوم الذي لطالما تغنت به إدارة الإستعمار من أجل فرض القطيعة بين المجتمع وهويته.

¹ - جمال قنان: المرجع السابق ص 147.

² - turin.y :op-cit.p :40.

³ - Jeanmaire : plans D'études et programmes.1898.p :10.

المبحث الثالث: التعليم الثانوي.

ظل التعليم الأهلي محصورا في بعض المدارس الابتدائية ولم تكن الفرصة تسمح للتلاميذ الجزائريين للانتقال إلى هذه المرحلة المتقدمة من التعليم إلا أبناء العائلات الكبيرة صاحبة النفوذ الكبير والتي كانت اغلبها على علاقة متينة بالاستعمار الفرنسي أو أبناء الموظفين الجزائريين في الإدارة الاستعمارية الذين جندتهم فرنسا لخدمة مصالحها والتحكم في الجزائريين بخلق توازن بينها وبين الزوايا والمرابطين وفي هذا الصدد يقول: مستشار الحكومة السيد "فرانك شوفو" **Frank** « **chauveau** مايلي: »

"إن هؤلاء الرؤساء العرب كانوا مفيدين لنا خاصة عندما يحدون تأثيرا آخر أكثر خطورة، هو تأثير المرابطين أين كانوا ويكونون معادين لنا دائما".⁽¹⁾

وبناء على هذه المعطيات تشير التقارير الفرنسية إلى تسجيل أعداد قليلة جدا من التلاميذ الجزائريين الذين كانت تسمح لهم الفرصة للالتحاق بهذه المرحلة من التعليم الأهلي ومن هنا يظهر لنا أن نسبة التلاميذ في المرحلة الثانوية كانت قليلة جدا وتتناقص عبر السنوات، حيث كانت تمثل نسبة 11.9٪ لكل 1000 أوروبي و 0.03٪ لكل 1000 جزائري من مجموع:

262.422 جزائري و 434.831 أوروبي والفرق شاسع جدا وقد بلغ عددهم سنة 1876 ما يقارب 226 تلميذ ثم تراجع العدد إلى النصف.⁽²⁾ والجدول التالي يوضح الانخفاض الكبير لعدد لعدد التلاميذ في نهاية القرن التاسع عشر.

¹ - Merad Ali : op-cit .p :605.

² -Jeanmaire : rapport (1887-1888) p : 20.

الجدول (21) عدد التلاميذ الأوربيين والجزائريين في سنتي 1897/1898.

الجزائريون		الأوربيون		المؤسسات
1898	1897	1898	1897	
40	52	1665	1631	الثانويات (*)
84	38	1030	917	المعاهد (**)
84	90	2695	2602	المجموع
6- ⁽¹⁾		93+		الفرق

نلاحظ من خلال الجدول تناقص رهيب في أعداد الطلبة المنتشرين على الثانويات الثلاث والمعاهد السبعة المتواجدة في الجزائر، مقارنة بأعداد الطلبة الأوربيين أبناء المستوطنين الذين يكونون جزءا بسيطا من السكان في الجزائر ومن هذا العدد القليل في الطلبة الجزائريين هناك (27) طالبا جزائريا فقط يتلقون منحة أو مساعدة مالية من الحكومة الفرنسية وهو الشيء الذي سينعكس سلبا على مستقبل التعليم العالي في الجزائر إذ سنرى بعض الأسماء القليلة جداً من الجزائريين.

المبحث الرابع: التعليم العربي الإسلامي

ظلت الإدارة الاستعمارية تحاصر التعليم العربي الحر، خاصة بعد مقاطعة الجزائريين إلى التعليم الأهلي واستقطاب هذا الأخير لجموع غفيرة من الجزائريين الذين كانوا يلتحقون بالمدارس القرآنية

* - ثلاث ثانويات قي:

*العاصمة *فستينية *وهران

** - سبعة معاهد في: *البلدية *المدية *مستغانم *تلمسان *عنابة *سكيكدة *سطيف.

¹- Jeanmaire : rapport(1897-1898)p :20.

التي خضعت هي الأخرى إلى مراقبة وتفتيش السلطات الاستعمارية وتم وضع شروط مجحفة لتأسيس مدرسة قرآنية جديدة، ويجب تطبيقها عند فتح هذه المدرسة وهي:

- الخضوع لجميع التعليمات التي أقرها مرسوم (18/10/1892).

- لا يلتحق الأطفال بهذه المدرسة حتى نهاية الدوام في المدرسة الأهلية.

- لا يتعدى مجموع التلاميذ ثمانية أطفال.⁽¹⁾

ولأجل محاربة هذه المدارس وتقليص نفوذها، صدر إصلاح 1895 الذي عوض المعاهد العربية الفرنسية وأعطى نفساً جديداً للمدارس الإسلامية الثلاثة، لذلك عمل الحاكم العام "كامبون" « Jules-combon »^(*) على تطبيق هذا التشريع الجديد الذي أشرف من خلاله على إعادة تنظيم المدارس الإسلامية من جديد وادخل عليها تعديلات جديدة منها دراسة الفرنسية ورفع مدة التكوين إلى ست سنوات.⁽²⁾

عملت السلطات الاستعمارية على محاربة التعليم العربي الحر، لذلك عمدت إلى الإشراف على التعليم الإسلامي بتطوير مناهج ومقررات المدارس الإسلامية الثلاث حتى تتحكم أكثر في الوظائف التي تخص الجزائريين الأهالي، لكن شروط نجاح هذه المدارس ظلت بين أيدي الفرنسيين إذ ظلت وتيرة التطور الخاصة بها بطيئة جداً وهذا ما انعكس سلباً على مستواها التعليمي والدراسي وبقيت ميزانيتها ضعيفة جداً بالنظر إلى الحجم القليل من القروض المقدمة لها وبقي خريجي هذه المدارس يعانون من ضعف كبير في المستوى مقارنة بطلبة الزوايا والمدارس

¹ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق 193

^{*} - جول مارتن كامبون: « Jules-combon » (1935/1845) دبلوماسي فرنسي، بدأ حياته المهنية كمحام عام 1866 خدم في الحرب الفرنسية البروسية، ثم دخل الخدمة المدنية في سنة 1871 جاء إلى الجزائر في 1891 حتى عين حاكماً عاماً عليها بين (1891/1897). (للمزيد أكثر ينظر: شارل ريبير اجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا... المرجع السابق. ص 866... 870)

² - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، المرجع السابق، ص 383.

القرآنية، حيث كان الجزائريون ينظرون إليهم بعين الاحتقار كونهم ضعيفي المستوى، مما زاد في فشل هذه المدارس.⁽¹⁾ والجدول التالي يبين حجم التطور البطيء الذي شهدته هذه المدارس.

الجدول (22) عدد الطلاب الجزائريين في المدارس الشرعية الثلاثة.

المجموع العام	المتعلمون الأحرار	المجموع	الطلاب النظاميون			المدارس
			السنة 1	السنة 2	السنة 3	
22	02	20	03	10	07	الجزائر العاصمة
18	03	15	01	05	10	قسنطينة
36	03	33	15	10	08	تلمسان
76 ⁽²⁾	08	68	18	25	25	المجموع

نلاحظ الأعداد القليلة جدا بالرغم من السياسة التي كانت الإدارة الاستعمارية تسوقها للرأي العام والتي أكدتها الظروف المحيطة بهذه المدارس، إذ تم إلغاء منحة السكن والمنحة اليومية التي تصرف للتلاميذ وهي (60 سنتيم) في مدرستي (الجزائر وقسنطينة) و(80 سنتيم) في مدرسة (تلمسان) وهو العامل الذي أثر في الإقبال المحتشم للتلاميذ على هذه المدارس، إضافة إلى قرارات مرسوم 17 أوت 1889 الذي بموجبه تم تقليص عدد المحاكم إلى (144) محكمة وهو ما أدى إلى تقليص عدد الوظائف في القضاء الإسلامي وهو الهدف الذي كانت تدعي من خلاله الإدارة

¹ -Sadek Hadjers : **Culture.Indépendance et révolution en Algérie. (1880-1890).Paris Temps actuels.1981.P :29.**

²- Jeanmaire : **rapport(1887-1888)p :29.**

الاستعمارية سبب وجود هذه المدارس. إضافة إلى ضعف مستوى التلاميذ وهو جهلهم الكبير بأحوال الشرع الإسلامي، مما أدى إلى مقاطعتهم من طرف الجزائريين.⁽¹⁾

صدر مرسوم (23 جويلية 1895) يقضي بإعادة تنظيم المدارس الإسلامية الثلاث، الذي عمل على تطبيق توصيات مجلس الشيوخ الفرنسي، حيث تم تمديد سنوات الدراسة إلى أربع بدل ثلاثة، وإضافة قسم عالي ملحق بمدرسة الجزائر، وإدخال اللغة القبائلية والقانون العرفي القبائلي وللحاكم العام الحق في اختيار التلاميذ الموجهين لهذا الفرع وأدخلت تغييرات طفيفة على برامج هذه المدارس، إذ ركزت على مادة الحساب والهندسة وإدخال مادة أصول الدينوفي نهاية السنة الرابعة يتقدم التلاميذ إلى امتحان التخرج يتوج بشهادة "الدراسات المدرسية" للتلاميذ المتفوقين.⁽²⁾

وقد صدر هذا المرسوم المنظم لهذه المدارس على اثر تقرير حول وضعية التعليم الأهلي في الجزائر أعده السيد "كامب" « Comp » الذي أشرنا إليه سالفًا وجه إلى مجلس الشيوخ في "باريس" مناجل بث نفس جديدة للتعليم الأهلي وخاصة المدارس الإسلامية الثلاثة التي عوضت التعليم الثانوي وقد تم طرح القضية من طرف احد أعيان مدينة "ندرومة" التابعة إقليميا لمدرسة "تلمسان" السيد: "بن رحال" (*) الذي طالب بإعادة تنظيم هذه المدارس وفقا للمقترحات التي سجلها والتي تكلمنا عليها سابقا وهي التي أدرجها المرسوم فيما بعد وتضمن الآتي:

-زيادة عدد الأساتذة وتوظيفهم من بين العلماء الأكثر شهرة.

¹ - جمال قنان: نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر، الجزائر، 1993. ص 51.

² - جمال قنان: المرجع السابق، ص 178.

* - محمد بن رحال: (1928/1856) من أعيان مدينة ندرومة (تلمسان) عين قائدا للمدينة في 16 فيفري 1876 ثم تقلد منصب أعيا في 15 اوت 1876 خلفا لأبيه، زار باريس في مهمة شرح أوضاع الجزائريين في البرلمان الفرنسي سنة 1891 دافع حينها عن التعليم الأهلي واللغة العربية، شارك في المؤتمر الحادي عشر للمستشرقين بباريس في سبتمبر 1927. قال عنه "جول فيري" "كان خصما شرسا مدافعا عن مصالح الأهالي، تقلد مراتب هامة منها عضوية المجلس المالي ومجلس وهران لمرتين سنة 1920، توفي بندرومة سنة 1928. (ينظرغانم بودن، سي احمد بن رحال ودوره في الدفاع عن قضايا الجزائر. الأكاديمية للدراسات الإجتماعية والإنسانية. جامعة تيارت. ع 17. جانفي 2017. ص 10.)

-يساعدهم معلمون فرنسيون يتمتعون بخبرة عالية. ويتحكمون في العربية جيدا. (**)

-إجراء امتحان نهاية السنة الثالثة للالتحاق بالقسم العالي في مدرسة العاصمة من اجل استكمال سنتين اخرتين في الاختصاص.

-يتوج الامتحان بمنح شهادة تعادل "شهادة البكالوريا"⁽¹⁾

وبصدور هذا المرسوم المنظم للمدارس الإسلامية تبعته مراسيم أخرى أصدرها الحاكم العام قى(01 اوت 1895) نصت عل إصلاح النظام العام للمدارس من منح ومدرسين وتم تأسيس قسم يعتني بالصحة العامة وأضيف قسم آخر في اختصاص "التجارة" وإضافة سنة أخرى لمدة الدراسة لتصبح أربع سنوات بدل ثلاثة كما اشرنا سالفا وإنشاء القسم العالي بملحق مدرسة "العاصمة ومدة التكوين فيه "سنتان" للتلاميذ المتفوقين والذين يحظون بثقة الإدارة الاستعمارية ويتمتعون بعلاقات حسنة معهم.⁽²⁾

ويلتحق بهذا القسم التلاميذ الحاصلين على شهادة الدراسات من المدارس الإسلامية الثلاثة،وفقا لشروط هي كالأتي:

1-أن يكون المترشح حاصلًا على الشهادة الابتدائية.

2-أن يكون عمره 15 سنة على الأقل وان لا يتعدى 20 سنة.

** - يتكون الطاقم التربوي للمدارس الإسلامية الثلاثة من:

-ثلاث مدراء وهم أساتذة الحساب والتاريخ والجغرافيا واللغة الفرنسية.

-ثلاثة أساتذة للقانون الإسلامي. -أربعة أساتذة للغة العربية. - ثلاث معيدين للغة الفرنسية. -ثلاث أساتذة لمبادئ القانون.

-ثلاث أساتذة للتربية الوطنية. -ثلاث وقافه(حراس). -أمين سر المدارس..... (عبد القادر حلوش: المرجع السابق ص: 176).

¹ -Djehgloul.A : Si M hamed ben Rahal et la question de l'enseignement des indigènes, p : 20.

² -Bulletin de l'enseignement des indigenes.no :13 P : 18.(198). (نقلا عن حلوش: المرجع السابق ص: 198).

وتبعاً لهذه الشروط اصدر الحاكم العام مرسوم آخر قي (06 اوت 1895) الذي حدد فيه الوظائف العامة التي يشغلها خريجو المدارس لاحقاً، وحدد تاريخ (01 جانفي 1898) بداية تطبيق هذه الإجراءات الجديدة، والتي جاءت على النحو التالي:

-المادة 1: تطلب شهادة الدراسات من المدارس الإسلامية لتولي الوظائف التالية قي المنطقة المدنية وهي: عون، حزاب، مؤذن، مدرس، وكيل، خوجة (كاتب) عادل أو دلال، قاضي.

-المادة 2: تطلب شهادة المدارس الإسلامية العليا في المنطقة المدنية لتولي الوظائف التالية:

باش عادل، إمام، قاضي، مفتي، أستاذ بنفس المدارس والمساجد.

-المادة 3: شهادة الدراسات الإسلامية المطلب الوحيد لتولي الوظائف في المنطقة العسكرية.

-المادة 4: تسمح تعليمات مؤقتة حتى (01 جانفي 1898) للأهالي الذين لا يحملون هذه الشهادة بتولي هذه الوظائف قي حالة غياب العناصر التي تملك الشهادات.⁽¹⁾

وقد أعطى هذا المرسوم الأولوية في البرامج التعليمية للدراسات الفرنسية على حساب المواد العربية، إذ يعتبر هو الآخر مرسوم إصلاححي لنظام المدارس الإسلامية الثلاثة، إذ يختلف الحجم الساعي بين القسم العادي والعالي حسب المعطيات التالية:

¹-Bulletin de l'enseignement des indégenes.no :158 P : 58.

الجدول (23) الحجم الساعي للقسم العادي والعالى.

القسم العالى		القسم العادى	
الحجم الساعى	المواد	الحجم الساعى	المواد
02	تارىخ الحضارة الفرنسىة	04	اللغة الفرنسىة
02	التشريع الجزائرى	02	التارىخ الجغرافىا
04	التوحد الإسلامى وتفسىر القران	01	القانون والتنظىم الإدارى
04	القانون الإسلامى ومصادره	01	الحساب والهندسة
04	الأدب العربى والبلاغة والمنطق	05	اللغة العربىة
		01	العلوم الفىزىائىة والطبىعىة
(¹)		02	التوحد الإسلامى

نلاحظ من خلال الجدول أن هذا التشريع ركز كذلك على تلقىن اللغة الفرنسىة، أكثر من العربىة بالرغم من الطابع الإسلامى لهذه المدارس، خاصة فى القسم العادى، واستمر هذا التشريع حتى بعد 1895 بالرغم من المقترحات التى قدمها "ابن رحال" وجسدها مرسوم 1895 إلا أنها بقىت عدىمة على أرض الواقع.

¹ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق: ص 199.

وظل عدد طلابها قليل جدا موازاة مع حجم الوظائف الموجودة، إن سلمنا بالدور الذي تقوم به هذه المدارس وفي هذا الصدد يشير المفتش "جون مار" في تقريره لسنة (1897-1898) إلى وجود (155) تلميذ في المدارس الإسلامية الثلاث، منهم 120 تلميذ نظامي و 35 تلميذ مستمع حر، يتوزعون حسب السنوات على النحو التالي:

* السنة الأولى: 42 تلميذا. * السنة الثانية: 26 تلميذا.

* السنة الثالثة: 16 تلميذا. * السنة الرابعة: 18 تلميذا.

* السنة الخامسة: 07 تلاميذ + 35 مستعملا حرا. * السنة السادسة: 08 تلاميذ. (1)

وبالرغم من هذه البساطة ظلت هذه المدارس بطيئة وعديمة الفاعلية، أمام الموقف المعادي من طرف الأوربيين اتجاه هذه المدارس، مما جعلها تراوح مكانها ولم تشهد أي تغييرات تذكر من سلسلة التشريعات التي صدرت بخصوصها، وفقا لأسباب نوجزها في الآتي:

-الرفض التام من طرف الفرنسيين لهذه المدارس والضعف الكبير في مستواها العلمي.

الطابع الخاص الذي ميزها كونها اقتصر على فئة قليلة من المجتمع الجزائري. (2)

وقد نشرت جريدة المبعثر أسماء الأساتذة الذين درسوا في هذه المدارس سنة 1896 وهم:

* مدرسة الجزائر * مدرسة قسنطينة * مدرسة تلمسان

وهم طلبة تخرجوا من هذه المدارس وتقلدوا وظائف رسمية فيما بعد.

والجدول الآتي تبين بالترتيب أهم المدرسين الذين درسوا في هذه المدارس.

¹ - Jeanmaire : rapport(1897-1898)p :19.

² - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 201.

*مدرسة الجزائر:

الجدول (24) أسماء معلمي وأساتذة مدرسة الجزائر والمواد المدرسة.

المدرس	المواد	الملاحظات والتعليقات
عبد الرزاق الاشرف	الأدب والنحو	عين قاضيا في "نقاوس" باتنة"
علي العمالي	النحو/الفقه/التوحيد	نجل المفتي المالكي "حميدة العمالي"
عمر بريهمات	الفقه الفرنسي/الفقه الإسلامي للتوحيد	ابن حسن بريهمات مدير المدرسة
عبد الحليم بن سماية	الأدب العربي	ابن علي بن سماية محرر في المبعثر
محمد السعيد بن زكري	الفقه والتوحيد	مفتي ومؤلف
غوتيه	التاريخ القديم (يوناني/روماني)	صاحب كتاب القرون الغامضة
غوتيه	الجغرافية القديمة والعامية	
غوتيه	تاريخ إفريقيا الشمالية	
غوتيه	اللغة والأدب الفرنسي	
جولي	العلوم الطبيعية والرياضيات	اشتهر بكتاباتة عن الأدب الشعبي
جولي	اللغة الفرنسية	كتب عن الطرق الصوفية ⁽¹⁾

نلاحظ بعض الأسماء التي عُدت من النخب الجزائرية خلال القرن التاسع عشر. إضافة الى فرنسيين درسوا بهذه المدرسة وعلى رأسهم "غوتيه" «Gouti» الذي تأثر به "فرحات عباس"

¹ - المبعثر: عدد 1896/12/26.

*القسم العالي:

الجدول (25) أسماء مدرسي المواد في القسم العالي بمدرسة الجزائر.

الملاحظات والتعليقات	المواد	المدرس
مدير مدرسة في الجزائر	الحضارة الفرنسية	ديلفان
	المحادثة في الادب الفرنسي	ديلفان
	فقه جزائري (تشريعات)	عمر بن بريهمات
	الفقه التوحيد/اصول الدين	محمد السعيد بن زكري
	المنطق/البيان/التفسير	عبد الحلیم بن سماية
(عبد الحلیم بن سماية)	الانشاء الادبي	دون استاذ

*مدرسة قسنطينة:

الجدول (26) أسماء مدرسي المواد في مدرسة قسنطينة.

الملاحظات والتعليقات	المواد	المدرس
أبوه محمد الشاذلي أول مدير للمدرسة	التوحيد	محمود بن الشاذلي
أصبح مفتيا سنة 1908	الفنون الأدبية/الفقه الإسلامي	المولود بن الموهوب
	النحو والصرف	عبد القادر المجاوي
مترجم عسكري/مستشرق	القانون الفرنسي/التاريخ والجغرافيا	موتيلانسكي
	الحساب/الهندسة/العلوم الطبيعية	بييريه
درس الفرنسية واهتم بتاريخ قسنطينة	التاريخ والجغرافيا	سان كليبر

*مدرسة تلمسان:

الجدول (27) أسماء مدرسي المواد في مدرسة تلمسان.

المدرّس	المواد	الملاحظات والتعليقات
احمد بن البشير	التوحيد	أدار المدرسة قبل 1876 (الفقه)
البغدادى	الفقه	بدون الاسم الأول
جورج مارسيه	الفرنسية والتاريخ والجغرافيا	مدير المدرسة/مفتش
جورج مارسيه	الحساب والقوانين الفرنسية	انتقل إلى مدرسة الجزائر
رندرق	العلوم الطبيعية	درّس الحساب ⁽¹⁾

هي مدارس ثلاثة سميت بالمدارس الشرعية الثلاثة، أرادتها الإدارة الاستعمارية ان تحل محل المعاهد والجامعات الإسلامية المجاورة، وضعتها فرنسا لتلبي حاجيات الجزائريين وفقا لتوجهاتها وأفكار الحركة الإستعمارية حتى تستطيع الوصول إلى أهدافها وغاياتها، لكن التعليم في هذه المدارس ظل محتشما وبطيئا يسير بوتيرة قليلة جداً لم تستطع الإدارة الإستعمارية ان تسيطر على أفكار وتوجهات الجزائريين، إذ بالرغم من كل هذا الحصار المطبق إلا ان المجتمع الجزائري ظل واقفا على مبادئه وهويته وحافظ على استمرارية كيانه ولو بتعليم بسيط في المدارس القرآنية وبعض الزوايا. وهذا إن دل على شيء انما يدل على وصول السياسة الإستعمارية التعليمية إلى طرق موصدة، بالرغم من كسبهم ولاء نخبة قليلة قالوا عنها أنها صفوة وأنها زبدة المجتمع الجزائري ستكون واسطا بينها وبين الجزائريين، لكن تيه هذه النخبة بين تكوينها وطموحها حال دون ان تلج عمق المجتمع الجزائري الأصيل بثقافته وعمقه التاريخي الضارب في عصور وأزمنة.

¹ - جريدة المبعثر: عدد 05 ديسمبر 1896.

المبحث الخامس: التعليم الفلاحي (التطبيقي)

كنا قد اشرنا سابقا إلى ظهور توجه جديد في التعليم العمومي الأهلي، أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، نتيجة لضغوط كبيرة كان يؤدي دورها المستوطنون الأوربيون، الذين ظلوا يتصدون لكل محاولات الإدارة الاستعمارية في نشر التعليم الأهلي وتوجت مجهوداتهم هذه بل وتكلفت أواخر القرن بصدور مراسيم تنظم وتحدد هذا التعليم البسيط الذي لم يكن يرق حتى لدرجة تعليم، بل انحصر في مدارس ابتدائية هنا وهناك، لم تؤدي حتى أدوارها الأولى، بدأت فكرة التعليم الفلاحي تلوح في الأفق، إذ يحول التلاميذ الجزائريين الذين زاولوا المرحلة الابتدائية إلى الحرف والمزارع خدمة لمطالب الكولون.

بدأت هذه المطالب تتبلور على أرض الواقع، حيث ركز المستوطنون كل مجهوداتهم لغرض التصدي للتعليم الأهلي النظري بضرورة تحويله إلى العمل الفلاحي التطبيقي لكونهم احتكروا الأراضي الزراعية الخصبة ولأجل توفير العمالة الجزائرية، لتحقيق إنتاج فلاحي دون تكلفة والذي جسده برنامج 1898 في بعض مواد التعليم التي حددت آليات تطبيق هذا البرنامج والذي سنفصله بالتدقيق.⁽¹⁾

بعد انعقاد المؤتمر الأول للفلاحين في ديسمبر 1878 والذي ركز على أهم المطالب التي نادى بها المستوطنون منذ أمد بعيد والتي كان أولها المطالبة بتقليص مدة التعليم في المدارس الابتدائية الأهلية وانتداب معلمين يكلفون بتعليم أساليب الغراسة ومختلف طرق الزراعة وتوجيه المدرسة إلى خدمة الفلاحة وأمام هذه الضغوط الهائلة وافق الحاكم العام: "ليبين" « **Lépine** » (*) على أغلب المقترحات وطلب من المجلس الأعلى المصادقة على اعتماد مالي

¹ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص: 205.

* الحاكم العام "ليبين" « **Lépine** » (1933/1846) حكم فترة قصيرة تضاف إلى تاريخ فرنسا الاستعماري من 1897 إلى 1898. (ينظر: شارل ريبير اجرون. الجزائريون المسلمون.... المرجع السابق)

قيمته "25.000 فرنك" وطلب من وزير التعليم العمومي استدعاء مدير الدراسات للشروع في تعديل البرامج، التي توجه إلى الحرف والأعمال اليدوية والزراعية وفي الحين وافق مدير الدراسات على هذه المقترحات وهو السيد "جون مار" الذي اعتمدنا على تقريره في كثير المحطات والذي وصف هذا النوع الجديد بدروس التسلية الجميلة.⁽¹⁾

إن التعليم المراد به من قبل المستوطنين ليس هو الطريق للبحث عن مهنة أو حرفة إنما هو محاولة أخرى لاستغلال الجزائريين في خدمة "الكولون" لتكوين عمالة محلية بأقل تكلفة وجاهلة في آن واحد لا تطالب بحقوقها وتشبه الاستعباد والإقطاع، مقارنة باليد العاملة الأوربية التي تطالب بنفس الحقوق والواجبات التي يتمتع بها المواطن الفرنسي.⁽²⁾

أدخلت مواد أخرى على برامج التعليم الابتدائي، فارتفع عدد الحصص التطبيقية، الرامي إلى التعرف على المؤسسات المفيدة كالبريد القرض، صندوق التوفير، الاحتياط الفلاحي ولأجل إثراء هذا النمط التعليمي الحديد أضيف عدد كبير من التمارين المتعلقة بالأشغال اليدوية بحجم ساعي قدر بساعتين ونصف في مستوى التعليم الابتدائي وثلاث ساعات في المستوى المتوسط. كما أدرج امتحان تطبيقي يسمى: التمرين الفلاحي أو العمل اليدوي الامتحان النهائي لنيل الشهادة الابتدائية الأهلية.⁽³⁾

إن الهدف من التعليم التطبيقي هو جعل الجزائريين مجتمع زراعي بعيد عن الاحتكاك الذي قد يحدث إذ هم تعلموا نظريا وبالتالي احتلهم للوظائف العامة التي قد تمكنهم من المطالبة بحقوقهم، اجتماعيا واقتصاديا خاصة في المدن وبالتالي تركهم لأريافهم والتوجه إلى المدن لأجل تحصيل مناصب شغل في التجارة والإدارة ككتاب، ترجمانات وفي المؤسسات الصناعية كالنقل والسكك الحديدية، كل هذا كان وراء موقف المستوطنين السلبي من

¹ - شارل ربيز اجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، ص: 524.

² - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص: 206.

³ - شارل ربيز اجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا.... ج2، المرجع السابق، ص: 525.

مدرسة « **Jeanmair** » لذلك كانوا يقولون "إن تطوير التعليم المهني الفلاحي عند الأهالي يعني خدمة مصالحهم ومصالحنا ولكن سيكون لصالحنا أكثر من صالحهم"⁽¹⁾

ومع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، تم تأسيس مدارس فلاحية سميت ب: « **les écoles Fermes** » وأوكلت مهمة التدريس قي هذه الأقسام إلى مدرسين عمال "Maitre Ouvriers" لإعطاء تعليم ابتدائي فلاحي وبالتالي إبعاد المدرسة عن محتواها الحقيقي والهدف المسطر لها، بالرغم من سلبية البرامج ومحدودية هذا التعليم.⁽²⁾

وقد عملت الإدارة الاستعمارية جاهدة لأجل تثبيت دعائم هذا النمط الجديد، في الأرياف لإبعاد الجزائريين عن ممارسة الأنشطة الاقتصادية أين يقع التواصل والاحتكاك بين الطرفين وهو تعليم يدوي يرجع إلى سنة 1882، لكنه لم يظهر رسمياً حتى أواخر القرن التاسع عشر⁽³⁾

ومع بداية القرن العشرين وتحديد سني 1901 ظهرت أقسام أخرى وعددها خمسة لتصبح في المجموع تسعة أقسام وبدأت الإدارة الاستعمارية تولي اهتمام بالغ بهذا النوع الجديد من التعليم وأمام هذا التحول طالبت بعض الجهات الناطق الرسمي "للكولون" بضرورة تغيير الهيئة المشرفة على التعليم التطبيقي من مدير التربية "جون مير" « **Jeanmaire** » الذي أبدى رفضاً تاماً لهذا النوع الجديد من التعليم ووصفه بالعبث الصياني لأنه كان يؤمن بتكوين نخبة علمية تنصهر في الثقافة الفرنسية وتسير شؤون الأهالي فيم بعد في إطار الحضارة الفرنسية.⁽⁴⁾ أراد المعلمون من خلال هذا التعليم التطبيقي تكوين عمال فلاحين في أعمال الكرمة والتي كانت من نصيب العمال الإسبان سابقاً، باعتبار أن هذه الزراعة بدأت تنشط في هذه الأثناء وأصبحت عاملاً مهماً في ازدهار الاقتصاد الفرنسي والمصلحة الاستعمارية⁽⁵⁾ وتأسست بموجب ذلك مدارس فلاحية في

¹- Bulletin de l'enseignement des indigènes .no :146.P :89.

² - عمار هلال: المرجع السابق، ص 117

³ - Bulletin de l'enseignement des indigènes. supplément.1893.p :14.

⁴ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 208.

⁵ - Jeanmaire : rapport(1897-1898)p :86

كل من "تاويرت ميمون" بمنطقة القبائل ومدرسة "عمي موسى و"مازونة" بمقاطعة وهران ومدرسة "بن شيكاو" والتي خصصت لتقديم التعليم الابتدائي بمقاطعة الجزائر.⁽¹⁾

خلافًا للتعليم الفلاحي، أسست بعض المدارس لتعليم بعض الصنائع في بلاد القبائل والعاصمة وتلمسان، مثل صناعة الخزف والنسيج والخياطة وغيرها وتتبع هذه المدارس إلى مدرسة التعليم الصناعي الابتدائي الرسمي في مدينة "دلس" والتي كان يتخرج منها صناع أوريون، إضافة إلى هذا هناك ثلاث مدارس تطبيقية صناعية، في كل من الجزائر وقسنطينة ووهران وهي مخصصة للأوربيين دون أدنى حظ للجزائريين، كما تم تأسيس المعهد الصناعي العالي في الحراش يتخرج منه مهندسون أوريون.⁽²⁾

نتيجة لضغط المستوطنين "الكولون" توجهت السياسة التعليمية نحو ما يسمى التعليم المهني أو الفلاحي لتوجيه أنظار الجزائريين عن التليم الإلزامي بالرغم من بساطته وقلته في نفس وقت. حيث عمدت الإدارة الفرنسية إلى إيجاد بدسل آخر للمدرسة هروبا من الواقع. وتنصلا من المسؤولية، تحت ضغط رهيب مارسه فئة "الكولون" في حق الجزائريين بتوجيههم نحو خدمة الأرض بأقل تكلفة، لانتاج محاصيل الزراعة وخاصة النقدية منها بحكم تجارتها الرائدة مثل "الكروم" التي كانت منطقة الغرب الجزائري أهلة بها. والتي توجه الأوربا مباشرة.

أسست الإدارة الاستعمارية العديد من المدارس الفلاحية في الجزائر وخصت منطقة القبائل والغرب بخصص أوفر خدمة لصالحها. خاصة وأن هذا النوع الجديد قليل التكلفة على غرار التعليم الأهلي الإلزامي. واستطاعت ان تسد حاجياتها من عمالة رخيصة وبأقل تكلفة.

¹ - Eliaou Gaston Guedj : op.cit.p51.

² - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 209-210.

المبحث السادس: المدارس الإضافية (المساعدة)

شهدت الفترة الممتدة بين 1898-1908 نقس الوضع الذي لم يختلف عن سابقه بسبب قلة القروض المخصصة للتعليم العمومي الأهلي، بالرغم من السياسة الجديدة المتبعة من طرف الحاكم العام "شارل جونار" (*) الذي أراد أن يجذب طبقة المثقفين لصالح فرنسا وجعلها وسيلة فعالة لنقل رسالة فرنسا الحضارية، لذلك أمر بنشر بعض الأعمال الجزائرية الإسلامية وأصبحت مقررة في مدارس التعليم الأهلي، كما شجع إحياء التراث المكتوب وإحياء فن العمارة الإسلامي وأمر بالتقرب من المثقفين الجزائريين خريجي التعليم العربي الحر وتشجيعهم على القيام بتقديم الدروس في المساجد.⁽¹⁾

كانت سياسة "شارل جونار" « Charles jonnar » تهدف إلى تثبيت السيطرة الفرنسية على الجزائر، لأنه كان يرى أن المدرسة الفرنسية في الجزائر هي أساس السيطرة على الجزائريين وبهذا أعطى نقلة نوعية للتعليم الأهلي، حيث أراد تكوين جيل اصطلح على تسميته "النخبة" بالرغم من بقاء الوضع على حاله يسوده تراجع رهيب في عدد المدارس والرفض المستمر للمعمرين، إضافة إلى النقص المادي المتمثل في قلة القروض وانخفاضها بمرور السنوات، حتى الحرب العالمية الأولى بلغت سنة 1893 9.77. / وكانت هذه النسبة هي فترة الانتعاش ثم بدأت في الانخفاض حتى وصلت 2.37. / سنة 1896 وهبطت إلى 1.5. / سنة 1918 خاصة بعد استقلال الجزائر عن المتروبول.

والجدول التالي يبين بوضوح عدد الأقسام المبرمجة في ظل سياسة الحاكم العام الجديد. وكذا عدد التلاميذ الجزائريين الذين التحقوا بهذه المدارس.

* شارل جونار: Charles jonnar سياسي فرنسي، من أسرة بورجوازية، خريج كلية القانون بباريس، زار الجزائر وهو شاب، عمل في ديوان الحاكم العام بالجزائر بين (1881/1884) ثم رقي إلى منصب مدير مصالح الجزائر بوزارة الداخلية الفرنسية وفي سنة 1883 خلف وزير الأشغال العمومية، عين حاكما على الجزائر من 1909 إلى 1911 فاشتهر بسياسته الموجهة للأهالي. (للمزيد ينظر رابح لونيبي وآخرون: تاريخ الجزائر المعاصر. (1830/1889) ج1. دار المعرفة. الجزائر. 2010. ص87...)

¹ - أبو القاسم سعد الله: مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي (1830/1954) مجلة البحوث والدراسات العربية، ع9، 1978، ص58.

الجدول (28) عدد التلاميذ والأقسام من 1900 إلى 1910.

السنة	الأقسام	التلاميذ
1901-1900	495	25.012
1902-1901	509	26.651
1903-1902	525	27.150
1904-1903	536	28.431
1905-1904	558	25.185
1906-1905	576	30.058
1907-1906	599	32.190
1908-1907	619	33.328
1909-1908	640	34.233
1910-1909	667	36.650 ⁽¹⁾

نلاحظ من خلال الجدول أن نسبة القروض الموجهة للتعليم الأهلي ضعيفة جدا وتحديدًا في البلديات التي يسكنها الجزائريون بكثرة خلافاً للبلديات الآهلة بالأوروبيين والتي كانت توجه لها ميزانية تكفي لتعليم التلاميذ الأوروبيين. وبالتالي فعدد الأقسام المبرمجة للتلاميذ الجزائريين تظل قليلة جداً مقارنة بالحجم الكبير لأعدادهم التي وصلت سن الدراسة.

عموماً يتبين لنا من خلال هذه الجداول والإحصائيات العجز المالي الكبير للإدارة الاستعمارية في تغطية نفقات هذه المدارس لاستقبال أكبر عدد ممكن من التلاميذ الجزائريين وهي عملية مقصودة بضغط من المعمرين.⁽²⁾

¹- عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 215.

²- F.Colonna. Op.cit.p :52.

الجدول (29) القروض الموجهة للتعليم.

السنوات	القروض
1903	1.179.165
1904	1.299.424
1905	1.314.234
1906	1.387.664
1908	1.703.999
1909	1.922.002
1910	2.346.367 فرنك ⁽¹⁾

من خلال الجدول يمكن وصف الفترة الممتدة من (1908 إلى 1914) أنها مرحلة تضاف إلى سابقتها، إذ استمر التناقض الصارخ في السياسة الاستعمارية حول قضية تعليم "الأهالي" فانشأت مدارس جديدة سميت "المدارس الإضافية أو المساعدة". وبقيت وتيرة التعليم الأهلي ضعيفة جداً إذ نسجل على سبيل المثال وجود 32.517 تلميذ سنة 1907 من مجموع 730.000 طفل في سن الدراسة وهو فرق شاسع جداً يدل على سياسة التجهيل المتبعة وفي هذا الموضوع يقول مدير التربية والتعليم: "يجب أن نتظر 20 سنة للوصول إلى تعليم كافة الأطفال الجزائريين."⁽²⁾

والى حدود سنة 1914 ظلت أعداد التلاميذ الجزائريين قليلة جداً مقارنة بالأعداد الإجمالي الكبير، حيث بلغ عدد المتدربين حدود 48.000 تلميذ في هذه السنة، لنسجل نسبة تقدر ب: 5.%. في حدود قرن من الاستعمار تقريبا والجداول التالية تبين بوضوح أعداد التلاميذ الذين التحقوا بالمدارس العادية والإضافية وتحديدًا في السنة الدراسية (1910-1911) وهي اعداد ضعيفة مقارنة بالطابع العام لسياسة "جونار" التعليمية.

¹ - Poulard.M : op.cit. : 226.

² - Bulletin de l'enseignement des indigenes.no :213.P :50.

الجدول (30) عدد التلاميذ في المدارس العادية والإضافية (1911/1910)

المجموع	الأطفال			الجنس	السنة الدراسية
	أكثر من 13 سنة	من 6 إلى 13	أقل من 6 سنوات		
34.002	3046	20.714	1242	الذكور	1911-1910
2218	91	1865	262	الإناث	
36220	3.137	31579	1504	المجموع	

نلاحظ من خلال هذا الجدول الأعداد القليلة للتلاميذ التي التحقت بالمدارس.

الجدول (31) توزيع الأطفال في أقسام الأهالي بين المدارس العمومية والخاصة.

المجموع	المدارس الخاصة	المدارس العمومية	الجنس	السنة الدراسية
34092	589	33.414	الذكور	1911-1910
2218	95	2123	الإناث	
(¹)36220	684	35.036	المجموع	

نتيجة للتجارب السابقة التي مر بها التعليم الأهلي على مدار سبعين سنة، غيرت الإدارة الاستعمارية سياستها التعليمية نحو تعليم بسيط وبإمكانيات بسيطة، تعتمد على أبنية سيئة وبدائية التكوين، تتعارض تماما والعملية التعليمية، حتى وصفها بعض المعارضين داخل الإدارة الاستعمارية نفسها بالمدارس الأكواخ وهي النمط الجديد التي تبنته فرنسا الاستعمارية وأعطت له اسم المدارس

¹ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 230-231

الإضافية أو المساعدة. التي ظهرت للحياة سنة 1908 وبذلت الإدارة الفرنسية قصارى جهدها لإنجاح هذه العملية وإتباع خطوات اقل تكلفة وفقا للاقتراحات التالية:

-زيادة المدارس التحضيرية بتكلفة أقل، يسيرها ممرنون أهالي اقل أجراً.

-يتلقى هؤلاء الممرنين تكوين سنتين في قسم إضافي، وسنة تربويا.

-يتراوح سن التلاميذ من 6الى 10اوحتى 12 في الدواوير.

-لا يتعدى القسم الواحد 50تلميذا.

-يتلقى التلاميذ أربع مواد رئيسية:الفرنسية الشفوية، العربية المكتوبة، الحساب، المعلومات الأولية⁽¹⁾

كان الحاكم العام "جونار" « Jonnar » قد دعا إلىتأسيس هذه المدارس الأقل تكلفة،قي تقريره لسنة 1892 حيث أشارلضرورة بناء مدارس قي شكل مباني بسيطة قدر الإمكان واستطاع أن يطبق هذه السياسة حينما وصل إلى منصب الحاكم العام حيث كان يقول: إن أفضل البرامج المدرسية هي التي تنتج اقل عدد ممكن من الفاشلين والتي تجعل التلاميذ أكثر قابلية للتأقلم مع الوسط الذي هم فيه...!⁽²⁾

يذكر "جورج مارسيه" أن هذا النوع من التعليم وجه توجيهها خاصة لخدمة الأجانب والرعايا(الأهالي)وبالتالي ضرورة تقيد الرعية بأوامر السيد،لذلك كان هذا التعليم الجديد يهدف إلى العمل المهني واليدوي في المزارع الفرنسية والوظائف الفرنسية التي يحتاجها الفرنسيون كالطرز والنسيج.⁽³⁾

¹ - عبد القادر حلوش:المرجع السابق،ص237

² - شارل ريبير اجرون:الجزائريون المسلمون وفرنسا..ج2،المرجع السابق،ص:536.

³ - عبد القادر سعدالله:تاريخ الجزائر الثقافي،ج3،المرجع السابق،ص355.

وفي مناسبة أخرى علق "جونار" « Jonnar » على الموضوع بنفس الأسلوب حيث قال: "ينبغي أن تكون المدرسة الأهلية بيتا قصديريا أنيقا يقدم المعلم بين جدرانها معارف مهنية دون أن ينشغل بالشهادة الابتدائية وينبغي علينا، إذا كنا نرؤم مضاعفة عدد المدارس، أن نشيدها بطرق اقتصادية..."⁽¹⁾

وقد أراد مدير التربية والتعليم "جون مار" « Jeanmar » هو الآخر في سنة 1905 تأسيس نموذج جديد من التعليم الأهلي بالرغم انه كان من دعاة المدرسة الأهلية المشابهة للمدرسة الفرنسية، إلا انه أراد من خلال هذا الاقتراح أن يؤسس مدارس مساعدة تحتوي على قسم واحد في مراكز صغيرة وقريبة من المدارس الرئيسية تشبه المدارس القرآنية، يتم فيها تقديم تعليم أولي بسيط، من طرف ممرنين حاصلين على الشهادة الابتدائية.⁽²⁾

أرادت الإدارة الاستعمارية من خلال وضعها لنظام المدارس الإضافية أو المساعدة إنقاذ التعليم الأهلي وخاصة الابتدائي من الزوال بسبب ضغوط المستوطنين التي أدت إلى شح كبير في القروض الموجهة فوافقت الحكومة العامة على المشروع المقدم لها سنة 1907 وهو تأسيس 60 مدرسة سنويا من المدارس الإضافية، تحت شعار (تعليم بسيط وقل تكلفة)⁽³⁾

لقيت المبادرة انتقادا شديدا، وتحصل هذا التعليم على قرض بقيمة (340.000) فرنك ثم ارتفع شيئا ما ليصل إلى (540.000) سنة 1909، أما برنامج هذا المقترح فلم ينفذ بتاتا، حيث بنيت أربع مدارس سنة 1908 فقط، وهي سياسة أرادها "جونار" غير مكلفة للخزينة الفرنسية، لا تستجيب لكل الشروط ويديرها جزائريون برواتب زهيدة غير مكلفة أيضا، فسميت هذه المدارس (قربي، كوخ...) وسمي هذا التعليم (بورخيس).⁽⁴⁾

¹ - شارل ريبير اجرون: المسلمون الجزائريون وفرنسا.. ج2، المرجع السابق، ص: 536

² - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص: 238.

³ - شارل ريبير اجرون: المسلمون الجزائريون وفرنسا.. ج2، المرجع السابق، ص: 537-538

⁴ - ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص: 358.

وبناء على هذه القرارات العرجاء أرادت الإدارة الاستعمارية من خلال فكرة إنشاء هذه المدارس أن تبين للرأي العام مدى انتشار التعليم في الجزائر خاصة بعد اشتداد موجة الأصوات المطالبة بالتعليم في الجزائر مع بداية القرن العشرين والحقيقة انه تعليم ظاهري ينعدم لمستويات التعليم الحقيقي، لأنه بسيط في شكله وفي مضمونه (*)، واصل تكلفه بشيء كبير عن النموذج الأول الذي تكلمنا عليه سالفا وفي مشاريع أخرى أرادوا أن يستعملوا المدارس القرآنية تكون مراكز لهذه المدارس.⁽¹⁾

وبناء على تقرير الحاكم العام "جونار" « Jonnar » سنة 1907 حسب الأستاذ "سعد الله" فإنها تتوافق مع تقرير "جورج مارسيه" أستاذ مدرسة قسنطينة سابقا، فقط يضيف في تقريره عدد المدارس الخاصة سنة 1907 هو (272 مدرسة) ب (506 قسم) يضاف إليها (69) قسم و (8 مدارس طفولة) إضافة إلى وجود (14 مدرسة حرة) تحت إشراف الفرنسيين منها (11 مدرسة للذكور) و (3 للبنات) تحتوي جميعا على (24 قسم) و المجموع الكلي لتلاميذ الابتدائي سنة (1807) هو (31.185) منهم (2.181 بنت)

الجدول (32) إحصاء التلاميذ الجزائريين (1907/1882)

السنة	العدد
1882	3.172
1887	9.064
1892	12.263
1897	22.468
1902	25.921

* - قسمت الدراسة في المدارس الإضافية إلى مرحلتين:

- المرحلة الأولى: * اللغة الفرنسية: 15 ساعة * الحساب ونظام الأوزان: 05 سا * الرسم: 22.5 سا

* العمل اليدوي: 2.5 سا * استراحات: 05 سا

- المرحلة الثانية: * اللغة الفرنسية: 06 سا * الحساب ونظام الأوزان: 06 سا * الرسم: 2.5 سا

* العمل اليدوي: 20 سا * الفلاحة: 03 سا * استراحات: 05 سا

¹ - Bulletin de l'enseignement des indigenes.no : 179.P :67 . .

31.391	1906
32.517	1907

يذكر الساسة الفرنسيون أن التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر شهد انطلاقة نوعية بدائية من سنة 1892 في إطار رؤية جديدة للمسؤولين الفرنسيين إذ يرون أن هذه السنة هي الميلاد الرسمي للنص القانوني الذي يلزم الجميع ويحدد نظام التعليم وبرنامجه، بفضل جهود كل من "بيردو" «Pier-do» الذي قدم تقريراً حول ميزانية الجزائر لسنة 1891 في مجلس الشيوخ وكذا جهود: السيد "كومبس" «Comps» الذي تكلم أمام مجلس الشيوخ باسم لجنة التعليم في الجزائر، إضافة إلى جهود السيد "لوبرجوا" الذي ألقى خطبة حول تعليم الجزائريين كان لها وقع خاص.⁽¹⁾

بعد كل هذه الترتيبات التي وضعتها الإدارة الاستعمارية لاستبدال التعليم الابتدائي بكل سلبياته عمدت الوفود المالية لجعل برامج هذه المدارس جهوية. غير موحدة حتى تعطي الضربة الأخيرة للحركة التعليمية في الجزائر وتخلق بذلك التفرقة من جديد بين أبناء الشعب الواحد، بحيث تكون لكل منطقة برامجها الخاصة بها، مستغلة الاختلاف العرقي المشكل للجزائر وأمام هذا الواقع فشلت هذه المدارس فشلاً ذريعاً واتجهت نحو الزوال.⁽²⁾

ومن سنة 1909 إلى بداية الحرب العالمية الأولى (1914) بنيت بعض المدارس والأقسام، لكن ليس بالشكل الذي يرمح له المخطط السالف الذكر وهذا راجع إما إلى الميزانية أو للظروف العامة قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى.

والجدول التالي يبين التطور الحاصل في عدد التلاميذ والمدارس في العشر سنوات الثانية من القرن العشرين أي من "1909 إلى 1919".

¹- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص353.

²- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الجدول (33) تطور عدد التلاميذ والمدارس (1919/1909)

السنة	المدارس	التلاميذ(الاهالي)
1909	286	33.887
1910	301	34.811
1914	452	43.270
1919	474	33.747 ⁽¹⁾

وبحلول سنة 1914 وصل هذا المشروع الجديد إلى الإفلاس وبالتالى الزوال، لكونه رغم بساطته إلا أن الإدارة الاستعمارية لم تنجح في تسييره، إذ تشير التقارير أن مجموع المدارس الستين التي تكلمنا عنها سابقا لم يبن منه سوى واحد وخمسين مدرسة بحلول سنة 1909 وذلك لتخلي البلديات عن المشروع بالرغم من بساطته وهشاشته وهو الشيء الذي يؤكد مرة أخرى التكاليف الاستعماري حول موضوع تعليم الجزائريين.⁽²⁾

وفي هذه السنة تحديدا أي (1914) تأسست 160 مدرسة من مجموع 360 مدرسة متوقع إنجازها وهو الشيء الذي يوحي بفشل هذا النموذج الجديد من التعليم والاختلاف الكبير المسجل بين مختلف الهيآت الإدارية في التصريح بالعدد النهائي والدقيق لمجموع هذه المدارس خير دليل على فشلها، إذ يشير هذا التناقض إلى أعداد مختلفة تماما صادرة عن:

-217 مدرسة حسب نائب مدير التربية -202 حسب الحاكم العام.

-166 حسب الإحصائيات العامة للجزائر -161 حسب تقرير لمكتب الحاكم العام⁽³⁾

وختاما يمكن أن نلخص مشروع المدارس الإضافية أو المساعدة كما سميت أنها لم تمثل سوى 20٪. من التعليم الأهلي خلافا لما كان متوقعا من طرف الإدارة الاستعمارية التي كانت ترى في المشروع التغطية الكاملة للجزائر بهذه المدارس، كما تم تسجيل عجز مادي كبير في

¹ عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 246.

² - Documents Algériens... Op.cit.P :34

³ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 247

مصاريفها، إضافة إلى الحالة السيئة لأبنيتهم والبرامج المقدمة فيها وكانت نهاية سنة 1914 خاتمة لزوال هذه المدارس، بالرغم من محاولات الإنقاذ المتأخرة من طرف الإدارة الاستعمارية التي أرادت تأتخاذ المهمة على عاتقها وتجريدها من البلديات، لكنها لم توفق في إنقاذ مشروع خلق ميتا، مما اضطر بالحاكم العام 'لوتو' إلى إلغاء المشروع نهائيا والعودة إلى نقطة البداية، لتسجل مرحلة أخرى من تعاسة الشعب الجزائري.⁽¹⁾

اختلفت التسميات والمسمايات والسياسة واحدة لم تختلف منذ سبعين سنة باختلاف الحكام. ظل الهدف واحداً مدارس قليلة وتلاميذ أقل وهي سياسة واحدة متبعة على مدار سنوات بالرغم من تعاقب حكومات اختلفت في النظام العام (جمهوري. إمبراطوري) لكنها اتحدت في الرؤى والأهداف. وهي اعطاء جزء قليل من التعليم ولفئة قليلة من الجزائريين. نظير تقديم خدمات بسيطة. حتى يبقى الاستعمار طاغيا على كل مناحي الحياة العامة.

¹- Ageron : Histoire de L'Algérie contemporaine, 1883-1979, que sais-je 1980.p :163.

خاتمة الفصل:

شهدت الفترة الممتدة بين (1914/1882) أحداث ووقائع معتبرة ميزت الواقع التعليمي في

الجزائر. إذ نسجل مايلي:

- صدور التشريع المدرسي في مرسوم 1892 الذي أعطى التعليم الابتدائي لكل الأطفال الجزائريين سواء عموميا اوخاصاً.
- فرض إجبارية التعليم مرة أخرى على الجزائريين. وإلزاميته. دون تسخير مدارس أكثر وتعليم أوفر. وبالتالي تبقى المراسيم جامدة لم ينفذ منها إلا القليل.
- بقاء التعليم الثانوي حكراً على المدن الكبرى. وبأعداد لا تعكس عمق التعليم الحقيقي.
- ديمومة استمرار المدارس الشرعية الثلاثة لكن دون فائدة مرجوة، إذ ظلت تقدم تعليماً هزيلاً بالرغم من الإصلاحات التي أدخلت عليها. وكذا فلول الطلبة القليلة.
- انشاء تعليم جديد يسمى "الفلاحي" لتوجيه انظار الجزائريين عن التعليم الهادف. بإيعاز من "الكولون" لتوفير العمالة الرخيصة.
- تأسيس مايسمى بالمدارس الإضافية او المساعدة. وهي أقل تكلفة في هياكلها من الأولى. لكنها دون فائدة منتظرة.
- فشل سياسة الحاكم الهام "شارل جونار" في تطبيق سياسة عامة تعليمية عادلة وهادفة، تضاف الى سلسلة سياسات سابقة على مدار قرن من الزمن.

الفصل الخامس:

التعليم الأهلي وبرز النخبة

الجزائرية 1914-1944.

الفصل الخامس: التعليم الأهلي وبروز النخبة الجزائرية 1914-1944.

المبحث الأول: ظهور النخبة الجزائرية.

المبحث الثاني: المدرسة الفرنسية وجماعة النخبة.

المبحث الثالث: الحركة الوطنية وجماعة النخبة.

المبحث الرابع: موقف الإدارة الفرنسية والأهالي من جماعة النخبة.

المبحث الخامس: أثر المدرسة الفرنسية على جماعة النخبة.

الفصل الخامس: التعليم الأهلي و بروز النخبة الجزائرية 1914-1944

كان من نتائج سبعين سنة من التعليم الأهلي في ظل السيطرة الاستعمارية، ظهور مجموعة من التلاميذ الجزائريين اغلبهم من العائلات الكبيرة والمتنفذة ظهور جماعة ناطقة بالفرنسية تتمتع بثقافة غير عربية اصطلح عليها اسم "النخبة الجزائرية" أو المتطوعين « *Intellectuels* » أو المثقفين. « *L'élite* » وهم اللذين ساعدتهم الظروف في الإلتحاق بالمدارس الأهلية الفرنسية، وكانوا على نوعين: منهم من تتقف ثقافة فرنسية بحتة وارتقى في أحضان الفكر الإستعماري. ومنهم من كانت ثقافته مزدوجة (عربية فرنسية) دافع على بني جلدته بالقلم والعريضة. والفصل الآتي تعريف لهذه الفئة الناشئة.

1-المبحث الأول: ظهور النخبة.

تجمع اغلب الكتابات التاريخية أن النخبة الجزائرية تعود أصولها الأولى إلى حركة الشباب الجزائري التي ظهرت عام (1892) من طرف مجموعة من المثقفين ثقافة فرنسية بحتة وفئة أخرى تحمل ثقافة مزدوجة بين العربية والفرنسية وهي التي ارتأت أن تلعب دور الوسيط بين الإدارة الفرنسية و "الأهالي" الجزائريين لأجل نقل معاناتهم والمطالبة بتحسين ظروف المعيشة.⁽¹⁾

يقصد بجماعة النخبة مجموعة من الشباب خريجي المدارس الفرنسية واللذين تأثروا بالثقافة الأوروبية وانبهروا بها وأعطوا الحق الشرعي لفرنسا في الجزائر وميّزوا أنفسهم على غرار النخبة الإصلاحية الأخرى التي سبقتهم أمثال "عبد الحليم بن سماية" و "الشيخ المجاوي" و "ابن الموهوب" اللذين حافظوا على انتمائهم الحضاري ودافعوا على مقوماتهم بكل جرأة وبهذا نشأت هذه الفئة من الشباب وارتقت في أحضان الحضارة الاستعمارية بل نصبوا أنفسهم مدافعين عن الوجود الفرنسي في الجزائر وكانوا الأوائل اللذين أسسوا وروجوا لفكرة الإدماج وطالبوا بالتجنس بل

¹ - خمري الجمعي: حركة الشبان الجزائريين والتونسيين (1930/1900) أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم قسم التاريخ، جامعة منتوري

تصلوا تماما من أصولهم الجزائرية ومنهم من أنكر حتى الوجود الجزائري في التاريخ وهو الأمر الذي سنفصله في هذا الفصل من دراستنا.⁽¹⁾

وهناك تعريف لجماعة "النخبة"^(*) أراد من خلاله صاحبها وهو عضو بارز في هذه الجماعة، أن يقدم مفهوما أكاديميا لجماعته سنة 1911 بقوله: "ثريات الشبان المتخرجين من الجامعات الفرنسية والذين كانوا قادرين بأعمالهم، أن يصعدوا فوق الجماهير وأن يضعوا أنفسهم في مصاف ناشري الحضارة الحقيقيين" كما قدم إيضاحاً وشرحاً كاملاً يبين فيه فروقاً بين هذه النخب إذ ميز بين الأغلبية البسيطة التي درست في المدارس الفرنسية لكنها لم تأخذ سوى التعليم البسيط وهم الذين مثلوا فيما بعد الوظائف الحكومية البسيطة، خلافا لفئة أخرى سميت **نخبة النخب**^(**) وهي التي حصلت على تعليم عال وراق وجاد وهم أقلية على حد قوله.⁽²⁾

وخلافا لهذا التعريف يرى المستعرب "جورج مارسيه" « Georges Marçais » مدير المدرسة الإسلامية الجزائرية بتلمسان أن جماعة النخبة ليست الأقلية وإنما هي كل الجزائريين اللذين جمعوا بين الثقافتين⁽³⁾

كما قدم عي مراد تعريفا شبيها بسابقه في مذكراته إذ قال بأنهم جماعة يحسنون اللغتين، وينتمون إلى الطبقة المثقفة، أي تلك الجماعة التي درست كل من الحضارة العربية والفرنسية.⁽⁴⁾

¹ - أبو لقاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (1930/1900) ج2، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص159.

^{*} - أول من أطلق هذه التسمية هو الكاتب "مورال" وقد شهر له كثيرا من طرف الصحف الفرنسية والإدارة الاستعمارية التي أطلقت هذا الاسم خصيصا على جماعة معينة من الجزائريين تميزا لهم على بقية أفراد المجتمع وذلك تشجيعا لهم لمواصلة السير في سياسة الإدماج والتجنس، باعتبارهم أكثر تأثيرا على عامة الناس، كما صنف "مورال" النخبة في الجزائر إلى نخب مفرنسة وغير مفرنسة وهي التي تشمل الإقطاعيين والعمال المناضلين والمثقفين ثقافة عربية، أما المثقفون فهم المتفرنسون الذين تلقوا تعليما في المدارس الفرنسية ويفرقهم على أساس: نخبة نصف متعلمة او متوسطة التعليم وهي الحاصلة على مستوى الابتدائي.

^{**} - نخبة النخبة: وهم خريجي الجامعات الفرنسية من أطباء وصيادلة ومحامون وأساتذة. (ينظر سعد الله: الحركة الوطنية، ج2، ص159).

² - نخبة النخبة: وهم خريجي الجامعات الفرنسية من أطباء وصيادلة ومحامون وأساتذة. (ينظر سعد الله: الحركة الوطنية، ج2، ص159).

³ - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، ج2، المرجع السابق، ص:159.

⁴ - مراد علي: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر (1940/1925) الجزائر، دار الحكمة 2007-2008 ص130.

منذ دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر، بدأت الإدارة الاستعمارية تفكر في خلق البديل، حيث وضعت النواة الأولى لمدارس فرنسية في الجزائر العاصمة هدفت من خلالها تدريس اللغة الفرنسية وبعض العلوم الأخرى وفتحت هذه المدارس أبوابها للفرنسيين والجزائريين "الأهالي" من المسلمين واليهود.⁽¹⁾

وتشير الكثير من الكتابات التاريخية إلى الأصول المباشرة للنخبة، حيث تركز على التركيبة الاجتماعية التي تنتمي إليها هذه الفئة من الشعب وتؤكد على الطبقة الوسطى والناشئة التي احتوتها هذه المدارس وتخرج منها تلاميذ بمراتب عالية (أطباء، معلمين، صحفيين) أصبح لهم شأن كبير في حياة المجتمع الجزائري.⁽²⁾

وظلوا يعتبرون أنفسهم أقلية متميزة منفصلة عن عموم الجزائريين سعت إلى محاولة تحويل المجتمع الجزائري إلى أوربي مع بعض ميولا تهم الدينية للإسلام والتقاليد، حيث اشترطوا على الإدارة الفرنسية عدم تخليهم عن أحوالهم الشخصية كمسلمين بل وطالبوا بإلغاء قانون "السناتوس كونسيلت" (*) واعتبروه رمز تمسكهم بوطنيتهم.⁽³⁾

ارتبط ظهور النخبة بالمدارس الشرعية الثلاث، إذ كان لها فضل كبير في تخريج كم هائل من هذه النخب الاندماجية التي خدمت الاستعمار عدا النذر القليل من اللذين كانوا على صلة بالقضاء الإسلامي وهم الذين كانوا في صف الهوية والوطنية، أمثال: محمد بن رحال وغيره

¹ -F.Colonna. Op.cit. :16.

² - سلوى لهلال: ظهور النخبة الجزائرية ومرجعيتها، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، ع20، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص78

* - هو قرار مشيخي صدر في 1863/4/22 لتحديد اراضي القبائل بافرازاها بين الملك والعرش، حتى يسهل التحكم فيها .

³ - عبد الله كبار: النخبة الجامعية والمجتمع المدني في الجزائر: قراءة سيولوجية في جدلية الواقع والممارسة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع11، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ص218

وقد استغلت الإدارة الاستعمارية الترجمة من العربية إلى الفرنسية على غرار الرسائل وعقود الملكية والأوقاف والعرائض، إضافة إلى الكتب والمصادر وسيلة أساسية لتوظيف هذه النخب لصالحها.⁽¹⁾

لكن ظهور هذه النخب كان بطيئا جدا وهذا باتفاق اغلب كتاب هذه الفترة وهم قلة قليلة لا تكاد تعد. إذ يصفهم الكاتب الفرنسي "بوسكي" « Bosque » بان طريقة ظهورهم كانت "مؤلمة" و"بطيئة" كما يذكر الكاتب الفرنسي "الود" « Aloud » أن عددهم سنة "1907" لا يتعدى 450 مثقف جزائري، كما سماهم المؤرخ الفرنسي "لوري-بوليو" « Lori Polio » بالجزائريين المتأوربين.⁽²⁾

وبخلاف ذلك هناك اختلاف بين الكُتّاب في طريقة تكوين هذه النخب فالبعض من أعضاء هذه الطبقة اعتبروا أنفسهم أقلية ممتازة تنفصل عن أغلبية ناقصة مكونة من طبقات مختلفة من عموم الشعب.⁽³⁾

يصفهم الكاتب الفرنسي "جون جوريس" « Jeon Jaurés » بأنهم أناس ضائعون بين الحضارة العربية والأوربية ويروى انه قال عنهم "أنا مزقنا الشبان الجزائريين بين حضارتين وسرعان ما فقدوا الاتصال بحضارتهم ولكنهم غير قادرين على الدخول في حضارتنا إلا بصعوبة.⁽⁴⁾

لكن بالرغم من تكوينهم الفرنسي إلا أن قضية التعليم ظلت الشغل الشاغل بالنسبة لجماعة النخبة، حيث كان التعليم الفرنسي في أعلى قائمة مطالبهم اتجاه الإدارة الفرنسية وتصعدوا للفكرة الاستعمارية القائمة على أن الجزائريين أعداء للمدرسة وظلوا يُصرون على مدى احترام الجزائريين للعلم والتعليم لذلك تقدموا بالاقتراحات الآتية:

1- وضع برنامج خاص لتعليم الجماهير الجزائرية موضع التنفيذ.

¹ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص143-144.

² - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، عالم المعرفة، الجزائر 2011، ص160.

³ - الشريف ابن حبيلس: المصدر السابق، ص160.

⁴ - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، ج2، المرجع السابق، ص161.

2- إصلاح المدارس الجزائرية-الفرنسية.

3- نشر التعليم الفرنسي والثقافة الأوربية لتطوير المجتمع الجزائري.⁽¹⁾

كما ركزت جماعة النخبة على فئة الشباب في المدن والأرياف بين ضياع الفئة الأولى في العيش والمجون وجهل الفئة الثانية في الأرياف بسبب الأعمال الفلاحية الشاقة التي كانت البلديات المختلطة تفرضها ولأجل انتشار الفئتين من هذا الركود ركزت على الجمعيات الخيرية والمساعدات الطبية وشجعت باب الهجرة إلى فرنسا لما لها من فوائد حسب تعبيرهم، حيث أنها ترفع معنويات الجزائريين بتعرفهم على أجناس مختلفة والاحتكاك بهم، كما انها تيسر حالتهم المادية.⁽²⁾

عندما أصبح "جونار" « Jonnar » حاكما عاما للجزائر طبق سياسة أهلية أراد من خلالها أن يستقطب النخبة إلى فرنسا لجعلهم وسيلة مهمة في نشر رسالة فرنسا "الحضارية" وفي هذا الصدد يقول " مانصه "... يجب خلق نخبة مثقفة قادرة على نشر أفكار قضائنا وتقدمنا. بورجوازية محافظة سترتبط بنا أكثر وتميز الطريق المتبع تحت سيطرتنا..."⁽³⁾

إن أهم ما ميز جماعة النخبة هو قبولهم التجنس بالجنسية الفرنسية والدخول تحت القانون الفرنسي دون مراعاتهم للعامل الديني، خاصة وأن العلماء أفتوا بعدم التخلي عن الدين واعتبروا المنادين بالجنسية مرتدين عن الإسلام، لذلك ظل العامل الديني يجرج هذه الجماعة وقبولوا بعدم الاحترام من طرف عامة المجتمع.⁽⁴⁾

عملت المدرسة الفرنسية على إقناع الجزائريين بعظمة فرنسا وقوتها، خوفا من التيار الوطني، لذلك سعت جاهدة إلى الوصول إلى الاحتلال الكامل للجزائر وفي هذا المنوال يقول احد الفرنسيين هو "رامبو" « Rambo » من الجمهوريين يقول: "علم واحتل، احتل بالتعليم، علم

¹ - ابو القاسم سعدالله: الحركة الوطنية، ج2، المرجع السابق، ص164-165.

² - الشريفا بن حيبلس: المصدر السابق، ص166.

³ - Poulard.M. : op.cit.P :17

⁴ - الشريفا بن حيبلس: المصدر السابق، ص167.

لتحتل" وفي نفس السياق يقول "كومب" « Camp » « يجب تغيير شروط الحياة الثقافية للأهالي وخلق البلبلة في أفكارهم وهدم أسس معتقداتهم وعاداتهم الوحشية والمتحجرة»⁽¹⁾

لذلك وبالنظر إلى الظروف التي نشأت فيها جماعة النخبة نجدها قاسية جداً كون هذه الفئة تربت تربية فرنسية خالصة وفي محيط أقل ما يقال عنه أنه بعيد كل البعد عن واقعها الحقيقي ولم تنشأ على مقوماتها التاريخية من لغة ودين وأعراف، بل لم تنل من ثقافتها الإسلامية سوى النذر القليل والبسيط، فاختلط عليها التفريق بين الأول والثاني، مما أدى إلى انخياز أفراد من هذه الجماعة إلى الثقافة الفرنسية والارتقاء فيها حتى اعتقدوا أن تاريخ الجزائر يبدأ من سنة 1830، لذلك فهذا التكوين وهذه النشأة انعكست سلباً على مدى تفكير هذه الجماعة، وأصبحوا يقدسون أعلام الفكر الأجنبي.⁽²⁾

إذن هي نخبة كانت نتاجاً لسياسات فرنسية تعليمية سابقة على مدار سبعين سنة من الإحتلال. وهي الأرقام والإحصائيات التي كنا ننشرها سابقاً في جداول أقل ما يقال عليها أنها تعد على الرؤوس، هو هدف كبير ظلت الإدارة الفرنسية جاهدة للوصول إليه لأجل خلق هكذا فئات تلعب دور الوسيط بين مؤسساتها الإستعمارية والجزائريين حتى يسهل عليها التواصل والسيطرة في آن واحد. فئة أقل ما يقال عنها أنها نتاج لواقع تعليمي رهيب ظل يسود الجزائر على مدار قرن من الزمن. وهي ضحية في نفس الوقت لأنها ذابت وانصهرت بسهولة دون أدنى مراعاة لأصولها وواقعها. فئة تأثرت بما قرأته. فلم تفرق بين الأصل والفرع. فئة لم تحترم مبادئها فابتعدت عن هويتها ودينها. تنصلت من كل معتقداتها وظلت تحاكي الزمن هل هي فرنسية ام عربية. فحسرت الأول وزادت الثاني.

¹- Turin. Y : OP-CIT. P : 73.

²- احمد طالب الإبراهيمي: المصدر السابق، ص 18.

المبحث الثاني: المدرسة الفرنسية وجماعة النخبة.

لعبت المدرسة الفرنسية دوراً هاماً في تكوين جماعة النخبة، بالرغم من أن التعليم الموجه الذي تكلمنا عنه سابقاً كان محدوداً وبسيطاً إلا أن الإدارة الفرنسية وجدت التربة الخصبة في التركيز على بعض الفئات من الأبناء العائلات البورجوازية والمتنفذة وصنعت منهم جيلاً فرنسياً بامتياز، هذا ما سنشرحه في هذا المبحث، حيث سنركز على الدور التاريخي الذي لعبته المدرسة الفرنسية في صقل وتكوين هذه الأجيال.

استعمل الاستعمار الفرنسي في الجزائر المدرسة كوسيلة ضغط على "الأهالي" لتحقيق الغزو الفكري والثقافي خاصة وان الإدارة الاستعمارية أصبحت تتفادى المقاومة الجزائرية بعد ثورة "المقراي"، لذلك لجأت إلى السيطرة على الأرض والعقل في نفس الوقت، لتحقيق الهيمنة الكاملة والتامة في الجزائر.⁽¹⁾

وفي هذا الصدد يقول "مورلان" « Morlan » أن الاستعمار الحديث يختلف عن القديم فالأول يعتمد القوة والعنفوالإبادة، أما الثاني فيعني نشر الحضارة والتقدم المزعومة، لأن الأوربيين وخاصة الفرنسيين منهم كانوا يرون أن شعوب المستعمرات جهلة ومتخلفون وبالتالي ضرورة ترقيتهم وفقاً للحضارة الأوربية وذلك عن طريق المدرسة وهو الشيء الذي عملت عليه فرنسا بالجزائر، فمزاج الفرنسيون بين المدرسة والصحة، على حد قول النظرية الاستعمارية "علم لتحتل" واشف لتحتل"⁽²⁾

بعد مضي سنوات عن الاحتلال وانتشار المقاومة في كل ربوع الوطن تفتنت فرنسا إلى فكرة إدماج "الأهالي" وتقريبهم من المدرسة الفرنسية لخلق الدور الكبير الذي كانت تقدمه الزوايا

¹- عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 254.

²- Turin. Y :.op.cit..P :74

الجهادية وكان أول القادة المتحمسين "نابليون الثالث" «Napoléon III»^(*) الذي أراد تحقيق غايته المنشودة المتمثلة في "تفكيك الشعب العربي وإدماجه" فعمل على تفكيك القبيلة وإضعاف سلطة القادة وفي هذا الشأن يقول احد الفرنسيين "نحن أمام قومية مسلحة وصلبة يجب إخمادها بالدمج"⁽¹⁾

ولتحقيق هذه السياسة اعتمدت الإدارة الاستعمارية على عاملين مهمين وهما:

أ- عرقلة التعليم العربي الحر الذي تم بعثه من جديد من طرف بعض المصلحين والمحسنين لكونه نابع من الزوايا وبعض المعاهد التي تشكل خطرا على الوجود الاستعماري، بتصاعد موجة المقاومة ضد الاحتلال وبالتالي يعرقل عملية الإدماج في هذا الشأن كتب احد منظري الاستعمار الفرنسي تقريرا لنابليون الثالث يقول فيه "... نعرقل قدر الإمكان تطور المدرسة العربية والزوايا وبكلمة واحدة يجب أن نعمل على إحباط الأهالي ثقافيا وماديا، إن المدارس والدين سينموان تحت حماية فرنسا ومصالحها."⁽²⁾

ب- خلق بديل آخر عن التعليم العربي الحر بتأسيس المدارس العربية الفرنسية والكوليج الإمبراطوري وبعض المؤسسات الأخرى لإدماج أبناء "الأهالي" وتعويضهم لما فقدوه من مؤسساتهم حتى تسهل عملية إفراغهم من دينهم وهويتهم وتصنع منهم نخبة إدماجية وهو ما استطاعت تحقيقه مع بعض أبناء البورجوازية الإقطاعية الذين استعملتهم وسيلة فعالة فيما بعد لتحقيق الإدماج. لكن نسبة هؤلاء المتعلمين ظلت قليلة جدا لدرجة أن احد موظفي الإدارة الاستعمارية

* - نابليون الثالث: (لويس نابليون) «Louis Napoléon III» 1873/1808 ابن شقيق بونابرت انتخب سنة 1848 كرئيس للجمهورية في فرنسا، أدى اليمين الدستورية سنة 1850، أيد بريطانيا وتركيا في حرب القرم سنة 1854 ضد روسيا، حضر افتتاح قناة السويس عام 1859 فسقطت بذلك إمبراطوريته، اعتزل السياسة وعاش في إنجلترا، حتى توفي بها في 09 فيفري 1873. استسلم في حرب 1870 في معركة (سيدان) «Sédan» (ينظر: كمال خليل: المرجع السابق، ص 34).

¹ - شارل ريبير اجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص 52.

وهو "أوجين فورميسسترو" « Ojine Formistro » صرح يقول سنة 1880 "لقد فرطنا في تعليم الأهالي حتى نزل إلى مستوى هو أدنى بكثير مما كان عليه قبل الاحتلال".⁽¹⁾

وقد تجسدت سياسة الإدماج بفرنسة التعليم كليا وإضعاف الوازع الديني ومحاربة اللغة العربية وتطبيق سياسات مجحفة وقاسية في حق "الأهالي" بإلغاء المجلس الإسلامي الأعلى للقانون سنة 1875 كما تم إلغاء المجالس الاستشارية وقلصت محاكم القضاء الشرعي من 184 إلى 61 محكمة سنة 1890 وأصبح "الأهالي" يحاكمون في محاكم الاستعمار بدل المحاكم الشرعية التي كانت مخصصة لهم.⁽²⁾

لم تنجح سياسة الإدماج بالرغم من الإمكانيات الرهيبة التي سطرها الإدارة الاستعمارية لهذه السياسة، حيث ركزت كثيرا على التعليم التبشيري خاصة في عهد الكاردينال "لافيجري" الذي أراد أن يجعل من منطقة "القبائل" لبنان إفريقي لكنه لم يقدر حقيقة الواقع الجزائري الذي يميز هذا الشعب الذي لن ولم يتخل عن أحواله الشخصية حتى وإن بقي جاهلاً على مدار عقود من الزمن وهذا الذي كان.⁽³⁾

ومن بين أكبر الوسائل التي انتهجتها فرنسا لتطبيق الإدماج التعليم التبشيري، حيث ركزت على منطقة القبائل عن طريق الكاردينال "لافيجري" « Lavigeri » الذي سخر جهودا جبارة لأجل فصل هذه المنطقة عن باقي الوطن، معتمدا في ذلك على سببين وهما:

- كثافة سكانها وتجمعهم في منطقة واحدة.

- عزلة هذه المنطقة (جرجرة) وبعدها عن المدن الأوربية.

¹ - مصطفى الأشرف: الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، دار القصة للنشر والجزائر 2007، ص 414.

² - شارل ريبير اجرون: تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص 105.

³ - حسنين محمد: الاستعمار الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 35.

كما كان يرى أن هذه المنطقة تشترك في أصولها مع الشعوب الأوربية وأنها تحتاج من يعيدها إلى مسيحيتها الأولى فقط.⁽¹⁾

عمل الكاردينال "لافيجري" « Lavigeri » على تعليم اللغة العربية واللغات المحلية مثل البربرية والسواحيلية وقد أحاط هذه اللغات بعناية تامة لأنه كان يريد أن يحقق أهدافا نوجزها كالاتي:

- العيش وسط العرب والتمكن من التعامل معهم.

- إحداث التأثير في المحيط البشري.

- تقريبهم من الإنجيل ومن فرنسا.

- التأثير بشكل سلمي على السكان.

وقد أعطى "لافيجري" « Lavigeri » كامل الحريات للقائمين على البرامج والمقررات الخاصة بمدارس التعليم التبشيري، بالرغم من المواد الصريحة التي نص عليه مرسوم 18 أكتوبر 1883 والتي تؤكد على الحياد الديني في المدارس.⁽²⁾

وكانت الإدارة الاستعمارية قد سطرت مجموعة أهداف لهذا النوع من التعليم وهي:
* إحداث تغيير جذري في البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري، بخلق جيل جديد مفعم بالثقافة الفرنسية.

* قتل روح المقاومة لدى الأجيال الثائرة، بخلق جيل يلعب دور الوسيط بين الطرفين.

* العمل على إدماج المجتمع الجزائري بإبعاده عن هويته الأصلية.

* إحياء أجداد الماضي، والكنيسة الإفريقية أيام الاستعمار الروماني لشمال إفريقيا.

¹ - بقطاش خديجة: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر. (1871/1830)، مطبعة سعد دحلب، دت، ص 137.

² - Mourlan. op-cit.P :173

*زرع النعرات الطائفية، بتكثيف الحملات التغريبية على بلاد القبائل، لتفريق أبناء الأمة الواحدة وفي هذا الشأن تصريح للكاردينال "لافيجري" « Lavigeri » الذي كان واثقاً من تنصيره لمنطقة القبائل، حيث يقول: "أصل هؤلاء السكان مسيحي ولا يرون أفضل من الرجوع إلى ديانتهم القديمة وان الدم الذي يسري في عروقهم هو نفس دم الفرنسيين لان أصلهم روماني مسيحي." (1)

وقد كان التركيز الفرنسي على منطقة القبائل مبكراً، أي منذ دخول الفرنسيين إلى الجزائر، إذ يقول احد القادة العسكريين سنة 1837: "إن كانت بلاد القبائل مغلقة في وجوهنا، فان روح القبائل مفتوحة لنا" (2)

وقد بلغ التعليم التبشيري أوجه في الفترة الممتدة بين (1860 إلى 1870) وكانت منطقة القبائل أرضاً خصبة في اعتقاد اليسوعي "كروزا" المؤسس الفعلي لهذا التعليم في المنطقة الذي باشر عمله عام 1863 حيث أسس (21) مدرسة حتى سنة 1878 وساعده في ذلك جمعية "الآباء البيض" (*)

الذين استطاعوا أن يعلموا عددا من التلاميذ لا يستهان به (1039) تلميذ. (3)

وما يميز هذه المدارس أنها كانت جد خاصة حيث يمنع احتكاك الأطفال بأسرهم مستغلا في ذلك المجاعة التي حدثت عام 1867 ولم يكتف بمنطقة القبائل بل تعداها إلى الحراش وبن عكنون ووصل حتى ورقلة، متحديا بذلك الحاكم العام "ماكهمون" الذي شدد الخناق على هذا النوع من التعليم تخوفا من رد فعل "الأهالي" لكن بمغادرة "ماكهمون" وجميء الحاكم العام الجديد "دوقيدون" الذي كان متحمسا لها التعليم وأراد أن تصبح المستعمرة مسيحية، تعزز نشاط الكاردينال "لافيجري" من جديد وأصبح عنصرا هاما في الجزائر وفي هذا الصدد رسالة من الحاكم "دوقيدون"

1- يقطاش خديجة: المرجع السابق، ص 154.

2- رضوان الشريف: مجلة الدراسات التاريخية، العدد 10، ص 207.

*- الآباء البيض: جمعية دينية أنشأها الكاردينال لافيجري في عام 1868 وترمز هذه التسمية لأنهم يلبسون أردية بيضاء بهدف التناغم مع البيئة الاجتماعية وهم صور فوتوغرافية مبكرة نشرها في كتبهم، يظهرون فيها بالأردية البيضاء. (ينظر سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، ص 321.

3- الطاهر زرهوني: التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستعمار، مجلة الثقافة، عدد 95، سبتمبر أكتوبر 1986، ص 96.

إلى الكاردينال "لافيجري" « *Lavigerie* » يقول له: "لقد جاءت اللحظة الحيرة التي ينبغي أن نظم فيها هذا الشعب المهزوم شيئاً فشيئاً إلى الحضارة المسيحية." (1)

مع نهاية القرن التاسع عشر حوالي سنة 1880 بدأ دور العائلات المنتفذة التي كانت تلعب دور الوسيط بين الإدارة الاستعمارية والأهالي ينهار شيئاً فشيئاً، الشيء الذي كان لزاماً على فرنسا التفكير فيه بجدية من أجل استمرار الاحتلال، لذا استبدلت هذه العائلات بنخبة جديدة تكونت على الطريقة الفرنسية. (2)

بأنحياز النظام التعليمي التقليدي السابق، تقلص حجم المتخرجين الذين كانوا يشغلون مناصب رجال الدين والقضاة والموظفين المدنيين والعسكريين وبالتالي أصبحت الضرورة ملحة لأجل هؤلاء الموظفين لأنها مناصب لا يشغلها غير "الأهالي" الشيء الذي جعل الإدارة الاستعمارية تفكر في إيجاد بديل آخر لهذه المعضلة، فوجب عليها الاهتمام بهذه النخبة لتؤدي دور الوسيط بين الطرفين باعتبارها تتحكم في اللغتين وكذا حكر التعليم والتعلم على فئة مخصصة من الأهالي فقط حتى يبقى باقي الشعب الآخر في ركوده وتستطيع فرنسا التحكم في هذه النخبة القليلة وتجعل منها فئة وافية للاحتلال وبالتالي التحكم في شؤون المستعمرة كيف ما تشاء. (3)

تأثر المجتمع الجزائري كثيراً بالمدرسة الفرنسية بالرغم من محدوديتها، كونها أنتجت نخبة تسيّر وفق ما حدد لها، متميزة عن باقي الفئات الأخرى، كونها ليست جزائرية الثقافة وفرنسية الجنس، فكانت بذلك محل احتقار من عموم الشعب كونهم ارتدوا عن الدين بقبولهم التحنس لان العلماء والمفتيين

1 - الطاهر واعلي: التعليم التبشيري في الجزائر (1830-1940) منشورات دحلب سعد، 1997، ص 107.

2 - ابو القاسم سعدالله: الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 70.

3 - احمد طالب الإبراهيمي: المصدر السابق، ص 16.

كانوا قد أفتوا بجرمة التجنس، فكانوا خارجين عن القانون بالنسبة لكلا المجموعتين سواء الفرنسية أو الجزائرية.⁽¹⁾

المبحث الثالث: الحركة الوطنية وجماعة النخبة.

اختلف كُتّاب ومؤرخي الجزائر في تقسيم جماعة النخبة حسب تكوينهم الذي خضعوا له، حيث يصنفهم يحي بوعزيز إلى ثلاثة أصناف وهم:

1- كتلة المثقفين ثقافة عربية إسلامية محضة: وهم المحافظون، ناضلوا من اجل إصلاح الوضع الثقافي والديني الذي عانت منه الجزائر نتيجة السياسات الاستعمارية المتعاقبة، فتوجهوا إلى التعليم المسجدي، والتأليف، نذكر منهم:

* عبد القادر المجاوي (1848/1913) كان أستاذا بالمدرسة الكتانية ثم الثغالبية.⁽²⁾

من ابرز تلامذته الشيخ حمدان لونيبي وهو أستاذ بن باديس، من مؤلفاته: إرشاد المتعلمين، نصيحة المريرين.⁽³⁾

* المولود بن الموهوب (1866/1939) اديب وشاعر، عمل في الوسط الاجتماعي لإصلاح، تولى الإفتاء بالجامع الكبير في قسنطينة.⁽⁴⁾ من مؤلفاته:

- نظم مقدمة ابن أجزوم. (الأجزومية)

- مختصر الكافي في التوحيد.

¹ - ابو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 194.

² - محمد بن شوش: التعليم في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي (1830/1870) رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر 2007-2008، ص 110.

³ - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، ط 1، شركة دار الأمة، الجزائر، 2010، ص 27-28.

⁴ - عبد القادر مولاي: أقطاب الإصلاح في منطقة القبائل (1912/1956) أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2006-2007، ص 132.

-آداب الطريق في التصوف.

-اللمع في نظم البدع.⁽¹⁾

2-كتلة المثقفين ثقافة مزدوجة(عربية-فرنسية)وهم الذين مازحوا بين الثقافتين وعملوا كموظفين حكوميين لدى الادارة الاستعمارية نذكر منهم:

*محمد بن رجال الندرومي(1856-1926)من عائلة عريقة بندرومة،درس في المدرستين العربية والفرنسية ثم الكوليج الثانوية التي تخرج منها سنة1878.⁽²⁾

من عائلة متنفذة والده كان آغا،تقلد وسام الشرف برتبة فارس سنة1865 رجل علم ودين جمع بين الثقافتين واللغتين،قبل التوظيف لدى الإدارة الاستعمارية،لكنه لم يتخل عن أصوله وظل مدافعا عن العربية والإسلام،كما انه صاحب زاوية وشارك في مؤتمر المستشرقين عن الإسلام وأبلى بلاء حسنا في الدفاع عن عقيدته،الذي عقد عام1897 وبعدها نشر مقالة عن مستقبل الإسلام بالفرنسية.⁽³⁾

*محمد بن أبي شنب(1866/1929)من مواليد المدينة،درس بها ثم انتقل إلى مدينة الجزائر،تحول إلى التعليم سنة1888 كاتب وباحث اشتهر بالتحقيق⁽⁴⁾

تأثر بالمستشرقين،فشاركهم الكثير من المؤتمرات منه مؤتمر الرباط سنة1927.عمل أستاذا للغة العربية في كلية الجزائر ومنح لقب الدكتور سنة1920وانتخب في نفس السنة عضواً في الجمع العربي بدمشق.⁽⁵⁾

1- محمد الصالح الصديق:أعلام المغرب العربي، ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط2، الجزائر، 2009، ص43.

2- محمد بن شوش:المرجع السابق، ص116.

3- ابو القاسم سعدالله:تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص225،224.

4- صالح خريفي:محمد السعيد الزاهري:المؤسسة الوطنية للكتاب، دط،الجزائر1986، ص136.

5- عادل نويهض:المرجع السابق، ص189.

كان يتقن عدة لغات وله موقف سياسي يحسب له وهو انه تمنى أن لا يحضر احتفالات مئوية الاستعمار حيث قال: "آمل أن لا اشهد هذا المشهد المحزن ولا أحضر هذا اليوم". فتوفي يوم 05 افريل 1929 ولم يشهد هذا اليوم المحزن كما كان يأمل.⁽¹⁾ من مؤلفاته:

- تحفة الآداب في ميزان الأسعار للعرب سنة 1906-1928.

- الألفاظ التركية والفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية 1922.⁽²⁾

***فرحات عباس (1899/1985)** من مواليد "الطاهير" بولاية "جيجل" من اسرة فلاحية متواضعة، والده كان موظفا لدى الإدارة الفرنسية برتبة "قايد" دخل المدرسة القرآنية ثم التحق بالثانوية في قسنطينة، نال البكالوريا سنة 1921، ثم التحق بجامعة الجزائر في شعبة الصيدلة، دخل السياسة وتأثر بالأمير خالد، من دعاة الإدماج، التحق بالثورة وأصبح رئيسا للحكومة المؤقتة.⁽³⁾

3- كتلة المثقفين ثقافة فرنسية بحتة: وهي فئة انسلخت تماما عن الجزائريين واعتبرت نفسها فرنسية منهم:

***الشريف بن حبيلس:** من الأعضاء البارزين في حركة الشبان الجزائريين، عضو بارز في نادي "صالح باي" بقسنطينة، كما كان رئيسا لرابطة المواطنين الفرنسيين من أصل أهلي، مثل فئة المتدنيين الذين تكونوا في المدرسة الفرنسية واندمجوا في ثقافتها، له كتاب مشهور نشر عام 1914 وهو شهادة تاريخية تعبر عن أفكار المجنسين وعنوانه هو⁽⁴⁾:

L'Algérie Française vue un indigène كما يراها احد الأهالي

¹ - عبد الحميد بورايو: في الثقافة الشعبية الجزائرية، التاريخ، القضايا و التحليلات (مقالات و حوارات) دط، الجزائر، دس، ص 194.

² - عادل نويهيض: المرجع السابق، ص 189-190.

³ - حميد عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية، دط، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص 21-27.

⁴ - المرجع نفسه، ص 272.

*حميدة ابن التهامي:(1940/1881)طبيب وصحفي، من مواليد مستغانم.⁽¹⁾

تخرج طبيبا سنة 1903 تزعم النخبة وكان متفرنسا حتى النخاع، من دعاة الإدماج، انشأ جريدة التقدم(1931/1923)⁽²⁾

التحق بالثورة فيما بعد وتحديددا في 18ماي 1955 ومثلها أمام الهيآت والمنظمات الدولية غير السياسية، كما ظل يشرح أهداف الثورة للرأي العام الفرنسي.⁽³⁾

ولتبيان دور هذه النخب في الحركة الوطنية نبدأ من حركة الشبان الجزائريين التي تأخرت في الظهور مقارنة ببعض البلدان المجاورة لعدة أسباب نذكر منها:

-مختلف العوائق والعراقيل التي فرضتها الإدارة الفرنسية اتجاه الجزائريين وخاصة قضية التعليم التي تكلمنا عنها سابقا. إضافة إلى الحصار الكبير المفروض من طرف الإدارة الاستعمارية حال دون بناء هياكل كبيرة بحجم المعاهد والجامعات مقارنة بالأزهر مثلا والزيتونة والقرويين. وقد تأسست هذه الحركة من قبل شخصيات ظهرت بداية القرن العشرين أبرزهم "الأمير خالد" مثلت مرحلة أولى من بدايات الحركة الوطنية قاومت الوجود الفرنسي بطرقها الخاصة قي شكل نواد وجمعيات فأحزاب سياسية اختلفت مطالبها وأهدافها.⁽⁴⁾

ثم أصبحت هذه الحركة المشكلة من بعض المثقفين تشكل حزبا سياسيا يحمل أصحابه مطالب اجتماعية بخصوص قضايا متنوعة تخص الاندماج في الأمة الفرنسية، لكن سرعان ما تطورت مطالبهم فيما بعد لتصبح سياسية.⁽⁵⁾ حيث كانت البداية الأولى لهؤلاء الشبان سنة 1911 حينما

¹- إبراهيم مياسي: إرهابات الحركة الوطنية الجزائرية(1914/1900)مجلة المصادر، ع6، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، مارس 2002، ص139.

²- عادل نويهض: المرجع السابق، ص85.

³- رابح لونيسي وآخرون: تاريخ الجزائر المعاصر، ج2، د.ط، دار المعرفة، الجزائر، 2003، ص145.

⁴- الجمعي خمري: المرجع السابق، ص119.118

⁵- حميد عبد القادر: المرجع السابق، ص99.

وجهوا لائحة مطلية تمحورت أهم نقاطها في إطار الإسلام وانتخاب رؤساء البلديات ودمج الضرائب والمساواة وبهذا تكون أول سياسة نخبوية مناهضة للإدارة الاستعمارية.⁽¹⁾

وما ميز هؤلاء الشبان أنهم كانوا يمتازون بالليوننة والاعتدال، لذلك ظلت بعض الصحف الاستعمارية تنعتهم بالموالين للإيديولوجية الإسلامية وخلافاً لذلك فيهم من كان يرى أن فرنسا جلبت بذور الحضارة للجزائريين وقد كان بعض منهم وليس الكل من المدافعين على تعليم "الأهالي" منهم "بن رحال" الذي اشرنا إليه سابقاً.⁽²⁾

وفي خضم هذه الأحداث ظهرت نخبة إصلاحية تزعمها "الأمير خالد" كانت غايتها الإصلاح الديني في الجزائر في العام 1925 دافعت بشراسة عن مقومات الشعب الجزائري بل وتصدت للاعتداء غير المبرر على ثوابت هذا الشعب وطالبت بترسيم العربية لغة رسمية في الجزائر.⁽³⁾

وفي هذه الأثناء بدأت بوادر وطلائع ظهور النجم في فرنسا داخل أوساط المهاجرين من اجل تحسين المستوى المعيشي والاجتماعي وقد كان الأمير خالد من أوائل الداعين لتأسيسه.⁽⁴⁾

لكن وبالرغم من تمسك بعض هؤلاء الشبان بالدين الإسلامي خاصة شخصية "برحال" السالف الذكر إلا أنهم لم يتخلصوا من عقدة الاستعمار ومن مواقف الشعب اتجاههم في هذا الشأن وفي احد خطابه اتهم "برحال" الإدارة الفرنسية بالإهمال الكلي لتعليم اللغة العربية.⁽⁵⁾ كما طرح حركة الشبان الجزائريين مسألة التمثيل النيابي في أكثر من مرة وكانت المسألة الأكثر وجوداً

¹ - محفوظ قداش: المرجع السابق، ص 99.

² - حميد عبد القادر: المرجع السابق ص 35.36.

³ - محمد العربي زبيدي: المرجع السابق، ص 56.

⁴ - رابح لونيسي وآخرون: تاريخ الجزائر المعاصر، ج 2، د. ط. دار المعرفة، الجزائر، 2003، ص 145.

⁵ - محفوظ قداش: المرجع السابق، ص 107-108.

في نضال هذه الجماعة مع المساواة أمام الخدمة العسكرية، لذلك ظلوا يفكرون داخل الإطار الفرنسي لتحقيق طموحاتهم.⁽¹⁾

هذا عن النخبة الجديدة أما عن النخبة التقليدية أو المحافظة فقد ناضلت في القرن التاسع عشر بحدود إمكاناتها وهم من العلماء وزعماء الدين الذين عارضوا التجنيس والخدمة العسكري تحت المظلة الفرنسية، كما عارضوا الفرنسية بحكم تكوينهم في المدارس القرآنية والمدارس العربية والمدارس الإسلامية الحكومية وهم الذين يصفهم سعد الله بأنهم "كانوا وطنيين وفي الوقت نفسه ضد الوطنية"⁽²⁾

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى تطورت مطالب النخبة وذلك بخلقهم سياسة جديدة تمثلت في إبراز فرنسا الديمقراطية من خلال صحفهم وجرائدهم التي أسسوها بعد 1920 خاصة وأنهم كانوا يؤمنون بشعارات هذه الديمقراطية ومنها استطاعوا أن يرسموا سياسة إصلاحية لامتناهية لامتصاص غضب الشعب الجزائري، كونهم ليسوا من دعاة العنف والمقاومة وإنما كانوا ينادون بالعدل والمساواة والتسامح وهي نقطة الضعف في هذه الفئة من النخبة.⁽³⁾

اختلفت مواقف هذه النخب حسب تكوينها الفكري. حيث ارتمت فئة منهم في أحضان الفرنسية واصبحت ترى نفسها متميزة عن باقي الجزائريين، وهناك فئة أخرى نعتت بالإصلاحية مثل "الأمير خالد" الذي كانت حركته تدافع عن قضايا المجتمع الجزائري الحساسة منها التعليم. وفيها من كانت له جرائد ومجلات حملت عديد القضايا خاصة بين الحريين.

لكن وبالرغم من ميول الفئة الثانية إلى الإصلاح والدفاع عن حقوق الجزائريين إلا أنها ظلت تعاني من عقدة الإستعمار وهو العامل الذي جعل الجزائريين ينظرون إليهم دائما نظرة الإحتقار وكانوا ينعوتوهم بالمتفرنسين.

¹ - محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، تر، محمد بن البار، دار الأمة، الجزائر 2008، ص 1839

² - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 171.

³ - المرجع نفسه، ص 189.

المبحث الرابع: موقف الإدارة الفرنسية والأهالي من النخبة.

أ- **موقف الإدارة الفرنسية:** قبل الحديث عن موقف الإدارة الفرنسية، هناك مواقف متعددة للأوروبيين بصفة عامة وهي أنهم حاربوا الفئتين من النخبة، حيث حاصروا النخبة التقليدية التي لم تتكون في مدارسهم، ثم مارسوا الأسلوب نفسه والطريقة ذاتها مع النخبة الجديدة بالرغم من تكوينهم الخاص لهذه الفئة التي كانت تحمل أفكار راقية نادت بالمساواة والعدالة والمواطنة الفرنسية في إطار الدولة الاستعمارية.⁽¹⁾

عانت جماعة النخبة من الطرفين، إذ فشلت في إقناع ذوي جلدتهم من "الأهالي" في القضايا والأفكار التي كانوا يحملونها ومن جهة أخرى كانوا محل استهزاء من الأوروبيين، خاصة وان النخبة كانت أهدافها الكبرى تندرج في إطار تحرير "الأهالي" من الجمود والامية والتخلف وترقيتهم عن طريق التعليم لأجل دمجهم في أوساط المجتمعات الأوربية وخاصة الفرنسية بصفة خاصة وصولا إلى تمتعهم بالمواطنة فيما بعد الفرنسية، فاتهموا بالقومية الإسلامية وبكونهم "فتيان أتراك"⁽²⁾ وبهذا تطور الصراع الأوربي ضد جماعة النخبة لأنهم اعتبروهم خطراً يهدد مصالحهم فيما بعد وربطوهم بالحركات الإسلامية التي ظهرت في الأقطار العربية والإسلامية مثل جماعة "تركية الفتاة"^(*) و"مصر الفتاة"^{**} التي كانت تحمل طموحات سياسية، وبهذا نشب صراع كبير بين الطرفين لعبت فيه

¹ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 267.

² - ابو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 195.

* - **جمعية "تركية الفتاة"** هو اتحاد لمجموعات عديدة مؤيدة لإصلاح الإدارة في الدولة العثمانية، أدت الحركة إلى الحقبة الدستورية الثانية بواسطة تركيا الفتاة في عام 1889، حيث بدأت هذه الحركة في العمل في صفوف الطلاب العسكريين وامتدت بعدها لتشمل قطاعات أخرى، وكانت بدايتها الأولى كمناعة للسلطة المطلقة للسلطان "عبد الحميد الثاني" أثناء تأسيس "جمعية الاتحاد والترقي" في 1906 وقد ضمت في صفوفها معظم أعضاء تركيا الفتاة والتي ستشارك في صنع واقع سياسي وثقافي جديد حتى سقوط الدولة العثمانية وتأسيس جمهورية تركيا الفتاة... (للاطلاع أكثر ينظر: محمد روجي خالدي، اسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة، مطبعة المنار، مصر، 2018)

** - **مصر الفتاة:** حركة سياسية قومية مصرية، ظهرت في 12 أكتوبر 1933 بقيادة "احمد حسين" تأثرت بالحركات القومية الأخرى هدفت إلى محاربة الاستعمار والإقطاع والرأسمالية المستقلة ونظام الحكم الفاسد، يعتبر "جمال عبد الناصر" احد شباب مصر الفتاة، إضافة إلى حسن إبراهيم وانور السادات وحسين الشافعي، وهم الذين سمو "الضباط الأحرار" فيما بعد زعماء ثورة جويلية 1952 بمصر التي أطاحت بمملكة "الملك فاروق".... (للمزيد أكثر ينظر: علي شليبي، مصر الفتاة ودورها في المجتمع المصري (1933/1941)... القاهرة 1982).

الصحافة المكتوبة أدوارا مهمة حيث نعتتهم "البرقية الجزائرية" و "برقية قسنطينة" بالمتآمرين الإسلاميين وان مطالبهم شبيهة بمطالب الشباب والوطنيين في المشرق العربي، لذلك تفننت الصحافة الاستعمارية في منحهم ألقابا متعددة مثل "الشباب الجزائري" و "الفتيان الجزائريين" وشبهتهم بجماعة "تركيا الفتاة".⁽¹⁾

لذا طالب هؤلاء الأوربيين من الإدارة الفرنسية عدم منح "الأهالي" تعليما راقيا والاكتفاء بتعليم بسيط لا يتعد المرحلة الابتدائية خاصة وان فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى اشتد فيها الحماس الجزائري للالتحاق بالثانويات وبالتالي الصعود إلى الجامعات وهو الذي اقلق هؤلاء الأوربيون الذين ضغطوا على الحاكم العام في تلك الفترة "لوتو" « **Lotto** » الذي بدوره أعاد سياسة فرنسا التعليمية الأولى وهي حصر التعليم الثانوي على أبناء العائلات المتنفذة فقط، بل أصروا على مواقفهم اتجاه "الأهالي" وطالبوا بإعطاء تعليم بسيط للأهالي لتخريجهم حرفيين يخدمون الكولون وحسب.⁽²⁾ أما عن الإدارة الفرنسية فقد كانت تسيورها مجموعة من العوامل والظروف حسب نظام الحكم السائد إذ عملت هي الأخرى على حرمان الشعب الجزائري من كامل حقوقه بالرغم من أدائه لكل الواجبات والتكاليف المفروضة عنه، لذلك حدد تشريع "1919" الشروط الواجب توفرها في الجزائري حتى تمنح له المواطنة الفرنسية وهي كالآتي:

* بلوغ سن الخمسة والعشرين.

* أن يكون الطالب غير متزوج أكثر من واحدة أو أعزب.

* الخدمة في الجيش الفرنسي. ومعرفة القراءة والكتابة بالفرنسية.

* أن يكون مالك لعقار أو مزرعة وكذا من دافعي ضرائب الدخل.

¹ - حلوش: المرجع السابق، ص 226.

² - Ageron : **les Algériens Musulmans...** op.cit.p : 961

*أن يكون موظف أو عضو في مجلس من المجالس المحلية بالجزائر.⁽¹⁾

وبالرغم من هذه الشروط القاسية إلا أن هؤلاء النخبة ظلوا يخضعون لقيادة الإدارة الفرنسية مثل، الصالح بن جلول والصيدلي فرحات عباس خاصة وان نزوحهم إلى الثقافة الفرنسية كان من أهم العوامل المساعدة على المهمة.⁽²⁾

لذلك كان الشبان الجزائريين يتحاشون الكلام في موضوع بعث الأمة الجزائرية لكي لا يتهموا بأنهم ضد السياسة الفرنسية.⁽³⁾

وفي هذا الصدد كانوا أول من التحق بصفوف التجنيد الإجباري الذي حدث سنة 1912 ظنا منهم انه السبيل للاندماج، بالرغم من تركيز الإدارة الاستعمارية على، كما شجعت الموالين لها من "الأهالي" الذين جندتهم لإقناع الشباب بالتجنيد، وفي هذا الشأن يقول احد الضباط الموالين وهو الحاج عبد الله "لا احد يمنع فرنسا أو يعارضها فيتطبيقها للتجنيد الإجباري على أبنائها وإحساس شعور كل إخوتنا في المدارس الجزائرية فرنسيو القلب والروح، سندافع جميعا عن فرنسا."⁽⁴⁾

كانت الإدارة الفرنسية تسعى من خلال هذا الفعل إلى خلق نخبة تحل محلها وتكون وسيطا بينها وبين "الأهالي" وفي هذا الشأن يقول الحاكم "جونار" صاحب السياسة التعسفية في حق "الأهالي" "...يجب خلق نخبة مثقفة قادرة على نشر أفكار فضائلنا وتقدمنا، بورجوازية تحافظ محافظة ترتبط بنا اكثر وتميز الطريق المنيح تحت سيطرتنا..." وهو موقف ظلت الإدارة الفرنسية

1- صلاح العقاد: الجزائر المعاصرة، قسم الدراسات التاريخية والجغرافية، الجزائر، 1969. ص 26.25.

2- مهديد محمد: "مشروع الدولة" الأمة في أبيات الحركة الوطنية الجزائرية 1916-1950 مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران. ص 60-61.

3- الطاهر عمري: المرجع السابق، ص 9.

4- ناصر بلحاج: مواقف الجزائريين من التجنيد الإجباري (1912-1916) مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر 2004-2005 ص 114-115.

والكولون تدافع عليه لتجسيد سياسة تعليمية تتحكم بها في إيديولوجية "الأهالي".⁽¹⁾ وهو موقف ظلت الإدارة الفرنسية والكولون تدافع عليه لتجسيد سياسة تعليمية تتحكم بها في إيديولوجية "الأهالي".⁽²⁾

لذلك سعت إلى تحسين أحوال وظروف "الأهالي" حيث منحت لهم حقوقا في إطار نظام إداري محدد، لأجل التغلغل في أوساطهم من خلال التعليم، فخلقت بذلك فئة ثالثة في المجتمع أردت أن تشبه بالفرنسيين فضيعة هويتها وارتمت في حضارة بعيدة كل البعد عن محيطها واصلها.⁽³⁾

ب- موقف الأهالي من النخبة المفرنسة:

كان "الأهالي" من المجتمع البسيط ينظرون إلى هذه الفئة من النخبة نظرة ازدراء واحتقار، إذ اعتبروا كل مدرس بالمدارس الفرنسية مرتدا عن دينه ومتخليا عن أحواله الشخصية وبهذا عوملوا دون ادني احترام، لذلك أطلقوا على أنفسهم "الخارجين عن القانون" خاصة وأنهم انفصلوا بل وانقطعوا نهائيا عن المجتمع الجزائري الذي أصبح غريبا عنهم، كما أثرت عليهم فتوى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فيما بعد، التي اعتبرتهم خارجين عن الدين الإسلامي.⁽⁴⁾

ولم يبق موقف "الأهالي" عند هذا الحد بل امتنعوا حتى عن تشييع جنازاتهم وعدم التزواج معهم، فشكّلوا بذلك فئة ثالثة في الجزائر، طبقة الفرنسيين وطبقة المجنسين ثم الأهالي.⁽⁵⁾

لم تستطع هذه النخب فرض وجودها على الواقع الموجود، إذ بقيت معزولة تماما لم تأخذ الاحترام من طرف الإدارة الفرنسية، ولم تعطها الأوساط الشعبية البسيطة قيمة واعترافا، فتاهت هذه النخبة. مما أدى بالحاكم العام للرجوع الى التعليم البسيط تحت ضغط "الكولون"

¹ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 257

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - بشير بلاح: المرجع السابق، ص 51.

⁴ - ابراهيم مهديد: المرجع السابق، ص 114-115.

⁵ - احمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، ط2، دار المعارف، الجزائر، 1963، ص 328-329.

المبحث الخامس: اثر المدرسة الفرنسية على جماعة النخبة.

بدأت فكرة الاندماج الحقيقي مع الفرنسيين سنة "1891" على اثر زيارة تحقيق بقيادة "جول فيري" « Jules Ferry » حينما بدأت أصوات تتعالى تطالب بالحقوق ومقتنعة بالتقارب مع الفرنسيين والاندماج في مجتمعهم وهم جماعة النخبة الذين تكلمنا عنهم سالفاً، وهم من كانوا يبحثون عن السبل المؤدية إلى الاندماج الكامل واللامشروط في المجتمع الفرنسي أين يكونون مستقبلاً واحداً في وطن واحد وقد ترجموا أفكارهم هذه في كتاباتهم فيما بعد ومنهم "احمد بن بريهمات والطيب مرسلي ولويس خوجة، احمد بوضربة (الحفيد) وبلقاسم بن التهامي والشريف بن حبيلس وطالب عبد السلام وغيرهم كثير.⁽¹⁾

هي إذن نخبة خريجة مدرسة فرنسية بامتياز صنعت بذلك جيلاً جديداً في تاريخ الجزائر، تركت ما يجب النضال من اجله وهو تحرير البلاد والعباد وارتقت في أحضان الفرنسية فطبقت ما أمرت بتنفيذه، متأثرة بتعاليم المدرسة التي صنعت منهم طبقة متميزة عن باقي المجتمع الجزائري فلا هي جزائرية بهويتها ولا هي فرنسية بأصولها، فخسرت بذلك الطرفين إذ أنها لم تستطع أن تكتسب المواطنة الفرنسية الحقيقية بالرغم من تجنسها وبالموازاة وقعت عرضة للازدراء والإهانة من جموع المجتمع الجزائري خاصة حينما صدرت الفتاوى من العلماء بان كل من يتجنس هو مرتد عن دينه، فأطلقوا على أنفسهم "الخارجون عن القانون" كما ذكرنا سابقاً.⁽²⁾

لكن وبالرغم من تجنس هؤلاء النخب لكون أن التجنيس رفض تماماً من عامة الشعب الجزائري إلا أن الكولون رفضوا الفكرة تماماً لأنهم كانوا يرون في تجنس الأهالي هو السيطرة والهيمنة بحكم التعداد الكبير والذي يمثله "الأهالي" على حساب الكولون. لذلك رفضوا التجنس الجماعي مع انه لم يكن ليحدث إطلاقاً بحكم تشبث "الأهالي" بهويتهم وأحوالهم الشخصية التي لطالما دافعوا

¹ - ابو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص370.

² - ابو القاسم سعدالله: الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص194.

عليها بل وناضلوا من اجلها طيلة القرن التاسع عشر الميلادي الذي كان عسيرا جدا على الجزائريين بهذا ارتأت الإدارة الفرنسية إلى حيلة أخرى وهي تشجيع التجنس الفردي بشروط، التي يكون فيها المهم والأهم هو الولاء التام لفرنسا، لكنه ظل بطيئا ولم تنجح فرنسا مرة أخرى في استمالة "الأهالي"⁽¹⁾

الجدول (34) عدد المتجنسين من 1950 إلى 1938.

السنة	عدد المتجنسين	السنة	عدد المتجنسين
1920	17	1930	152
1922	56	1932	127
1924	29	1934	155
1926	67	1936	142
1928	38	1938	190 ⁽²⁾

إذا نظرنا إلى الإحصائيات التي حملها الجدول نجد أن عدد المتجنسين خلال هذه السنوات قليل جدا مقارنة بتعداد السكان، كما أن هؤلاء المتجنسين كانوا من صنف معين في الغالب وهم الذين خدموا في الجيش الفرنسي، أو كانوا موظفين في الإدارة والمحاكم ومكاتب الترجمة أو الذين تخرجوا من مدارس الآباء البيض. أدرك جماعة النخبة أنهم أصبحوا غرباء عن المجموعتين، فدعوا إلى التقارب بينهما ونادوا بالزواج بين الطائفتين وبالتالي تبني الجزائريين لطرق وأساليب الحياة الفرنسية، لأنهم كانوا يشعرون بعقدة التفوق على نظرائهم من الأهالي وعقدة النقص بالنسبة للفرنسيين. فأصابهم الغرور، لكونهم اعتبروا أنفسهم أقلية متميزة فوق الجميع.⁽³⁾

¹ - ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص374.

² - علي مراد: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي، من 1925 إلى 1940، تر، محمد مجيبان، دار الحكمة، دت، ص: 492.

³ - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص265.

ونتيجة لهذا المفارقات التي وقعت فيها هذه النخبة، أصيبت بالعزلة التامة للتأثيرات الكبيرة الناجمة عن المدرسة الفرنسية وفي هذا الشأن يقول: "جوريس" لقد وضعنا الشباب الجزائري يتخبط بين حضارتين، فمن جهة فقدوا وبسرعة اتصالمهم مع حضارتهم ومن جهة أخرى يجدون صعوبة في التجاوب مع حضارتنا" لأنهم درسوا وتربوا في مدارس بعيدة كل البعد عن محيطهم الذين يعيشون فيه داخل أسرهم وهو الشيء الذي فرق أفكارهم وجعلهم مضطربين بين ما يعيشونه وما يفكرون فيه من مخيل قد لا يعكس تماما مدى صدق أفكارهم وشخصياتهم.⁽¹⁾

أنجحت المدرسة الفرنسية بهذه النخبة مذهبا اندماجيا جديدا استفحل نشاطه سنة التحضير للمئوية أي سنة 1929، حينما أذهلتهم الاحتفالات الرائعة المخلدة للمئوية، فاعتقدوا أن الوحدة الفرنسية الجزائرية حاصلة لا محالة.⁽²⁾

وبالعودة إلى موضوع الزواج المختلط الذي كان إحدى القضايا التي علقت بالنخبة نتيجة لتأثير المدرسة الفرنسية، يذكر احد المسؤولين في الجمعية في باريس بعد الحرب العالمية الثانية في تقرير قدمه عام 1951 قائلا: "يوجد اليوم عدد يتراوح بين الخمسة والعشرون ألف طفل في سن الدراسة، ولدوا من أب مسلم وأم مسيحية في الغالب لا يتلقون تعليما قوميا فيتشبثون على أخلاق آبائهم إذا ما كبروا وتنكروا لجنسهم واندمجوا في عنصر الأكثرية."⁽³⁾

أثر هذا الزواج بصفة كبيرة على انحراف فئة من الشباب بالتخلي عن شخصيتهم، لأنهم لم يتكونوا تكوينا صحيحا نابعا من هويتهم وهذا ما أدى إلى ارتفاع العدد على حد قول كاتب التقرير. فتعمقت الفوارق الاجتماعية بين طبقات المجتمع.⁽⁴⁾

¹- ابو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 80.

²- علي مراد: المصدر السابق، ص: 496.

³- تركي رابح: التعليم القومي... المرجع السابق، ص 210.

⁴- Bousquet G H : Les Mariages Mixtes a Létal Civil D'Alger (1950-1960)
r.a.v.3.Jordan.1858.Libraire. Alger :p190-193.

كما أثرت المدرسة الفرنسية على جانب آخر أصبح مكوناً مهماً في حياة هؤلاء النخبة وهو اللسان الذي تعمدوا التكلم به، حيث هجروا العربية وأصبحوا يتكلمون الفرنسية، لاعتقادهم أن العربية لغة شعر وأدب وتخلف، أما الفرنسية فهي لغة الحداثة والعلوم والحضارة وبالتالي التطور، لذلك كان يصعب عليهم ان يتزوجوا بنات جلدتهم للاختلاف الثقافي الكبير بين الطرفين كما فصلنا فيه سابقاً لأن هن غير متعلمات.⁽¹⁾

إن المهمة الحقيقية للمدرسة الفرنسية هي خلق طبقة وسطى تكون شريكا قويا بين المجموعتين، لذلك عملت على تكوينهم تكويناً قويا قد تستعملهم فيما بعد لإجهاض أي مقاومة قد تحدث هنا وهناك، فركزت جهودها الوافرة لأجل جعل هؤلاء الجماهير مطيعين ومتحمسين لحضارتها.⁽²⁾

إذن كان الفضل الكبير لنشوء هذه النخبة المفرنسة إلى المدرسة الاستعمارية بجدارة واستحقاق وفي هذا الشأن يقول ابن حبيلس: "...نعتقد أن هناك فائدة أكيدة في إصدار حكم عام حول الانجاز الفرنسي والإدارة التي اضطلعت بالمهمة العسيرة التي هي تكوين وتعليم إخوتنا وكذلك حول وضعهم المادي والفكري وهم بالذات كما هو الحال في السنة المباركة 1913."⁽³⁾ وبالرغم من التزايد البطيء لجموع هذه النخب إلا أنها تزايدت شيئاً فشيئاً، إذ تشير الإحصائيات عام 1890 إلى وجود 100 ألف تلميذ من مجموع أطفال الجزائر الذين وصلوا سن التمدرس ليصل سنة 1930 إلى 68 ألف تلميذ، أما في الثانوي فנסجل بين سنوات 1859 إلى 1893 وجود 125 تلميذ ليصل إلى 170 تلميذ سنة 1930. في حين بلغ عددهم في جامعة

¹ - ابو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص: 80.

² - Turin. Y : ibid. :73.

³ - الشريف ابن حبيلس: المصدر السابق، ص: 18.

الجزائر(6) ستة طلبة فقط، ليصل في حدود سنة 1922 الى (62) طالبا ولم يمثل هذا العدد إلا نسبة قليلة من مجموع عدد طلبة جامعة الجزائر آنذاك.⁽¹⁾

وهم أبناء الموظفين الجزائريين الذين فضلتهم فرنسا الاستعمارية عن غيرهم وميزتهم بامتيازات مادية وتعليمية، تقديرا لأفضال آبائهم عن الإدارة الاستعمارية، لذلك شاع التحنس في أوساط هؤلاء الشباب بكثرة كما ذكرنا سلفا، حيث يصفهم احد الكتاب بقوله: "إن هذه الفئة التي انقطعت عن ماضيها مدة جيلين تقريبا واندمجت في الوسط الفرنسي وابتعدت عن المجتمع الجزائري، الذي كان يسوده الجهل والتخلف، هي التي كانت لا ترى التعليم إلا باللغة الفرنسية."⁽²⁾

ظلت المدرسة الفرنسية تتجاهل مقومات الشعب الجزائري لكونها تدرك أن تعليم القرآن الكريم واللغة العربية يهددان وجودها في الجزائر وبقي الهدف واحد وهو إقامة مدارس تخدم مصالحها فقط دون مراعاة أوضاع "الأهالي" من جهل وأمية وما زاد الوضع سوءا هو المجلات التي شهدتها الجزائر منذ 1830 حتى 1910 التي أدت إلى فقدان عدد كبير من الإطارات فأصبحت الساحة شبه فارغة تماما ولم يبق سوى رواد الأنوار الأوربية.⁽³⁾

وكان يقول: "إنني متيقن كما أشرت لذلك سابقا بان سياسة المساواة في الحقوق، وتقدم الجماهير الشعبية في الميدان الاجتماعي."⁽⁴⁾

من خلال هذه الأمثلة نميز التحول الاجتماعي لهذه الفئات مع مطلع القرن العشرين، حيث نتج عن الاحتكاك النخبوي الفرنسي تغيير رهيب في فكر هؤلاء الشبان حيث التقليد الأعمى في

1- احمد مريوش: الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الجزائر، 2006، ص 17.

2- عبد القادر عبد الله المجاوي التلمساني: إرشاد المتعلمين، تح، عادل بن الحاج همال الجزائري، ط1، دار ابن حزم، لبنان، 2008، ص 79.

3- عبد القادر حلوش: الدور الاستعماري للمدرسة الفرنسية في الجزائر، مجلة الدراسات التاريخية للمقاومة والثورة الجزائرية، ع5، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1998، ص 80.

4- فرحات عباس: ليل الاستعمار، تر، أبو بكر رحال، د.ط، منشورات.....الجزائر 2005، ص 139

كل شيء منها الزواج بالفرنسيات والاندماج في الوسط الفرنسي، متخلين بذلك عن أعرافهم وتقاليدهم.¹

تركت المدرسة الفرنسية في نفوس هؤلاء النخب آثارا سلبية أدت إلى تغيرات كبيرة في توجهاتهم وأفكارهم. إذ ظلوا يعتقدون أنفسهم انهم متميزين عن باقي فئات المجتمع الجزائري، كما أكدوا على تباعيتهم المطلقة واللامشروطة لصالح المستعمر الفرنسي، إضافة إلى قبولهم الجنسية الفرنسية المعروضة عنهم خاصة بعد سنة 1920 بالرغم من فتاوى العلماء الداعية إلى تكفير كل من يتجنس إلا انهم ظلوا يدافعون على خياراتهم بكل السبل. وفي هذا تضييعهم لمبادئ وتعاليم دينهم وأعرافهم غير آبهين بها حتى توصلوا لأن تزوجوا بفرنسيات واعتبروا انفسهم فرنسيين.

¹ - الجمعي مخري: المرجع السابق، ص 72.

خاتمة الفصل:

تعتبر هذه الفترة ذات قيمة تاريخية في تاريخ الجزائر، خاصة وأنها شاهدة على ميلاد فئة جديدة كانت نتاجاً لمدرسة فرنسية كولونيالية. عملت على مدار قرن من الزمن للوصول الى هذه الغايات والأهداف. التي نوجزها في الآتي:

- ميلاد فئة جديدة خريجة مدارس التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر سميت "النخبة" وهي نوعان: نخبة مفرنسة ومثقفة ثقافة فرنسية بحتة، وأخرى مزيج بين المفرنسة والمعربة.

- درست هذه النخبة في مدارس التعليم الأهلي الفرنسي فحملت تعليماً فرنسياً بعيداً عن كل القيم العربية والإسلامية عدا النخبة الإصلاحية التي درست في المدارس الشرعية الثلاثة والتي مازجت بين العربية والفرنسية.

- إنخرطت هذه النخب وتأطرت في نوادي وإتحادات ثم أحزاب، كانت تنادي بالمساواة والاندماج في صفوف الفرنسيين، واتخذت من الصحافة الوطنية أداة لإيصال صوتها للإدارة الفرنسية من خلال عديد القضايا التي تكفلت بالدفاع عنها لأجل حقوق الجزائريين منها: التعليم. التجنيد الإجباري وغيرها.

- اعتبرت الإدارة الفرنسية هذه النخب خطأً ارتكبته اثناء فرضها لالزامية التعليم لذلك تراجعت عن سياستها التعليمية الجديدة وحاولت الرجوع الى التركيز على أبناء العائلات المنتفذة فقط مع إعطاء أبناء الجزائريين الآخرين تعليماً بسيطاً فقط. بالرغم من ان هذه النخب كانت تعمل لصالح الاندماج الذي يخدم المصالح الفرنسية. أما الجزائريين فكانوا يرون في هذه النخب أنها باعت دينها وانصهرت في حضارة فرنسا وثقافتها.

- تأثرت هذه النخب بالتعليم الفرنسي، فحملت مبادئ الفرنسيين. وذابت في ثقافتهم وحضارتهم.

الفصل السادس:

التعليم الأهلي الفرنسي في

الجزائر ولجنة الإصلاحات

1962/1944

الفصل السادس: التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر ولجنة الإصلاحات 1944/1962

المبحث الأول: التعليم الابتدائي.

المبحث الثاني: التعليم الثانوي

المبحث الثالث: التعليم العالي.

المبحث الرابع: التعليم الفني والمهني.

المبحث الخامس: المدارس والمعهد العالي للعلوم الإسلامية

الفصل السادس: التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر ولجنة الإصلاحات 1962/1944

شهدت الفترة الممتدة بين الحربين أحداثا ووقائع تاريخية متسارعة، إذ بدأت النخب الناشئة في تأسيس النوادي والصحف فعمت بذلك حركة فكرية جديدة كل أقاليم الجزائر، كما كان لظهور الحركة الإصلاحية أثر كبير جدا في انتشار التعليم العربي الحر ممثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست في الخامس من ماي 1931 برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس وعديد العلماء الجزائريين الذين كانوا قد تتلمذوا خارج الجزائر. وحملوا رسالة نشر التعليم العربي الحر.

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية، خرج الجزائريون للمطالبة بإصلاحات أكثر. فكانت مجازر الثامن ماي الوحشية في حق جماهير مسالمة. وفي هذه الأثناء كانت حكومة الجنرال "شارل ديغول" تقاوم النازية من خارج فرنسا.

حل الجنرال "شارل ديغول" (*) « Charles de Gaulle » في 30 ماي 1944 بمدينة الجزائر باعتباره قائدا وزعيما للمقاومة الفرنسية ضد الاحتلال النازي لبلاده وعلى اثر زيارته اشرف

* - شارل ديغول: « Charles de Gaulle » (1890/1970) زعيم سياسي وقائد عسكري فرنسي. قاد مقاومة بلاده للاحتلال الألماني في أربعينيات القرن العشرين. تولى رئاسة الحكومة ورئاسة الدولة فأسس الجمهورية الخامسة، وأنهى الاستعمار الفرنسي لبلدان كثيرة، 1890. خريج مدرسة سان سير لعسكرية، برتبة ملازم في سلاح المشاة. شارك ديغول في الحرب العالمية الأولى، وفي سنة 1925 عين نائبا لرئيس المجلس الأعلى للحرب، وفي 1929 أرسل إلى لبنان ثم عاد في 1931 إلى فرنسا ليعمل في وزارة، ثم رُقي في الدفاع بباريس 1933 إلى رتبة مقدم. شارك في 1940 بوصفه قائدا ميدانيا في محاولات صد الهجوم الألماني على بلاده، عارض فكرة إنشاء الهدنة مع الألمان التي تبناها رئيس الحكومة فيليب بيتان في 17 جوان، وفي اليوم التالي أطلق ديغول -عبر هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي)- "نداء 18 جوان الذي دعا فيه لمواصلة القتال لأن "فرنسا خسرت المعركة لكنها لم تخسر الحرب". عمل بدعم من رئيس الوزراء البريطاني آنذاك "تشرشل" على جمع الضباط والجنود الفرنسيين الراضين للاستسلام تحت لواء "القوات الفرنسية الحرة" التي أعلن تأسيسها في لندن ونجح في إقناع مستعمرات فرنسية في أفريقيا بالانضمام إلى معسكر الحلفاء،. حينما حرر الحلفاء فرنسا عام 1944، فرض ديغول نفسه ممثلا لسلطة الدولة وشكل حكومة وفاق وطني، قدم الاستقالة من رئاسة الحكومة عام 1946. أسس حزب "تجمع الشعب الفرنسي" بيد أن انتقادات الأحزاب جعلته يهجر السياسة في 1953، ليعتكف في بيته،. طلب رئيس الجمهورية "رينيه كوتي" في 29 ماي 1958 من ديغول العودة إلى رئاسة الحكومة معلنا عجز "الجمهورية الرابعة" عن التصدي للثورة الجزائرية المسلحة، فبادر ديغول إلى تأسيس الجمهورية الخامسة، ثم أطلق مفاوضات مع جبهة التحرير التاريخية. (للمزيد ينظر: Dictionnaire Encyclopédique, Paris, 1980)

على إنشاء "اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني" وعين بذلك حاكما عاما على الجزائر وهو "الجنرال كاترو" الذي كان يحمل القاسم المشترك مع "ديغول" وهو تحرير فرنسا ثم النظر في القضية الجزائرية وبالموازاة مع هذه السياسة المتشددة التي أراد تطبيقها، لجأ فيما بعد إلى إبداء نية أخرى بهدف السيطرة والهيمنة، حيث أعلن على إنشاء لجنة الإصلاحات الإسلامية.⁽¹⁾

وطبقا للقرار الذي اتخذته اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني في 11 ديسمبر 1943 والذي يقضي بالعمل على رفع مستوى "الفرنسيين مسلمي الجزائر" أصدر الحاكم العام الجنرال "كاترو" « Catroux » (*) قرارا في 14 ديسمبر 1943 ينص على تشكيل لجنة مكلفة بإعداد برنامج للإصلاحات السياسية والاقتصادية لصالح الفرنسيين مسلمي الجزائر "الأهالي" والذي عالج مشروع توسيع انتشار التعليم الابتدائي الأهلي الذي أعده مفتش الأكاديمية "الوجي" « Loggi »⁽²⁾ كانت لجنة الإصلاحات تهدف إلى:

1- فتح باب المواطنة الفرنسية أمام عدد من أعضاء "النخب المسلمة" دون شرط تخليهم عن قانون الأحوال الشخصية.

2- توسيع مجال الاقتراع والتمثيل في الجمعيات الاستشارية لفائدة الجزائريين وقبول أكبر عدد منهم في المناصب الإدارية.

¹ - احمد رضوان شرف الدين: (إصلاح التعليم العمومي في الجزائر بين 1944 و1954)، الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال 1830-1962، ص: 85.

* - الجنرال كاترو « Julien Catroux » (1877/1969) قائد عسكري، تقلد العديد من الرتب، عين سنة 1939 حاكما عاما للهند الصينية، انضم إلى حركة تحرير فرنسا بزعامة "ديغول"، الذي عينه القائد الأعلى لقوات فرنسا الحرة، ثم عين مندوبا ساميا في منطقة الشام، ثم عين حاكما عاما للجزائر سنة 1943 وهو صاحب الإصلاحات المعروفة باسمه سنة 1944. توفي في باريس في 1969 (للمزيد أكثر ينظر: Dictionnaire Encyclopédique.

² - جمال قنان: التعليم الأهلي في الجزائر... المرجع السابق، ص 206.

3-تسطير برنامج يرمي إلى التوجه بصورة متواصلة ومرتفعة نحو رفع وضع المسلمين السياسي والاقتصادي والاجتماعي إلى مستوى الفرنسيين.⁽¹⁾

وبالرجوع إلى تقرير المفتش "لوجي" « Loggi » الذي سبق ذكره نجد انه أجرى مقارنة بين حالة التعليم في المحيط الأوربي ومثله عند الأهالي وتوصل إلى وجود ضعف التلاميذ الأوربيين في المدرسة مقابل الأهالي، إضافة إلى الاختلاف الكبير في الميزانية حيث يذكر أن اعتمادات التعليم الأوربي وصلت حدود 339 مليون فرنك مقابل 88 مليون فرنك للتعليم الأهلي⁽²⁾.

الجدول (35) الاعتمادات المالية الموجهة للتلاميذ والمدارس.

الاعتمادات المالية	مدارس	تلاميذ	الجنس
88.000.000	699	110.000	جزائريون
339.000.000 (³)	1400	200.000	فرنسيون

إذا نظرنا إلى هذه الأرقام نلاحظ أن عدد التلاميذ الأوربيين هم ضعف الجزائريين، أما الميزانية فهي أضعاف ميزانية التعليم الأهلي.

كان برنامج التعليم لعام 1944 الذي نص عليه مرسوم 27 نوفمبر 1944 يهدف إلى انشاء 20.000 الف قسم جديد لاستيعاب 1.250.000 تلميذ في سن الدراسة لم يلتحقوا بعد بالمدرسة، في غضون مدة عشرين سنة⁽⁴⁾.

¹ - احمد رضوان شرف الدين: المرجع السابق، ص 86.

² - جمال قنان: المرجع السابق، ص 207

³ - يحي بوعزيز: السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1830-1954) دار البصائر للنشر والتوزيع.

2009، الجزائر، ص: 168.

لكن إذا رجعنا إلى سنوات ما قبل صدور أمرية "ديغول" « de gaulle » نجد أن التعليم الأهلي يحتل المراتب الأخيرة في نسبة الاعتمادات المالية.⁽¹⁾

وهو ما يمثله الجدول التالي:

الجدول (36) الاعتمادات المالية الموجهة للتعليم.

مصرفات فعلية	مبالغ معتمدة	مصرفات عادية
150.453.373	153.367.176	التعليم القومي (فرنسيين)
39.838.473	42.920.794	التعليم القومي (جزائريين)
5.168.803	5.539.211	التعليم الفني المهني الابتدائي
18.000.000	24.262.774	الإصلاحات
11.000.000	12.469.978	الأمن العام
61.000.000	60.300.424	الحرس الإداري الجمهوري
37.000.000	43.245.452	البوليس

من خلال معطيات الجدول نلاحظ التباين الكبير في الاعتمادات المقدمة كميزانية إذ تمثل نسبة المصاريف الموجهة للتعليم الأهلي ربع ما تقدمه الإدارة الفرنسية للأمن العام بمختلف تخصصاته، وهو إجحاف كبير في حق الجزائريين.⁽²⁾

أراد الجنرال "شارل دوغول" من خلال هذه الإصلاحات التي أصطلح على تسميتها "أمرية 1944) أن ييحي واقعا جديدا في الجزائر، إذ أطلق هذا المشروع الإصلاحي الذي يعتبر واحدا من أكبر المشاريع في تاريخ الجزائر المستعمرة، خاصة وأن الجزائريين شاركوا بقوة في الحرب العالمية الثانية

¹ -Kamel Kateb :**Les Séparation scolaire dans L Algérie coloniale** ,Insaniyat n :25- 26,juillet-décembre 2004.p : 94.

² - يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 167.

وقدموا أدوارا وبطولات لأجل تحرير فرنسا من النازية في إطار التجنيد الإجباري الذي فرضته الإدارة الاستعمارية في بداية الحرب العالمية الثانية.

تضمنت هذه الإصلاحات فتح عدد كبير جدا من الأقسام (20.000 قسم) وهو رقم إذا قارناه بالسياسة التعليمية في الفترات السابقة، يمثل نقطة تحول في تاريخ المستعمرة وهو حق أريد به الإحتفاظ بالجزائر في إطار "المتربول الفرنسي" إضافة إلى بداية ظهور موجة التحرر العالمية بعد الحرب الثانية. وكذا الواقع السياسي العالمي الذي ستفرزه هذه الحرب بظهور قوى عالمية جديدة مناهضة للإستعمار التقليدي.

المبحث الأول: التعليم الابتدائي.

أراد "ديغول" « De Gaulle » من خلال إصداره لأمره مارس 1944 (*) خداع الجزائريين بإصلاحاته المزعومة، إذ حاول أن يحدث نوعا من التقارب بين التعليم المتخصص الراقى الذي كان يحظى به الأوروبيون والتعليم البسيط الموجه لأبناء "الأهالي" محاولاً إحياء سيرة وزير التعليم العمومي سنة 1883 "جول فيري" « Jules Ferry » فقرر دمج التعليمين، بالرغم من تأخر تطبيق القرار حتى سنة 1949 الذي نص على بناء وتشيد المدارس لصالح مليون ومائتي طفل جزائري بلغوا سن الدراسة القانونية وذلك بوضع برنامج لإنشاء 20.000 قسم في الفترة الممتدة بين 1948-1965⁽¹⁾ كما نصت هذه الأمرية لأول مرة بوضوح على "أهل جميع الأطفال الجزائريين الذين بلغوا سن الدراسة الحق في التعليم."⁽²⁾ وقد شرع في هذا العمل بالبرنامج انطلاقا

* - أمرية 07 مارس 1944: الرئيس الفرنسي "شارل ديغول" يصدر مرسوما يعد بإصلاحات مستمدة من مشروع . بلوم فيوليت الذي كانت حكومة الجبهة الشعبية قد طرحته بعد وصولها للسلطة في فرنسا عام 1936 ، ورفضه حزب الشعب الجزائري وهي عبارة عن مجموعة إصلاحات أصدرها ديغول إثر بيان 10 فيفري 1943 وتتضمن:

* المساواة بين الجزائريين والفرنسيين في الحقوق والواجبات

* إلغاء القوانين الاستثنائية والمساواة أمام القانون. (www.startimes.com,24/07/2013.P:03).

¹ - رايح دبي: المرجع السابق ص 112.

² - عمار هلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 1962/1830. ص 125.

من نوفمبر 1944 عبر إصدار مجموعة من المراسيم، كان أبرزها مرسوم 05 مارس 1949 الذي نص على دمج التعليم الموجه للفرنسيين والتعليم الموجه للجزائريين.⁽¹⁾

كما سمحت هذه المراسيم بارتفاع عدد المدارس الابتدائية بينة 1950 إلى 2068 مدرسة يرتادها نحو 177000 تلميذ جزائري و 130000 تلميذ أوربي لكن رغم ذلك فإن البرنامج لم يتمكن من تلبية حاجيات المجتمع الجزائري في مجال التعليم لأنه جاء متأخرا.⁽²⁾

أما عن لجنة الإصلاحات التي تألفت لهذا الغرض، فقد تم إبعاد ممثلي المستوطنين الغلاة الذين طالما عارضوا بشدة فكرة تعليم "الأهالي" على مدار قرن من الزمن كما أسلفنا سابقا، وقد اختير المعتدلين منهم مناصفة مع بعض العناصر الفرنسية وتم إبعاد من جهة أخرى العناصر الجزائرية التي لا تثق فيهم.⁽³⁾

وحدد عمر البرنامج بعشرين سنة بداية من 1945 إلى 1965 وقد كان يرمي إلى نشاء 20.000 فصل من اجل استعاب مليون تلميذ، حسب التدرج المبين في الجدول التالي:
الجدول (37) عدد التلاميذ والفصول في برنامج 1944.

سنة	فصل	تلميذ	سنة	فصل	تلميذ
1945-46	400	20 ألفا	1956-57	800	40 ألفا
1946-47	400	20 ألفا	1957-58	1000	50 ألفا
1947-48	500	25 ألفا	1958-59	1000	50 ألفا

¹- Claude Colot : **Les Institutions de L'Office des Algérie durant la période colonial(1830-1962)** publications universitaires, Alger, 1987.P :323.

²- محمد عابد الجابري: **التعليم في المغرب العربي**، دراسة تحليلية لسياسة التعليم في المغرب والجزائر وتونس، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1989. ص 113.

³- جمال قنان: المرجع السابق، ص 211.

50 ألفا	1000	60-1959	25 ألفا	500	49-1948
55 ألفا	1100	61-1960	30 ألفا	600	50-1949
60 ألفا	1200	62-1961	30 ألفا	600	51-1950
65 ألفا	1300	63-1962	30 ألفا	600	52-1951
70 ألفا	1400	64-1963	30 ألفا	600	53-1952
125 ألفا	2500	65-1964	30 ألفا	600	54-1953
			30 ألفا	600	55-1954
125 ألفا	2500	65-12-31	40 ألفا	800	56-1955
1 مليون	20 ألفا	20 سنة			

من خلال معطيات الجدول نلاحظ أن البرنامج يبدأ سريانه من سنة 1944، بمعنى انه أهمل نهائيا الأطفال الذين سبقوا هذه السنة (مليون طفل)، إضافة إلى أن هذا البرنامج افتقد إلى إحصائيات دقيقة، تغطي حجم الاختلاف الكبير بين ما يوفره البرنامج والزيادة السنوية لجموع الأطفال في سن التمدرس وهو العامل السلبي الذي اثر على مجموع التلاميذ في الصف الواحد خاصة مرحلة المتوسط، إذ نسجل 50 تلميذا في القسم الواحد⁽¹⁾

في سنة 1959 أطلقت الحكومة العامة في الجزائر نشرة تسمى "الجزائر تنمية" أو "الجزائر والتنمية" تتكلم عن مجالات التعليم في العهد الجديد وانطلاق الجزائر إلى عصر التنمية وجاء في النشرة أن التعليم هو أساس التنمية وان التعليم الابتدائي قد حقق تقدما كبيرا بعد أمرية "ديغول" حيث تشير الإحصائيات إلى تمدس تلميذ في سنة 1948 من بين تسعة من أقرانه لا يتعلمون ويلتحقون

¹ - يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 170.

بالمدرسة وبعد مضي عشر سنوات قفز العدد من طفل إلى أربعة أطفال يتعلمون من بين تسعة. كما في نفس السنة نسجل 612 ألف تلميذ في الابتدائي منهم 171 ألف تلميذة و 473 ألف تلميذ وفي السنة الموالية زاد العدد بخمسين ألف طفل جزائري، إضافة إلى وجود 69 ألف تلميذ يزاولون تعليمهم في مدارس الجيش الفرنسي التي فتحتها في المناطق النائية.⁽¹⁾

لكن وبالرغم من هذه الإحصائيات التي إن قورنت بسابقتها فإنها تعد معتبرة في تاريخ التعليم الأهلي في الفترة المدروسة، هذا إذا اعتبرنا أن هذا البرنامج قد حدد أهدافه العامة، لكنه لم يصل إلى حل معضلة التعليم في الجزائر المستعمرة، إضافة إلى أن الإدارة الفرنسية لم تستطع أن تصل إلى إنشاء العدد الإجمالي للفصول والمدارس الذي نص عليه مضمون المرسوم فعلى سبيل المثال في الفترة الممتدة بين (1945-1950) كان مسطراً أن يتم إنشاء (2400 فصل) بينما لم يتم إنشاء سوى (1947 فصلاً) بعجز يقدر ب: (453 فصلاً) ناهيك عن السنوات التي ستشهد فيها ثورة التحرير المباركة وقد كانت الإدارة الفرنسية تتحجج بتبريرات واهية تمثلت في عمومها بالنقص في الموظفين والإيرادات المالية وفي المقابل تتدعم ميزانية الأمن العام بمبالغ خيالية وهذا يدل على استمرار السياسة العرجاء التي انتهجتها الإدارة الفرنسية بخصوص تعليم "الأهالي"⁽²⁾ والجداول الآتية تبين تعداد التلاميذ والأقسام في الفترة ما بين 1954/1945.

الجدول (38) عدد التلاميذ والأقسام من 1945 إلى 1954.

السنة	الأوروبيون	الجزائريين	المجموع	فارق الجزائريين	فارق الجزائريين
1945	149.00	110.000	259.000		
1954	142.820	322.273	165.093	6180-	212273-

¹- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج9، المرجع السابق، ص260-261.

²- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص170.

الجدول (39) التعليم الأوربي والتعليم الأهلّي في الفترة ما بين 1945 و1954

السنة	التعليم الأوربي	التعليم الأهلّي	المجموع	الزيادة
1944	4000	2000	6000	
1954			11.880	5.478

يبين الجدول حجم الأقسام والفصول التي تم إنشاؤها خلال الفترة من 1945 إلى 1954 في إطار البرنامج الذي تم تسطيره لهذه الغاية.⁽¹⁾

بعد مرور خمس سنوات على هذا البرنامج أثبت عدم نجاعته خاصة أن الكثير من فصوله كانت تعمل نصف الوقت إما في الصباح أو المساء، تحت إشراف معلمين اقل ما يقال عنهم أنهم من ذوي الشهادات البسيطة وهو عامل سلبي في تكوين هؤلاء الصغار، في حين كان تلاميذ الأوربيين يتعلمون في أحسن الظروف بداية بالمدارس الجميلة وتحت إشراف أساتذة ممتازون ولا يفوق عددهم الثلاثين تلميذ في القسم الواحد وفي الجانب الآخر نجد أبناء "الأهالي" يعانون من الحرمان الدراسي والاكتظاظ في نفس الوقت واغلبهم يغادرون المدرسة في سن مبكرة، تحت تأثير الظروف القاسية إلى العمل الحرفي.⁽²⁾

حدد عمر هذا المشروع بعشرين سنة، وبطاقة إجمالية تقدر بإنشاء 20.000 قسم لمجموع عدد تلاميذ في سن الدراسة فاق المليون تلميذ. لكن تأخر إنطلاق هذا المشروع حتى سنة 1949 حال دون أن يكتمل إذ نسجل عجزاً في الخمس سنوات الأولى حتى سنة 1954 تاريخ إنطلاق الثورة المسلحة، إضافة إلى فقدان هذا التعليم مرة أخرى إلى الفاعلية والجديّة، إذ بقيت نفس الممارسات العنصرية والفوارق في البرامج والمقررات وحتى الأساتذة المكونيين الذين يشرفون على هذا التعليم. مقارنة بالذي كان يحضى به أبناء المستوطنيين الأوربيين. وهو دلالة أخرى على عدم صدق

¹ - احمد رضوان شرف الدين: المقال السابق، ص 91.

² - يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 172.173

النوايا الإستعمارية اتجاه شعب ظل يعاني على مدار قرن من الزمن وبعض السنوات، لم تغير فيها الإدارة الإستعمارية سياستها التعليمية.

المبحث الثاني: التعليم الثانوي

حسب تقرير "غورجو" « Gorgeu » والذي يرجع إلى سنة 1961،" الذي قدم إحصائيات دقيقة حسب المؤرخ "سعدالله" تقدر نسبة الأطفال البالغين سن السادسة و الرابعة عشرة ب:16. /. من السكان، بينما يرتفع عددهم في الوسط المسلم إلى:35. /. ويقدر عدد التلاميذ المسلمين في التعليم الثانوي ب:10.283 إناثا وذكورا، بينما يقدر عدد التلاميذ الاوربيين 34.413. والمجموع 44.696 ، كما يشير التقرير إلى وجود(50 ثانوية ومعهدا ثانويا في الجزائر، يدرس فيها قرابة 200 أستاذ مسلم منهم(150 أستاذ) يدرسون العربية الدارجة، أما مجموع الأساتذة فهو 1434 أستاذ.⁽¹⁾

والجداول التالية يبين تعداد التلاميذ في الطور الثانوي في الفترة الممتدة بين(1954/1945)

الجدول (40) تعداد التلاميذ في الطور الثانوي في الفترة بين(1954/1945)

السنة	الأوربيون	الجزائريون من بينهم	إناث	المجموع	فارق الأوربيين	فارق الجزائريين
1945	19.000	1.580	220	21.000		
1954	15.000	6.260	952	34.468	4.000-	4680+

وتنقسم الثانويات التي ذكرناها سابقا وعددها (50) إلى:

* ليسي: « Lycée » وهي مؤسسات للتعليم الثانوي الطويل الأمد.

* كوليج: « Collège » وهي مؤسسات بلدية للتعليم الثانوي القصير الأمد.

¹ - ابو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج9، المرجع السابق، ص262-263.

*كوركومبليمانتير: « Cour Complimentaire » وهي مؤسسات للتعليم الإعدادي لشهادة الأهلية.⁽¹⁾

والجدول التالي يبين التطور الضئيل للتلاميذ الجزائريين في سنة 1958 مقارنة بالتلاميذ الأوربيين، بالرغم من إجبارية التعليم المزعومة التي نص عليها مرسوم 1944.

الجدول (41) تطور عدد التلاميذ سنة 1958.

الولايات	الجزائريون المسجلون		مجموع الجزائريين	الفرنسيون المسجلون		مجموع الفرنسيين	المجموع الكلي
	البنون	البنات		البنون	البنات		
وهران	700	223	923	5.460	4.219	9.697	10.602
مستغانم	333	81	414	915	114	1.059	1.473
تلمسان	753	219	972	321	338	659	1.631
تيارت	99	21	120	325	125	350	470
المجموع	1.885	544	2429	6.921	4.826	11.747	14.176

من خلال الجدول نلاحظ التطور الضئيل لتلاميذ الثانوي شأنهم شأن التعليم الابتدائي وهو ما يفسر مرة أخرى السياسة التعليمية العرجاء المطبقة من طرف الإدارة الفرنسية.⁽²⁾

وقد اتخذت السلطات الفرنسية قرارات مهمة من اجل تطبيق هذا الإصلاح الجديد، من اهمها:

*إلحاق التعليم التقني والمهني بالتربية الوطنية وإعادة تنظيم "دروس الكبار" في عام 1947.

¹ - يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 92.

² - الطاهر زرهوني: المرجع السابق، ص 32.

* في سنة 1955 تم إلحاقها بالمراكز الاجتماعية، التي تم إنشاؤها في عدد من مدن القصدير بالحواضر وفي الدواوير بالأرياف.

* إصدار مرسوم 10 جويلية 1951 الذي نص على تحويل المدارس الشرعية الثلاثة إلى:

"ثانويات فرنسية-إسلامية" « lycées. Franco-musulmans »

* إصدار مرسوم 5 مارس 1949 الذي نص على دمج التعليم المقدم لأبناء الجزائريين مع التعليم المقدم لأبناء الأوربيين.⁽¹⁾

ونشرت حكومة عموم الجزائريين أرقاما توضح مدى تقدم المدارس الثانوية واستعدادها لقبول أكبر عدد من الطلبة الأوربيين في حين نسجل القلة القليلة من الجزائريين للمعيقات الكبيرة المتمثلة في صعوبة الدخول والمصاريف المالية الكبيرة والباهضة.

الجدول (42) عدد الطلبة الجزائريين والفرنسيين في الثانويات (1950/1939)

سنة	طالب جزائري	طالب فرنسي	المجموع
40-1939	1.358	16.771	18.129
41-1940	1.260	17.274	18.534
42-41	1.342	17.570	18.912
43-42	1.300	17.303	18.603
44-43	1.209	16.457	17.666
.....
..... ⁽²⁾

¹ - احمد رضوان شرف الدين: المرجع السابق، ص 92.

² - لم تنشر أرقام هذه السنوات (44-45-46-47) (ينظر يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 174)

22.388	20.175	2.213	49-48
(¹)23.392	20.658	2.734	50-49

حينما تم تحويل المدارس الحكومية الثلاث إلى ثانويات التعليم الفرنسي الإسلامي، ثم تأسيس معهد الدراسات العليا الإسلامية سنة 1946. تعويضا للأقسام العالية لمدرسة العاصمة وقد كانت اللغة العربية تقدم في ثلاث أو خمس ساعات في الثانويات العادية وبين سبعة واثنا عشرة ساعة في ثانويات التعليم الفرنسي الإسلامي.⁽²⁾

وبالحديث عن التعليم الثانوي، نُذكر بالدور التاريخي لطلبة الثانويات في شن الإضراب الشهير عام 1956 بحيث استطاعوا أن يقودوا جموع الطلبة بما فيهم طلبة جامعة الجزائر، كما صوتوا بقوة لصالح الإضراب العام عن الدروس ورجحوا الكفة لصالح الإضراب، نذكر منهم الطالب "عمارة رشيد ومريم بلمهوب والكثير منهم التحقوا بالثورة في الجبال منذ افريل 1956 ليثبتوا للعالم شعبية الثورة التحريرية، التي طالما كان المستعمر الفرنسي يروج لها في كل أنحاء العالم أنها ثورة عصابات وقطاع طرق.⁽³⁾

نتيجة للإصلاحات التي ذكرناها سابقا انتشر عدد لا يستهان به من الثانويات في الجزائر، حيث أصبح التلميذ الجزائري يستطيع أن يلج الثانوية، لكن ليس بالأرقام التي كانت تروج لها الإدارة الإستعمارية. حيث كان عدد التلاميذ الجزائريين أقل من الأوربيين بالرغم من إلزامية التعليم. وكذا قرارات مرسوم 1949 الذي نص على دمج التعليم بين الجزائريين والأوربيين.

كما حولت المدارس الإسلامية الثلاثة المشار إليها سابقا في العديد من فصول الدراسة إلى ثانويات فرنسية إسلامية واستبدلت بالمعهد الإسلامي للدراسات العليا. التي كانت تدرس فيه العربية بحجم ساعي محترم.

¹- أحمد رضوان شرف الدين: المرجع السابق، ص 92.

²- الطاهر زرهوني: المرجع السابق، ص 31.

³- يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة 2009 الجزائر، ص: 438-

المبحث الثالث: التعليم العالي:

من خلال الوضعية الكارثية للتعليم والسياسة التعليمية المنتهجة خلال قرن من الزمن، كان من الطبيعي أن نقف على وضع أسوأ بالنسبة للتعليم العالي، خاصة وأن المستويات الدنيا من ابتدائي و ثانوي كانت حكرًا على فئة بسيطة من المجتمع الجزائري، ووفقا لما قدمناه في رسالتنا هذه عن الفئات القليلة التي كانت تلتحق بمدارس التعليم الأهلي، فمن الواقع أن نصطدم بأعداد قليلة جداً في التعليم العالي نظرا للأسباب والظروف التي قدمناها سابقا، في ظل انعدام شبه كلي للمعاهد العالية والجامعات في الجزائر عدا جامعة العاصمة التي أسست في بداية القرن العشرين ولم يكن للجزائريين فيها حظ أوفر عدا بعض الأرقام القليلة جدا.

يعود النقص الكبير في عدد الطلبة بالمعاهد العليا إلى قلتهم في التعليم الابتدائي وهو ما انعكس سلبا على التعليم الثانوي الذي لا يصله إلا بعض الحالات المغمورة من أبناء العائلات المتنفذة فقط، نتيجة للصعوبات المالية القاسية التي تواجه الطلبة، إذ تفرض إدارة هذه المعاهد والثانويات مصاريف المسكن التي تقدر ب: 5000 فرنك، و6000 فرنك بالنسبة للأكل والملابس، إضافة إلى مصاريف التسجيل التي تقدر ب: 3000 فرنكوهي بذلك مقدرات مالية لا يستطيع أن يلتزم بها إلا القليل من الجزائريين.⁽¹⁾

وقد بلغ عدد الطلبة الجزائريين في السنة الدراسية (1946-47) ما يقارب 260 طالبا ليتطور في السنة الدراسية (1954-55) إلى (589 طالبا) وهو عدد قليل جدا مقارنة بحجم الإصلاحات المعلن عليها من طرف شارل ديغول بعد (1944)⁽²⁾

أوردت بعض التقارير العامة والمتخصصة إحصاءات متنوعة عن مجموع الطلبة الجزائريين في الجامعة الجزائرية التي كانت تحمل الطابع الإفريقي الإسلامي على حد تعبير الإدارة الفرنسية لكنها

¹ - يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري..... المرجع السابق: ص 176.

² - احمد رضوان شرف الدين: المرجع السابق، ص 93.

واقعيًا ، لا تعدو أن تكون جامعة فرنسية تضم (5400 طالب) منهم (400) جزائريين.*

والجدول التالي يبين عدد الطلبة الذين التحقوا بهذه الجامعة من 1939 إلى 1950.

الجدول (43) عدد طلبة جامعة الجزائر (جزائريون-أوروبيون) من 1939 إلى 1950.

سنة	جزائريون	فرنسيون	المجموع
1939-40	89	1777	1866
1940-41	147	3626	3773
1941-42	148	3731	3879
1942-43	144	3068	3212
1943-44	189	3287	3476
1944-45	229	3899	4128
1945-46	360	4618	4978
1946-47	227	4474	4701
1947-48	263	4296	4559
1948-49	282	4357	4639
1949-50	306	4280	4586 ⁽¹⁾

نلاحظ أن عدد الطلبة الجزائريين قليل جدا مقارنة بالأوروبيين، وأن أغلبهم من خريجي المعهد العالي للدراسات الإسلامية، التي لا تساوي شهادته مع شهادة البكالوريا المطلوبة.

* - تصفها نشرة الحكومة العامة الفرنسية آنما: إحدى أكبر الجامعات الفرنسية، تتألف من أربع كليات واثنا عشر معهدا متخصصا، منها معهد الدراسات الإسلامية وكذا معهد الدراسات الشرعية في كل من قسنطينة ووهران. (ينظر سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج9، المرجع السابق، ص261).

¹ - يحي بوعزيز: سياسة التسلط... المرجع السابق، ص175.

ومن بين التقارير التي اشرنا لها سالفا تقرير أوردته جريدة "المقاومة الجزائرية" (*) (حيث ذكرت وجود (557) طالبا جزائريا سنة 1954 في جامعة الجزائر مقابل (7146) طالبا أوريبيا وذكرت الجريدة انه: "لو كانت الأمور طبيعية لكان في الجامعة 37000 طالبا جزائريا حسب إحصاء السكان (1)."

كما يشير تقرير آخر وهو تقرير "قورجو" « Gorgeu » السالف الذكر أن مجموع طلبة جامعة الجزائر هو "5000" طالب منهم (500) طالب جزائري، وبالتالي فنسبة الأوربيين مرتفعة جدا على حساب الجزائريين، بتقدير (54) طالب أوربي لكل 1000 ساكن وطالب واحد جزائري لكل 18000 ساكن. (2)

وبالموازاة هناك إحصائيات أخرى نشرها ديوان الوزارة بالجزائر، مصلحة الاستعلامات في 01

مارس 1958 مع اختلاف بسيط في عدد الطلبة سنوات 1946/1947 وهي:

الجدول (44) عدد الطلبة في جامعة الجزائر (1955/1946)

السنة	الأوربيون	الجزائريون ذكور	الجزائريات	مجموع الجزائريين
1946-47				260
1954-55	4.547			(3) 589

وللعلم فقط أن جامعة الجزائر هي الجامعة الوحيدة في المغرب العربي التي تأسست في الحقبة الاستعمارية وقد تكونت نتيجة اتحاد المدارس العليا الأربعة التي تم ترقيتها سنة 1909 إلى جامعة وهي على التوالي: مدرسة الطب والصيدلة التي تأسست بمقتضى القرار المؤرخ في: 04 اوت 1857

* - المقاومة الجزائرية: *Résistance algérienne* جريدة جزائرية نشرت في السنوات الأولى من ثورة التحرير المباركة من 22 أكتوبر

1955 إلى جوان 1957 كانت اللسان الرسمي لجهة التحرير الوطني.

1- يحي بوعزيز: سياسة التسلط... المرجع السابق، ص 175.

2- ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 9، المرجع السابق، ص 262.

3- احمد رضوان شرف الدين: المرجع السابق، ص 93.

بمبادرة من الجنرال "راندون" « Randon »* () وهي النواة الأولى للتعليم العالي في الجزائر⁽¹⁾

ثم تأسست مدرسة الآداب ومدرسة الحقوق والاقتصاد ومدرسة العلوم التي تأسست بمقتضى قانون 20 ديسمبر 1879.⁽²⁾

وقد تمثل الدور الظاهري لجامعة الجزائر في نظر الإدارة الاستعمارية في الاهتمام بتاريخ شمال إفريقيا، إضافة إلى حضارة وتراث المنطقة.⁽³⁾ لكن الهدف الحقيقي هو التعريف بالثقافة الفرنسية المزعومة ومحاولة تسليط أنوارها على المجتمع المحلي.⁽⁴⁾

لكن الحقيقة المرة التي يعلمها الجميع أن الإدارة الفرنسية أوصدت أبواب هذه الجامعة في وجه الطلبة الجزائريين وجعلت منها وسيلة للسيطرة الاستعمارية واحتكاراً للمعرفة وتشويهها لتاريخ الجزائر والمغرب العربي⁽⁵⁾

عموما فالسياسة التعليمية المنتهجة من قبل الإدارة الإستعمارية إنعكست سلبا على التعليم العالي وتحديد الجامعة، هذا الحلم الذي ظل يراود الجزائريين منذ تاريخ تأسيس أول جامعة في المغرب العربي، فحلم الوصول إلى مقاعد التعليم الابتدائي لم تتوفر لملايين الجزائريين على مدار قرن من الزمن فما بالك الثانوي وصولا إلى الجامعة التي كانت للاوربين خالصا. ولم يلتحق بها إلا النذر القليل بداية من 1920 أي بعد الحرب العالمية الأولى وهم أبناء أكبر العائلات الجزائرية التي تفانت في تقديم الطاعة للفرنسيين على مدار سنوات الإحتلال. ولم تشهد جامعة الجزائر إقبالا

* - الجنرال راندون: اسمه الكامل جاك لويس راندون، « Jacques louis randon » ولد في مدينة قرونوبل في 27 مارس 1795 تقلد رتبة ملازم أول ثم قائد سرب في 1830 ثم مرشال سنة 1856، وزيراً للحربية حتى سنة 1851 عين حاكما عاما للجزائر، عاصر مقاومة فاطمة نسومر، مسيرته حافلة بالنجاحات، قلد وسام الليف الشرفي في 24 ديسمبر 1853 ثم تقلد رتبة جنرال الأركان جيش الألب حتى سنة 1867، لم يشارك في حرب 1870 ضد بروسيا، لتقدم سنه لكنه حمل مسؤولية الهزيمة لكونه لم يكون الجيش الفرنسي لهذه المهمة، توفي في جنيف سنة 1871. (ينظر)

1- صبحي حسن: تاريخ التربية والتعليم بالجزائر في العهد الاستعماري، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 1995-1996، ص 42.
2- احمد بن داود شيخ: المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب من خلال التعليم (1920/1954) أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم الحديث والمعاصر. جامعة وهران 1 (2016/2017)
3- ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، المرجع السابق، ص 301.
4- غي بريغلي: النخبة الجزائرية الفرانكفونية، تر حاج مسعود وآخرون، دار القصة للنشر، الجزائر 2007، ص 95.
5- ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، المرجع السابق، ص 359.

للجزائريين حتى نهاية الحرب العلمية الثانية حينها بدأت بعض الإستثناءات من طرف الساسة الفرنسيين للحيلولة دون غضب الجزائريين. كما شهدت فترة الخمسينات من القرن العشرين وخاصة أيام الثورة المسلحة ولوج الجزائريين جامعة الجزائر. نظرا لتغير الظروف الداخلية والدولية في آن واحد. وبعدها تأسس الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين. الذي كان له شرف إعلان الإضراب التاريخي الذي دعت اليه جبهة التحرير التاريخية.

المبحث الرابع: التعليم الفني والمهني:

نتيجة لعدم وجود قاعدة صناعية واسعة في الجزائر، تعمدت الإدارة الفرنسية إلى تقليص فرص العمل المتخصصة بالنسبة لهذا النوع من التعليم الذي لم يسلم هو الآخر من السياسة المجحفة المنتهجة من قبل الاستعمار الفرنسي، حيث كانت تسعى دائما إلى الاحتفاظ بأكبر نسبة ممكنة من اليد العاملة الرخيصة غير المؤهلة حتى تتحكم في الأجور الزهيدة التي تقدمها للجزائريين نظير الاستفادة من خدماتهم في مجالات مختلفة ومتنوعة، لذلك فظهور هذا النوع من التعليم، هو حديث النشأة، حيث كانت الإدارة الفرنسية تجلب الفنيين من فرنسا لأداء مهام محددة.⁽¹⁾

وبالرجوع إلى تقرير "فورجو" « Gorgeu » الذي أورده سعد الله في الجزء التاسع من تاريخ الجزائر الثقافي يذكر عدد التلاميذ الجزائريين أكبر من الأوربيين وهو عمل مقصود فيه نوع من الاستعباد يجعل من هؤلاء التلاميذ المسلمين يمتنون مهناً يقدمون بها خدمات جلية للمستعمر الفرنسي، إذ يقدر عددهم ب: 11.773 وهو عشرة أضعاف عدد الأوربيين الذي يقدر ب: 1.336 عكس الأطوار الأخرى من التعليم.⁽²⁾

وتختلف الإحصائيات من تقرير لآخر، إذ يبين الجدول التالي أرقاما متنوعة، لجموع الطلبة الأوربيين والجزائريون الجنسين (ذكور، إناث)

الجدول (45) أعداد الطلبة الأوربيين والجزائريين في التعليم المهني.

¹ - يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعمارية... المرجع السابق، ص 177.

² - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 9، المرجع السابق، ص 263.

السنة	الأوروبيون	الجزائريون (ذكور)	الجزائريات	المجموع الكلي	مجموع الجزائريين
1945-46	470	813	210	1493	1.023
1955-56	2.292	3.736	1.751	7.579	5.487

من خلال الجدول يتبين لنا أن هذا النوع من التعليم حديث النشأة فعلا، كان من قبل لكن بهذه الأرقام وبالتالي فتقرير "فورجو" يثبت فعلا تطور العدد حتى سنة 1961.⁽¹⁾

تعود الجذور الأولى لهذا التعليم الذي كان فلاحيا يدويا موجه لخدمة الكولون، حيث تأسست أول مدرسة للصناعات التقليدية سنة 1866 في "فور نابليون" ضمت خمسين تلميذا، ثم تقرر فتح مراكز مهنية طبقا لأحكام مرسوم 16 أكتوبر 1892 اتبعت لمدارس الأهالي ثم فتحت ثماني مراكز أخرى مماثلة سنة 1896 ثم ارتفع عددها سنة 1914 إلى أربعة وعشرين مركزا يضم 1200 تلميذ، كما فتحت مراكز أخرى للبنات لنسيج الزرابي سنة 1914 كما ألحق هذا التعليم بوزارة التربية والتعليم سنة 1920 وأحدثت عليه تغييرات مهمة من سنة 1892 حتى 1959.⁽²⁾

وينقسم هذا التعليم إلى نوعين:

¹ - احمد رضوان شرف الدين: المرجع السابق، ص 93.

² - الطاهر زرهوني: المرجع السابق، ص 24.

أ-التعليم الزراعي: وهو تعليم يهدف إلى تكوين فنيين فلاحين، في مدارس سميت "المدارس الزراعية الأهلية" وزعت كالآتي:

*مدرسة الزراعة الأهلية.

*مدرسة سيدي بلعباس لإقليمية.

*المدارس الزراعية: سكيكدة عين تموشنت، قلمة.

*المدرس التدريبي الزراعي (حديقة التجارب في ميشتراس)

*مدارس التدريب الزراعي.⁽¹⁾

كان الهدف من إنشاء هذه المدارس والمراكز الفلاحية هو تخريج جزائريين عاملين في المصالح الفرنسية المتعلقة بالزراعة، لأن الغرض كما اشرنا سالفاً هو أن الفرنسيين سعوا سعياً كبيراً لجعل الجزائري إما خادماً أو فلاحاً متعلماً أو معلماً ممرناً في مدرسة ابتدائية بسيطة دون تثقيفه ليكتسب معارف نظرية وعلمية متطورة وبلغه فرنسية بسيطة تشبه الدارجة العربية حتى له مخاطبة الفرنسي دون الولوج في أدبها ومعارفها، وكذا نسيان العربية الفصحى بمرور الوقت ويفقد اتصاله بهويته ودينه.⁽²⁾ والجدول التالي يبين أعداد الطلبة الفرنسيين والجزائريين الذين التحقوا بالمدارس الفلاحية الفلاحية من سنة 1948 إلى سنة 1950 في كل المدارس المذكورة سالفاً.

الجدول (46) أعداد الطلبة الفرنسيين والجزائريين في المدارس الفلاحية (1950/1948)

¹ - يحي بوعزيز: سياسة التسلط... المرجع السابق، ص 178.

² - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، المرجع السابق، ص 436

سنة	مدارس	فرنسي	جزائري	المجموع
49-48	*المعهد الزراعي بالجزائر	99	3	102
	*المدرسة الزراعية الإقليمية	153	30	183
	*المركز التدريبي الزراعي	9	28	37
	*مدارس التدريب الزراعي	115	9	124
	المجموع	376	70	446
50-49	*المدرسة الأهلية الزراعية	74	-	74
	*مدرسة سيدي بلعباس	72	30	75
	*المدارس الزراعية	103	26	129
	سكيكدة، تموشنت، قلمة	11	43	54
	*المركز التدريبي الزراعي	116	5	121
	مدارس التدريب الزراعي			
	المجموع	376	76	453 ⁽¹⁾

من خلال الجدول نلاحظ مرة أخرى طغيان الجانب الفرنسي على حساب الجزائري، كل هذا حتى لا يتحصل التلميذ الجزائري على الكفاءة ويبقى ذلك البسيط دائما خدوما خادما، لصالح الفرنسي المستعمر. حتى في تعليم بسيط مهني حرفي هو في الأصل موجه للجزائريين، لكنه يتوج بشهادة كفاءة، إلا أنه بقي هو الآخر تعليم فرنسي أوربي، وفي إجحاف وتمييز للمدرسة الكولونيالية التي كان همها الوحيد عزل الجزائري وجعله بسيطا بدائيا وجاهلا حتى يبقى تحت الوصاية الإستعمارية.

¹ - يحي بوعزيز: سياسة التسلط... المرجع السابق، ص 178.

وبالرغم من الإصلاحات المزعومة إلا أن الأرقام بقيت تراوح مكانها والجدول التالي يبين هذه الأرقام في الفترة الممتدة بين (1954-1961) أي تحديداً فترة الثورة المباركة وهو:

الجدول (47) أعداد الطلبة الفرنسيين والجزائريين في المعاهد الزراعية (1954/1961)

المعهد		الأعداد والنسبة	
		أوربيون	جزائريون
*معهد الفلاحة بالجزائر		74	صفر
*المدرسة الجهوية بسيدي بلعباس		72	3
*مدارس الفلاحة: سكيدة، عين تموشنت، قلمة		72	26
*مراكز التكوين الفلاحي		103	43
*مدارس التسيير الفلاحي		116	5
المجموع		376	77
		83%	16.99%
		(1)	

مرة أخرى نسجل العجز الفادح في التعليم الفلاحي الذي كان يلحق في تكميليات. ودروس تلقن لتلاميذ تتراوح أعمارهم بين 14 و 17 سنة يحملون الشهادة الابتدائية.

نستنتج من خلال هذه الجداول أن الأرقام توحى بشح كبير بالنسبة للعنصر الجزائري وأن الذين أسعفهم الحظ لأن يلتحقوا بهذه المدارس لن يوظفوا في مصلحة الأملاك أو بأملك المستعمرين، لاعتبار أن حملة الشهادات الفرنسية هم المؤهلون لمثل هذه الوظائف وهو مبرر آخر يكرس قمة العنصرية التي مارستها الإدارة الفرنسية في حق الجزائريين. (2)

¹ - الطاهر زرهوني: المرجع السابق، ص 26.

² - يحي بوعزيز: سياسة التسلط... المرجع السابق، ص 179.

وقد كان هذا التعليم يقدم في شكل دروس على مدار 36 ساعة في الأسبوع موزعة على 12 ساعة للتعليم العام و9 ساعات للتعليم الفلاحي و9 ساعات في المعامل لمكانيك الفلاحة والحدادة والتجارة.⁽¹⁾

ب- التعليم المهني أو الفني: وينقسم إلى قسمين، تعليم من الدرجة الأولوتعليم درجة ثانية. أما الأول: هو نوع من التعليم التقني الهدف منه تكوين عمال مساعدي عمال فقط، يغطي حاجيات رأسمال الفرنسي فيما يخص القطاعات الاقتصادية، حيث نسجل نسبة 53.5٪. للتعليم التقني في الطور الأول لسنة 1954 و38٪. من شعب التعليم التقني الثانوي للصناعة المعدنية، مع العلم أن مجموع الجزائريين العاملين في التعدين والبناء والأشغال العمومية قدر ب: 151.713 أي ما يمثل نسبة 73.3٪. وهي تخصصات التعليم التقني.⁽²⁾

وبخصوص هذا التعليم بالذات استعملت فيه الإدارة الفرنسية العنصرية والتمييز حيث نلاحظ من الأرقام التي يمثلها الجدول الآتي، أن الدراسات المهنية عديمة الفائدة يسجل فيها الجزائريين بكثرة، أما الأقسام المهنية المتخصصة بالمدارس الحديثة يكون فيها الأوربيون أكثر، والأرقام توضح ذلك.

الجدول (48) أعداد الطلبة في المدارس المهنية بين (1950/1948)

سنة	مدارس	فرنسي	جزائري	مجموع
49-48	*دراسات مهنية	731	1374	2105
	*أقسام مهنية	166	13	179
50-49	*دراسات مهنية	869	1206	2075
	*أقسام مهنية	164	11	175

¹ - الطاهر زرهوني: المرجع السابق، ص 27.

² - Abd ellatif Ben Achenhou : **Formation du sous-développement en Algérie, essai...**
« Imprimerie commerciale » Alger, 1978, P : 378.

كما ذكرنا سابقا يلتحق الجزائريون بالدراسات المهنية البسيطة، في حين تقل أعدادهم في الأقسام المتخصصة، وهو أمر مقصود في إطار السياسة المحففة السابقة الذكر.⁽¹⁾

الجدول (49) تطور أعداد التعليم المهني بداية من 1945 حتى سنة 1961.

الذكور		الإناث		المجموع	السنة
النسبة	العدد	النسبة	العدد		
				2026	1945
				2226	1946
				2520	1947
				2703	1948
				2814	1949
	متوفرة	غير	الإحصائيات	3027	1950
				3704	1951
				4094	1952
				2493	1953
				5348	1954

¹ - يحي بوعزيز: سياسة التسلط... المرجع السابق، ص 179.

1955	5.487	1750	./31.9	5.487	./68.1
1956	3.929	2164	./55.1	3.929	./44.9
1957	5.906	2008	./43	5.906	./66
1958	8.848	3087	./34.9	8.848	./65.5
1959	10.880	3971	./36.5	10.880	./63.5
1960	14.281	5069	./35.5	14.281	./64.5
1961	17.073	5224	./30.6	17.073	./69.4
					(1)

نلاحظ من خلال هذه الإحصائيات أن أعداد التلاميذ الذين التحقوا بالتعليم المهني قد وصل إلى (17.000) تلميذ سنة 1961 ما يعني أن الأهداف التي سطرها الإدارة الاستعمارية قد وصلت إليها. عكس التعليم الإلزامي فلا أثر لهذه الأرقام.

أما التعليم الفني من الدرجة الثانية فقد تمثل في بعض المعاهد التي أنشأت خصيصا لهذه الغاية، لكنها تبقى شحيحة هي الأخرى بالنسبة للجزائريين الذي واجهوا أقصى درجات العنصرية من التجهيل إلى التفجير في إطار سياسة استعمارية تفننت في أساليبها وسلوكياتها.⁽²⁾

لقد سعت السلطات الاستعمارية إلى التركيز على التعليم الزراعي بصورة عامة وفقا لتكوين بسيط متخلف، حتى أنه إذا أرادوا الهجرة إلى "المتروبول" لا يجدون مناصب شغل لضعف تكوينهم.⁽³⁾ وفيما يلي أرقام أخرى تبين حالة هذه المعاهد للتعليم الفني لمجموع عدد التلاميذ من سنة 1946 إلى سنة 1950 في كل مدارس هذا النوع من التعليم وفي كل أقاليم الجزائر.

¹ - الطاهر زرهوني: المرجع السابق، ص 25.

² - يحي بوعزيز: سياسة التسلط... المرجع السابق، ص 180.

³ - احمد رضوان شرف الدين: المرجع السابق، ص 93.

الجدول (50) أعداد الطلبة الجزائريين والفرنسيين في المدارس (1950/1946)

سنة	مدارس	فرنسي	جزائري	أجنبي	بمجموع
47-46	*میزون كاري	143	3	00	146
	*ديليليس	111	33	00	144
	*العاصمة	278	25	00	303
	*قسنطينة	243	66	00	309
	*ارزان	223	2	01	226
	مجموع	998	129	1	226
48-47	*میزون كاري	121	2	00	123
	*ديليليس	126	27	00	153
	*العاصمة	323	31	00	354
	*بون	327	63	00	390
	*قسنطينة	231	62	00	293
	*ارزان	235	3	00	238
	مجموع	1363	188	00	1551
49-48	*میزون كاري	115	3	00	118
	*ديليليس	145	11	00	156
	*المدارس الفنية	1252	194	00	1446

1720	00	208	1511	مجموع	
75	00	2	73	*ميزون كاري	50-49
152	00	7	145	*ديليس	
1716	00	260	1456	*مدارس فنية	
30	00	2	28	*اقسام فنية	
00	00	00	00	*مدارس حديثة	
1973	00	271	1702	مجموع	
(1)					

يتضح لنا من خلال هذه الأرقام التباين الواضح والتناقض الصارخ إذ نسجل في سنتي (1950/1949) (271) تلميذ جزائري مقابل (1701) تلميذ فرنسي وهو عامل آخر يدل على عمق العنصرية الموجودة والمطبقة من قبل الإدارة الاستعمارية، كما نسجل أيضا القلة القليلة للجزائريين في المعهدين الأكثر أهمية في هذا النوع من التعليم وهما معهدي: "ميزون كاري و"ويليس" إذ يتحتم على الطالب في المعهد الأول حصوله على شهادة البكالوريا حتى يتسنى له دخول امتحان القبول وهي عراقيل بالغة تواجه الطالب الجزائري ناهيك عن النفقات المادية العسيرة التي أشرنا إليها سلفا وكخلاصة عامة يمكن أن نقول انه حتى التعليم الفني لم يكن من نصيب الطالب الجزائري الذي عانى الأمرين، فلا التعليم العمومي ولا التعليم المهني كان متوفراً لأعداد كبيرة عانت على مدار قرن وأكثر من الزمن وظلت تقاسي ويلات الظلام الدامس، عبر

¹ - يحي بوعزيز: سياسة التسلط... المرجع السابق، ص 181.

أجيال متعاقبة، فعلا هي سياسة تعليمة فاشلة بامتياز، في ظل أهداف رئيسة سطرها المستعمر الفرنسي للحفاظ على ديمومة بقائه في الجزائر.

المبحث الخامس: المدارس والمعهد العالي للعلوم الإسلامية.

تأسست المدارس الإسلامية الثلاث بمقتضى مرسوم 30 سبتمبر 1850 في كل من (تلمسان، المدية و قسنطينة) (*). قصد تكوين معلمين تحت السيطرة الاستعمارية وبالتالي التصدي للتعليم العربي الحر وتطورت شيئا فشيئا حتى سنة 1944 أدخل عليها الفرنسيون تغييرات كبيرة بالرغم من ضعف مردودها وعدم التحاق الجزائريين بها كما أشرنا سابقا، حيث مرت بمراحل متعددة بداية بالمدارس المتوسطة، إلى المدارس الثانوية ثم المدارس ذات المستويين المتوسط والثانوي ثم حُوت بعد سنة 1944 إلى الثانويات الفر نكو ميزلمان أي الفرنسية الإسلامية وقد ظلت هذه المدارس تراوح مكانها حيث نسجل سنة 1950 (289 طالبا) في المدارس الثلاث وهو الشيء الذي يوحي بضعف هذه المدارس الثلاث. واستمرت الدراسة في هذه المدارس على هذا النحو حتى سنة 1944 كما ذكرنا سالفًا حيث حُوت إلى ثانويات ذات مستويين (متوسط وثانوي) أما القسم العالي لمدرسة الجزائر فقد حُول إلى المعهد العالي للدراسات الإسلامية سنة 1946، لأجل إعداد مدرسين ورجال دين وفي سنة 1951 حُوت المدارس الثلاث إلى ثانويات فرنسية إسلامية،

Franco-Musulmane

* - تم اختيار هذه المدن الرئيسة للأسباب التالية:

*قسنطينة:عاصمة بايلك الشرق في العهد العثماني-تميز العمران والثقافة-تأثير تونس الحفصية عليها-دور الأسر الكبيرة فيها مثل:آل الفكون،ابن باديس،ابن جلول،بشارزي،بن البجاوي.-دور المدرسة الكتانية.

*المدية:عاصمة بايلك التيطري- مدينة تاريخية- إبعاد المنشآت عن العاصمة-تحولت إلى البلدية سنة 1955-استقرت في العاصمة سنة 1859 بغرض وضع الرقابة عنها عن قرب من الإدارة الاستعمارية.

*تلمسان:مدينة تاريخية-عاصمة الزيانين -مدينة علم وثقافة - (للمزيد أكثر ينظر:كمال خليل،المرجع السابق،صص 73-74).

اثان في العاصمة وواحدة في قسنطينة والرابعة في تلمسان والتي أصبحت مهمتها فيما بعد التحضير للبيكالوريا. وصل عدد تلاميذها سنة 1953 إلى (470 تلميذا)⁽¹⁾

ظلت هذه المدارس منذ نشأتها حتى سنة 1951 تقدم تعليما هزيلا للغاية مهمته خدمة الاستعمار الفرنسي وليس التعليم العربي الإسلامي وفي هذا الصدد يذكر احد مندوبي هيئة انتصار الحريات الديمقراطية، "جيلالي مبارك" في الجمعية العامة الجزائرية في 20 مارس 1951 عيوب هذا التعليم فيقول: "إن المدارس الإسلامية تسير -على حد ادعائهم- على نهج المدارس والمعاهد الفرنسية. وألغى النظام القديم وأن القسم العالي الوحيد في مدرسة (العاصمة) استبدل بما يسمونه باستهزاء (المعهد العالي للعلوم الإسلامية) الذي أنشأ في 5 جوان 1946 ويشمل هذا المعهد دراسة المواد العربية والفرنسية و يقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم التقليدي والقسم المخصص للمعلمين للمدارس التحضيرية والقسم الإداري وعدد ممن يترددون على هذا المعهد من الطلاب لا يتجاوز 41 طالبا. ويقسم المعلمين 15 للسنة الأولى و 14 للسنة الثانية. أما القسم التقليدي فيه 4 في السنة الأولى و 4 في السنة الثانية وأخيرا القسم الإداري وبه 2 فقط للسنة الأولى و 2 في السنة الثانية."⁽²⁾

وقد تم إنشاء القسم العالي في هذه المدارس سنة 1895 وتحديدًا في مدرسة الجزائر فقط ويلتحق به التلاميذ الذين يملكون طموح الترشح لشهادة البكالوريا، وفقا لشروط معينة حددتها إدارة هذه المدارس.⁽³⁾

وقد كانت هذه المدارس الشرعية تمنح شهادة مؤهلة لشغل الوظائف الدنيا المخصصة للأهالي في إدارة الاستعمار وهي:

¹ - آسيا بلحسين رحوي: وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ص 10.

² - يحي بوعزيز: سياسة التسلط... المرجع السابق، ص: 183-184.

³ - ابو القاسم سعدالله: الحركة الوطنية، ج 1، المرجع السابق، ص 393.

(أ) العون، الحزاب، المؤذن، الطالب "المعلم" في المدارس الابتدائية، والوكيل والخوجة والعدلوالدلال عند القاضي.

(ب) الباش عدل، الإمام، القاضي، المفتي.

وتخصص وظائف النوع الأول لحملة شهادة الدراسة التي يحصل عليها التلميذ بعد نهاية السنة الرابعة ونجاحه في الامتحان.

وأما وظائف النوع الثاني فهي مخصصة للتلاميذ الذين أكملوا الست سنوات وتحصلوا على شهادة الدراسات العليا، إضافة إلى اجتيازهم الامتحان بامتياز. وقد كان الفرنسيون يعتبرون هذه المدارس أنها كليات فرنسية، إطارها تعليم عالي إسلامي وتعليم ثانوي فرنسي، محاولين التفريق بينها وبين الشهادات التي تمنحها المعاهد الفرنسية، وهي تدخل في إطار العنصرية التي تكلمنا عنها سالفًا.⁽¹⁾

أما عن المعهد العالي للعلوم الإسلامية، فإذا نظرنا إلى مواده ومقرراته نسجل مايلي:

* يقدم المعهد تعليمًا بسيطًا في ما يخص اللغة العربية المقدمة وكذا المواد الإسلامية المقررة، لأنها تدرس بلغة بسيطة وبالفرنسية في البعض الآخر، كما نسجل القلة في عدد المدرسين الجزائريين، مقارنة بالفرنسيين كما تطغوا الفرنسية على اغلب البرامج.

* يدرس في المعهد سبع مواد يقدمها مدرسون جزائريون باللغة العربية، بمتحن الطلبة في أربع منها وهي: اللغة والأدب العربي والقانون الإسلامي وتفسير القرآن وتترك المواد الأخرى من حديث وبلاغة وبيان ومنطق بالرغم من أهميتها.⁽²⁾

¹ - ابو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص: 398-400.

² - يحي بوعزيز: سياسة التسلط... المرجع السابق، ص 184.

خاتمة الفصل:

هي مرحلة أخيرة من عمر الإستعمار الفرنسي في الجزائر، شهدت أحداث جديدة ميزها خروج العالم وفرنسا تحديدا من حرب عالمية ثانية تركت بالغ الأثر على كل سكان المعمورة، توصلنا في هذا الفصل الأخير من الدراسة إلى مجموعة من النتائج نوردتها في الآتي:

- صدور أمرية 1944 من قبل الجنرال "شارل ديغول" والمتضمنة إصلاحات جديدة قدمتها الإدارة الفرنسية إلى الجزائريين نظير مشاركتهم في الحرب العالمية الثانية وهزيمة النازية، مفادها انشاء 20.000 فصل دراسي في فترة عشرين سنة موجهة إلى أكثر من مليون طفل جزائري وصلوا سن الدراسة.
- بناء عدد معتبر من الثانويات في كل أقاليم الجزائر لتغطية أعداد التلاميذ المنتقلين من الابتدائي وتحويل المدارس الإسلامية الثلاثة إلى ثانويات فرنسية إسلامية. لكنها لم ترق إلى مستوى الإصلاحات المزعومة.
- بقاء التعليم العالي ممثلا في جامعة الجزائر حكرأعلى أبناء الأوربيين حتى نهاية الحرب العالمية الثانية إذ التحق بعض الطلبة الجزائريين الى هذه الجامعة.
- محاولة توجيه الجزائريين إلى تعليم مهني بسيط يخدم الإستعمار و الكولون وتأسيس المعاهد الفلاحية والزراعية التي ظلت هي الأخرى للأوربيين دون منح الكفاءة لأبناء الجزائريين.
- نهاية فكرة المدارس الإسلامية الثلاثة بالرغم من تأسيس المعهد الفرنسي للدراسات الإسلامية بحلول عام 1951 وحولت إلى ثانويات فرنسية إسلامية. لم تقدم إلا تعليما هزيبا وضعيفا.

الخاتمة

خاتمة:

بعد دراستنا لموضوع التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر من 1850 حتى الاستقلال، وصلنا إلى نتائج كثيرة ومتنوعة، حاولنا من خلالها الإجابة عن الإشكالية المطروحة في المقدمة وعناصرها المتفرعة عنها، وهي كالآتي:

1- انتشار التعليم في الجزائر ما قبل الحملة العسكرية الفرنسية، باعتراف الساسة الفرنسيون أنفسهم، حيث انبهروا بحجم المؤسسات التعليمية التي وجدوها في الجزائر.

2- القضاء على المؤسسات التعليمية الموروثة عن الحكم العثماني في الجزائر، بمصادرة الأوقاف وهي الخطوة الأولى التي انتهجتها إدارة الاستعمار باعتبارها الممول الفعلي للحركة التعليمية السائدة في الجزائر، إذ كان ذلك مبكراً أي في سنة 1831 بسطت فرنسا سلطتها على المدارس والمساجد وأضحت تسيورها وتعبث بها.

3- الانطلاقة المحتشمة والبطيئة لحركة التعليم الأهلي في الفترة (1830/1850) لانشغال فرنسا الاستعمارية بإخمادها لأعنف المقاومات الشعبية في الشرق والغرب ومحاولة بسط سيادتها على كامل ربوع الجزائر وانتهاجها لسياسة عسكرية عنيفة في حق المجتمع الجزائري، ثم إخضاعها للحياة الاجتماعية والثقافية والدينية حتى تكتمل السيطرة النهائية، فأحدثت بذلك القطيعة التامة بين الطلبة والمدرسة ولم تسمح سوى لفئة قليلة جداً من أبناء القياد والعائلات المعاونة الالتحاق بمدارسها حتى تضمن الانتشار الأوسع للجهل والامية وكذا توظيفهم في الشؤون المتعلقة بالأهالي كالقضاء والإفتاء والإمامة حرصاً على معتقد الشعب الجزائري بمحاولة تغليظه وتوجيهه نحو قبول الأمر الواقع.

4- وضع برنامج كامل وتام، من خلال تسطير الأهداف العريضة للسياسة التعليمية الجديدة المنتهجة بعد السيطرة على البلاد بالتضييق الكبير على التعليم الموروث، إذ بدأت محاصرته بترسانة قانونية رهيبية أصدرت لأجل هذه الغاية ومحاربة رواده ومؤسساته، بداية بالمساجد إلى المدارس الحرة

إلى الزوايا التعليمية إلى التدخل الصارخ في برامجها ومقرراتها ثم مراقبتها باستمرار وتواصل حتى يتم القضاء على الأجيال المتعلمة وطردها فتهجيرها والتضييق عليها وهي سياسة استعمارية هادفة، وافية، ومقصودة.

5- التأسيس لحقبة استعمارية جديدة بدأت تظهر عواملها في السنوات الأولى من الاستعمار بميلاد فئة من المجتمع الجزائري أطلق عليها العائلات المتنفذة وهي الفئة التي شملها هذا النوع من التعليم العنصري لأجل خلق التفرقة بين أبناء الوطن الواحد وبالتالي تكوينها وتدريبها للعب دور الوسيط بين الإدارة الاستعمارية والأهالي وهو ما تجلّى في سياسة المكاتب العربية التي تم إنشاؤها لهذا الغرض بداية من منتصف ثلاثينات القرن التاسع عشر. لأداء مهمة الاستيطان بشكل تدريجي.

6- العمل على وضع تعليم سطحي بسيط طيلة عشرين سنة الأولى من الاستعمار لا يعدوا أنيفوق سنوات المدرسة الابتدائية حتى أبناء هذه العائلات المتعاونة، في ظل غياب تام لسياسة تعليمية واضحة، أرادت من خلاله الإدارة الفرنسية أن يقوم على أنقاض التعليم الموروث سابقا، محاولةً بذلك استغلال الوضع القائم لتوجيه أنظار الناشئة الجديدة نحو مدينة دخيلة وحضارة أخرى قد تنسيه ثوابته وهويته.

7- الإعلان عن ميلاد مرحلة جديدة بحلول سنة 1850 بعد القضاء على اعنف مقاومات الجزائر ووصول العسكريين للحكم في فرنسا حيث أطلقت الإمبراطورية حزمة من المراسيم والقوانين المؤسسة والمهيكلية لنمط التعليم الجديد الذي سيتبع في المستعمرة الجديدة بتأسيس المدارس العربية الفرنسية، التي ستحاول أن تلعب الدور التاريخي للتعليم العربي الإسلامي.

8- محاولة فرنسا الاستعمارية خلق بديل جديد أرادت من خلاله تعويض النقص الكبير الذي عانت منه المؤسسات الاجتماعية المسيرة لأحوال المجتمع وهو تأسيسها لما يسمى بالمدارس الشرعية الثلاثة لأجل تكوين موظفين يشغلون مناصب الإفتاء والإمامة والقضاء تحت المظلة الفرنسية

وسطرت لها أهداف خاصة وبرامج ومقررات وضعت خصيصاً لتقديم تعليم بسيط يوفر لها نفس جديد.

9- إطلاق الإدارة الفرنسية لحزمة جديدة من المراسيم المنظمة والمهيكلية للتعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر بحلول ثورة المقراني عام 1871 حيث تم فصل السلطة المدنية عن العسكرية فقوت بذلك شوكة المستوطنين وازداد الضغط الذي أصبح رهيباً هذه المرة على الجزائريين الذين منعوا تماماً من التحاق أبنائهم إلى التعليم الثانوي فما بالك بالتعليم العالي الذي كان محرماً تماماً ولن يصل إليه إلا أبناء المستوطنين الذين توفر لهم تعليم راق ومتخصص ينافس الموجود في فرنسا.

10- ميلاد مرحلة جديدة في تاريخ الحركة التعليمية في الجزائر بعد صدور مرسوم 1883 الذي رسم مجانية التعليم والزاميته، إذ شهدت هذه الفترة مجيء "جول فيري" وزير التعليم العمومي الفرنسي الذي أراد تطبيق إستراتيجية جديدة في بناء وعاء تعليمي من نوع آخر.

11- في نهاية القرن التاسع عشر استطاع المستوطنون أن يحققوا أهدافهم الخفية بتحويل التعليم الموجود حتى وان تميز بالقلة والسطحية إلى أعمال يدوية مهنية تستعمل لصالح أشغال الفلاحة الخاصة بهم.

12- في نهاية القرن التاسع عشر استطاع المستوطنون أن يحققوا أهدافهم الخفية بتحويل التعليم الموجود حتى وان تميز بالقلة والسطحية إلى أعمال يدوية مهنية تستعمل لصالحهم.

13- تعرض التعليم الأهلي لهجمة شرسة أخرى في بدايات القرن العشرين نفذها الحاكم العام

"جونار" « Jonnar » والتي قلصت هياكل هذا التعليم بالرغم من الإحصائيات والأرقام الواهية.

14- نجاح المدرسة الفرنسية بعد الحرب العالمية الأولى في اصطيد فئة قليلة من المجتمع الجزائري وتكوين نخبة اندماجية مفرنسة ستقدم دوراً سلبياً في مسار الحركة الوطنية الجزائرية فيما بعد.

15-الرفض التام للمجتمع الجزائري لهذه الفئة المهجينة التي قبلت الاندماج والتجنس وذابت في غياهب المدنية الفرنسية،فضيحت انتماءها الأصلي وفشلت في كسب الولاء والثقة الفرنسية،فعدت فئة ثالثة أصبحت تشكل الواقع الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي.

16-فشل الإصلاحات الفرنسية وعقمها بعد الحرب العالمية الثانية في إطار ما يسمى بأمرية "ديغول" التي كانت محيية لأمال الجزائريين خاصة فيما يخص مرحلة التعليم العالي وانتشار التعليم العربي الموازي من قبل جمعية العلماء الإصلاحية ومدارس ثورة التحرير فيما بعد والإرساليات الطلابية إلى الخارج.

17-ختاماً يمكن القول أن السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر فشلت فشلاً ذريعاً على مدار أكثر من قرن لغياب رؤية واضحة وشاملة وسياسة مقصودة في آن واحد.

الملاحق

ملاحق:

الملحق: (1) دار المعلمين "بوزريعة"



المرجع:

جيلالي صاري: بروز النخبة الجزائرية (1950/1850) ترجمة عمر المعراجي، طبعة خاصة، م.و.أ.ن.ش، الجزائر 2008. ص 145.

الملحق (2) محمد بن ابي شنب.



المرجع جيلالي صاري: المرجع السابق. ص 67.

الملحق: (3) مرسوم 30 سبتمبر 1850.

DECRET

Au nom du Peuple Français.

Le président de la République, Vu les propositions du Gouverneur-Général de l'Algérie et l'avis du Conseil Du gouvernement, en date du 24 janvier 1850, sur un projet d'organisation de l'instruction publique musulmane;

Vu les arrêtés du Président du Conseil, chargé du Pouvoir exécutif, des 16 Août et 9 décembre 1848; Considérant qu'il importe de placer sous la surveillance et la direction du Gouvernement tous les établissements d'instruction publique musulmane. Considérant la décadence des écoles où étaient consignées les hautes études Musulmanes qui peuvent seules fournir des candidats pour les fonctions de muphti, De cadî, d'imam, de khodja, et autres emplois réservés aux Indigènes dans les Services administratifs de l'Algérie : Sur la proposition du Ministre de la guerre,

Décète:

CHAPITRE 1er

Instruction primaire et secondaire

Art. 1er- L'instruction primaire et l'instruction secondaire, données dans les Écoles musulmanes, sont placées sous la haute surveillance du Gouverneur-Général, qui s'exercera par l'intermédiaire des Préfets dans les territoires civils, et dans les territoires militaires par les Généraux commandants les divisions. Il n'est apporté aucune modification aux conditions d'existence et au mode d'instruction actuellement en usage.

Art. 2- Un fonds annuel, inscrit au budget de l'Etat, sera affecté à accorder Des gratifications aux instituteurs qui se seront fait remarquer, et aux élèves les plus méritants.

Le Gouverneur- général de l'Algérie arrêtera la répartition de ces fonds, sur

Les propositions qui lui seront faites par les Généraux commandant les divisions et les préfets. Il en rendra compte au Ministre de la guerre.

CHAPITRE II

Ecoles supérieures musulmanes

Art. 3- Il est institué aux frais de l'Etat, dans chacune des villes de Médéah, Tlemsen et Constantine, une école supérieure (*medressa*) pour former des candidats aux emplois dépendants des services de culte, de la justice, de l'instruction dépendants des services de culte, de la justice, de l'instruction publique indigène et des bureaux arabes.

Art. 4- l'enseignement des écoles supérieures est gratuit, et comprend:

Un cours de grammaire et de littérature (*nahhon*)

Un cours de droit et de jurisprudence (*fak*);

Un cours de théologie (*touhhid*).

Art. 5- le personnel de chaque école se compose de:

Un directeur, chargé en même temps de faire un des trois cours, auquel il
Sera alloué un traitement de2.100 Fr
Deux professeurs au traitement de..... 1.500 Fr3.000
Un oukaf (homme de peine) au traitement de.....600

Art. 6- Les directeurs et professeurs des écoles supérieures musulmanes sont
Nommés par le Ministre de la guerre, sur la proposition du Gouverneur-Général de
L'Algérie.

L'oukaf est nommé par le général commandant la division, sur la désignation
Du directeur de l'école.

Art. 7- Chaque école supérieure sera installée auprès d'une des mosquées
Auxquelles étaient attenantes des medersas.

Une subvention de 100 Fr. par an sera accordée aux dix élèves les plus Méritants de
chaque école; il leur sera également donné un logement dans l'établissement, si les
dispositions du local le permettent.

Art. 8- Les écoles supérieures sont placées sous la surveillance d'officiers Généraux
commandant les provinces. Cette surveillance s'exerce par l'intermédiaire
Des bureaux arabes.

Art. 9- Les écoles supérieures sont inspectées, chaque année, par un des
Officiers français attachés aux affaires arabes, et par un des professeurs aux chaires
Publiques d'arabe désigné par le gouverneur général de l'Algérie.

Art. 10- Les dépenses résultant de la création des écoles supérieures Musulmanes sont à la
charge du budget de la guerre.

Art. 11- Le ministre de la guerre est chargé de l'exécution du présent décret.

Fait à l'Elysée National, le 30 septembre 1850.

Signé: *L-N BONAPARTE*

Le Ministre de la Guerre.

D'HAUTPOUL.

Vu pour être promulgué en Algérie:

Alger, le 3 octobre 1850

Le Gouverneur Général de l'Algérie.

Singé: *V. CHARON.*

الملحق (4) قرار 16 فيفري 1876.

Arrêté du 16 Février 1876

Le Gouverneur général civil de l'Algérie;

Vu le décret du 30 septembre 1850;

Vu le décret du 15 août 1875, organisant l'Instruction publique en Algérie et Autorisant le Gouverneur général à procéder par arrêtés pour la constitution des Ecoles musulmanes de tout ordre,

Arrête :

ART. 1er. _ Dans les écoles musulmanes d'enseignement supérieur (Médersas) D'Alger, de Tlemcen et de Constantine, l'autorité du Gouverneur général sera Exercée par l'intermédiaire:

1° Des Généraux commandant les Divisions, pour la surveillance politique et Administrative;

2° Du Recteur de l'Académie, en ce qui concerne la direction des études et la Discipline intérieure de ces établissements.

ART. 2 _ Les écoles musulmanes d'enseignement supérieur ont pour but de former Des candidats aux emplois du Culte musulman, de la Justice et de l'Instruction Publique musulmanes, ainsi qu'aux emplois qui peuvent, en vertu du décret du 21 avril 1866, être occupés par des Musulmans non naturalisés.

ART. 3 _ Chaque année, le Gouverneur général détermine, d'après les besoins Présusés des divers services, et les limites des ressources affectées à ces Etablissements, le nombre d'élèves à recevoir dans les écoles musulmanes D'enseignement supérieur. Aucun candidat n'est admis, s'il ne justifie, devant une Commission D'examen, nommée à cet effet par le Gouverneur général, sur la proposition du Recteur, qu'il possède les connaissances nécessaires pour suivre les cours de 1ère Année; il devra justifier, en outre, qu'il est musulman indigène, âgé de 18 ans au Moins et de 23 ans au plus. Le programme de l'examen est arrêté par le Gouverneur général, sur la Proposition du Recteur de l'Académie. Pour s'y présenter, le candidat devra se faire Inscrire, un mois à l'avance, dans les bureaux du Recteur de l'Académie, pour la Médersa d'Alger, et dans ceux de l'Inspection académique, pour les deux autres Médersa; il aura à justifier de son indigénat, de son âge et de sa moralité. Une liste, par ordre de mérite, sera dressée par la Commission d'examen, et Le Gouverneur général désignera sur cette liste les élèves admis.

ART. 4 _ La durée des cours, dans les écoles musulmanes d'enseignement Supérieur, est fixée à trois ans. Ces cours embrassent

1° L'enseignement de la langue française, de l'histoire, de la géographie, de L'arithmétique, des principes du droit français (droit civil, droit pénal, droit Administratif);

2° L'enseignement de la langue et de la littérature arabes, de la théologie et Du droit musulman.

ART. 5 _ Un règlement, préparé par le Recteur de l'Académie, et approuvé par le Gouverneur général, fixe, pour chaque année scolaire la distribution des matières enseigner.

Nul n'est admis aux cours de la 2^e et successivement de la 3^e année, s'il ne Justifie devant la Commission dont il est parlé à l'article 3, qu'il est apte à suivre le Cours supérieur. Néanmoins, les indigènes pourvus du diplôme d'études pour l'enseignement spécial, pourront être admis à suivre les cours -de 2^e année.

ART. 6 _ A la fin de la troisième année, un examen de sortie détermine le numéro De classement définitif des élèves ayant terminé leurs études. Ceux-ci font Connaître, parmi les emplois disponibles qui leur sont attribués, celui dont ils font Choix, et, en cas de non vacance actuelle, la nature de celui qu'ils désirent obtenir, ACet effet, leur sont naturellement réservés, de préférence à tous autres musulmans, Ceux des emplois énumérés dans la première partie de l'art. 2 du présent arrêté, qui Viendrait à vaquer.

Il est fait droit à ces demandes suivant l'ordre du numéro de classement. Les élèves maintenus en dehors du classement perdent tout droit à un emploi.

ART. 7 _ Les élèves des Médreças, sont entretenus sur les fonds des centimes Additionnels, ajoutés aux impôts arabes, perçus sur les indigènes des deux Territoires. Les départements, les communes et les chefs de famille, peuvent prendre à Leur charge la pension d'élèves indigènes, sous la réserve par ceux-ci de justifier des Conditions d'âge, d'aptitude et de moralité exigées par l'art. 3.

ART. 8 _ Les Ecoles supérieures musulmanes sont soumises à des inspections. L'inspecteur, ainsi que les professeurs, tant français qu'indigènes, sont nommés par Le Gouverneur général; l'inspecteur est placé sous les ordres du recteur, auquel il Adresse ses rapports.

Les agents inférieurs sont nommés par le général commandant la Division, Sur la désignation du directeur de l'école.

ART. 9 _ Jusqu'à ce qu'il en soit autrement décidé, les traitements de l'inspecteur et Du personnel des écoles supérieures musulmanes, demeurent ainsi fixés:

Inspecteur des écoles supérieures musulmanes	8.000 FR.
Frais de tournées	1.000
1 ^{re} classe	3.000
Directeurs 2 ^e c lasse	2.700
3 ^e classe	2.400
1 ^{re} classe	1.800
Professeurs 2 ^e c lasse	1.500
3 ^e classe	1.200
1 ^{re} classe	1.000
Oukkaf.... 2 ^e c lasse	800
3 ^e classe	600

ART. 10 _ Il est pourvu aux dépenses des écoles musulmanes d'enseignement

Supérieur, à l'aide tant des crédits ouverts au budget de l'Algérie, que de ceux inscrits au budget du fond commun général et des fonds communs divisionnaires Des communes indigènes de l'Algérie.

ART. 11 _ Des externes libres, quelle que soit leur nationalité, agréés par le recteur De l'Académie, pourront être admis à suivre les cours, sous les conditions qui seront Déterminées par des règlements ultérieurs.

ART. 12 _ Toutes dispositions contraires au présent arrêté, sont rapportées.

ART. 13 _ Les généraux commandant les Divisions et le recteur de l'Académie, Sont chargés de l'exécution du présent arrêté.

Fait à Alger, le 16 février

الملحق (5) قانون فارني: 1873/07/26

LOI DU 26 JUILLET 1873**RELATIVE A L'ÉTABLISSEMENT ET A LA CONSERVATION
DE LA PROPRIÉTÉ EN ALGÉRIE****TITRE PREMIER****DISPOSITIONS GÉNÉRALES**

Art. 1.—L'établissement de la propriété Immobilière en Algérie, la conservation et la transmission contractuelle des immeubles et droits Immobiliers, quels qu'ils soient les Propriétaires, sont régis par le droit français. En conséquence, sont abolis tous droits réels Servitudes ou causes de résolution quelconques, fondés sur le droit musulman ou kabyle, Qui

Seraient contraires à la loi française. Le droit réel de chef à ni pourra être opposé aux Acquéreurs qu'à titre de retrait successoral, par les parents successibles, d'après le droit Musulman et sous les conditions prescrites par l'article 841 du Code civil.

Art. 2 (1). —Les lois françaises, et notamment celle du 23 mars 1855, sur la transcription, Seront appliquées aux transactions immobilières : 1° A partir de la Promulgation de la présente loi, pour les conventions qui interviendront entre individus Régis par des statuts différents ;

2° A partir de la même époque, pour les conventions entre Musulmans, relatives à des Immeubles situés dans les territoires qui ont été soumis à l'application de l'ordonnance du 21 juillet 1846, et dans ceux où la propriété a été constituée par voie de cantonnement ; 3° Au fur et à mesure de la délivrance des titres de propriété, pour les conventions relatives aux immeubles désignés à l'article 3 ci-après.

Art. 3 (1). —Dans les territoires où la propriété collective aura été constatée Au profit d'une tribu ou d'une fraction de tribu, par application de l'article 15 de la loi du 22 avril 1863, ou de la présente loi, la propriété individuelle Sera constituée par l'attribution d'un ou plusieurs lots de terre aux ayants droit et par la Délivrance de titres opérée conformément à l'article 20 ci-après. La propriété du sol ne sera attribuée aux membres de la tribu que dans la mesure des surfaces dont chaque ayant droit a la jouissance effective ; le surplus appartiendra, soit au douar comme bien communal, soit à l'Etat Comme bien vacant ou en déshérence, par application de l'article 4 de la loi du 16 juin 1851,

Lorsque l'existence de droits de propriété privée, non constatés par acte notarié ou Administratif, aura été reconnue par application du titre II ci-après, des titres nouveaux Seront délivrés aux propriétaires.

Tous les titres délivrés formeront, après leur transcription, le point de départ unique de la Propriété, à l'exclusion de tous autres.

Art. 4. — Le maintien de l'indivision est subordonné aux dispositions de l'article 815 du Code civil.

Art. 5. — L'enregistrement des titres délivrés en exécution de l'art. 3 aura lieu au droit fixeDe 1 franc.

La transcription sera opérée sans autres frais que le salaire du conservateur.

Art. 6. — Il sera, en exécution de l'art. 3 de la présente loi, et sous la réserve expresse duRecours devant les tribunaux, stipulé à l'art. 18 ci-après, procédé administrativement laReconnaissance de la propriété privée et à sa constitution partout où le sol est possédé à titreCollectif par les membres d'une tribu ou d'un douar.

Art. 7. — Il n'est point dérogé par la présente loi au statut personnel, ni aux règles de Succession des indigènes entre eux

Eyssautier, L.A, Le statut réel français en Algérie, ou légalisation et juris prudence sur la propriété, depuis 1830 jusqu'à la loi du 28 Avril 1887, Alger, 1887, P, 207.

الملحق (6) أمرية دوقول (7 مارس 1944)

المادة رقم 1: يتمتع الفرنسيون المسلمون في الجزائر بجميع حقوقهم ويخضعون لجميع واجبات الفرنسيين من غير المسلمين.

المادة رقم 2: يطبق القانون دون تمييز على الفرنسيين المسلمين والفرنسيين من غير المسلمين. وتلغى جميع التدابير الاستثنائية المطبقة على الفرنسيين المسلمين.

لكن تبقى قواعد القانون الإسلامي والتقاليد البربرية فيما يخص قانون الأحوال الشخصية، تحكم الفرنسيين المسلمين الذين لم يعلنوا صراحة عن إرادتهم في الاحتكام الكلي للقانون الفرنسي. وتبقى الاعتراضات في هذا الشأن خاضعة للمحاكم التي تعرفها حاليا.

ويبقى النظام العقاري محددًا من قبل القانون المعمول به.

المادة رقم 3: يعتبر مواطنين فرنسيين بصفة شخصية، ويسجلون على القوائم الانتخابية نفسها مع المواطنين من غير المسلمين. ويشاركون في الاقتراعات نفسها، الفرنسيون المسلمون الذكور البالغون من العمر 21 سنة وينتمون إلى الفئات التالية:

- الضباط القدماء.

- الحاصلين على الشهادات التالية: شهادة التعليم العالي، باكالوريا التعليم الثانوي، الشهادة العليا، الشهادة الابتدائية، شهادة الدراسات الابتدائية العليا، شهادة نهاية الدراسة الثانوية، شهادة المدارس التقليدية، شهادة التخرج من مدرسة وطنية كبرى أو من مدرسة وطنية للتعليم المهني الصناعي أو الزراعي أو التجاري، شهادة في اللغة العربية أو البربرية.

- موظفي أو أعوان الدولة، أو المقاطعات، أو البلديات أو المصالح العمومية أو المنازل عنها، العاملين أو المتقاعدين والحاصلين على عمل دائم خاضع لنص تنظيمي، بشروط سوف تحدد بمرسوم.

- الأعضاء الحاليون والسابقون للغرف التجارية والفلاحية.
 - الباش آغوات، والآغوات والقياد الذين مارسوا وظائفهم مدة ثلاث سنوات على الأقل، والذين لم يكونوا من قبل محل إجراءات طرد.
 - الشخصيات الممارسة أو التي مارست عهديات مندوبين ماليين أو مستشارين محليين للبلديات كاملة الممارسة أو رئيس جماعة.
 - أعضاء صف الجزائر.
 - رفاق وسام المقاومة.
 - الحاصلين على وسام العمل والأعضاء الحاليين والقدامى للمجالس النقابية، للنقابات العمالية المشكلة بانتظام، بعد ثلاث سنوات من ممارسة وظيفتهم.
 - مستشاري المنظمات العمالية الحاليين والسابقين.
 - الوكلاء القانونيين.
 - الأعضاء الحاليين والسابقين لمجالس إدارة الهيئات (SIP) الحرفية والفلاحية؛
- المادة رقم 4: يمكن لباقي الفرنسيين المسلمين الحصول على المواطنة الفرنسية. وسوف يحدد المجلس الوطني التأسيسي شروط هذه الاستفادة وكيفيةاتها.
- ومنذ الآن يستفيد أولئك الذين يبلغون من بينهم 21 سنة من الذكور من تدابير مرسوم 9 فيفري 1919 ويسجلون في قوائم الهيئات الناخبة المؤهلة لانتخاب الممثلية الخاصة في المجالس المحلية والمجالس العامة والمفوضيات المالية المنصوص عليها في المرسوم المذكور.
- يقدر هذا التمثيل بالنسبة للمجالس العامة والمفوضيات المالية بنسبة 2/5 من التعداد العام لهذه المجالس.
- أما بالنسبة للمجالس المحلية، فسقدر كذلك بنسبة 2/5 إلا في حال ما إذا كانت النسبة بين السكان الفرنسيين المسلمين ومجموع السكان لا يصل إلى هذا العدد. فيكون التمثيل إذاً مناسباً لعدد السكان المسلمين.

الملحق (7) المدارس الأهلية

Extrait du "BULLETIN DE L'ENSEIGNEMENT DES INDIGÈNES" de l'Académie d'Alger

LES

ÉCOLES D'INDIGÈNES

DEVAN4

L'OPINION PUBLIQUE

PAR

P BERNARD

DIRECTEUR DE L'ÉCOLE NORMALE d'Alger

ALGER

ADOLPHE JOURDAN, LI B RA I R E- ÉD IT EU R

IMPRIMEUR -LIBRAIRE DE L'
ACADÉMIE

4, Place du Gouvernement, 4

1897

LES ÉCOLES D'INDIGÈNES DEVANT L'OPINION PUBLIQUE

Les écoles d'indigènes de l'Algérie sont peu connues. Bien que leur établissement et leur organisation aient été l'occasion de plusieurs discours parlementaires et d'un nombre considérable d'articles de revues ou de journaux, on peut dire pourtant qu'elles n'ont jamais fait l'objet d'une enquête approfondie, ni d'une étude large et précise. On n'a pas encore montré la question de l'enseignement des indigènes sous toutes ses faces, les écoles n'ont pas été vues dans leur vrai jour, le public les connaît mal et s'il les condamne, c'est de confiance et pour obéir à la mode. Notre ambition n'est point de convaincre un maître si difficile, ni de tracer une monographie complète des écoles d'indigènes de l'Algérie. Nous voudrions seulement, dans

Une étude rapide, mettre en relief des faits probants, sans cesse défigurés ou méconnus et répondre à des imputations dont la mauvaise foi de quelques-uns et la crédulité du plus grand nombre chargent nos méthodes et nos maîtres.

Il est constant que les Européens, établis en Algérie, ne se montrent pas favorables à l'instruction des Kabyles et des Arabes. Ils ont été si souvent victimes de déprédations et dévolus commis par les indigènes qu'ils en sont venus à manquer de clairvoyance et d'équité à leur égard. ; L'Arabe est

Foncièrement mauvais, il ne mérite pas qu'on s'intéresse à

—

Compagnons de Mizon, décoré de la Légion d'honneur, appris le français sur nos bancs, etc. Bref, nous croyons avoir rendu les indigènes qui ont passé par nos écoles, capables de participer activement au travail civilisateur de la France en ce pays, nous nous sommes efforcés de faire de chacun d'eux une personne morale, un membre utile à la colonie, un « fidèle aux lianes (1) » de la France. L'école d'indigènes telle qu'elle est organisée aujourd'hui n'est pas seulement un instrument de rénovation morale, elle est surtout « un instrument d'autorité et un moyen d'influence. La France manquerait à sa mission, a-t-on dit, si elle abandonnait l'œuvre des écoles d'indigènes. Nous croyons qu'elle manquerait encore à son intérêt. Intérêt politique de premier ordre car la diffusion de la langue française dans toute l'Algérie et en Tunisie nous donnera dans l'Islam une situation enviable; intérêt économique incontestable, car la langue et le commerce vont d'épauler et nous avons à gagner à notre clientèle non-seulement nos sujets algériens mais par eux leurs coreligionnaires défrichés régions de l'Afrique du centre. Il serait donc regrettable d'arrêter dans son essor une œuvre aujourd'hui sortie de la période des débuts et qui prospère. Que les publicistes de ce pays, que les colons,

regretta/e d'arrêter dans son essor une œuvre aujourd'hui sortie de la période des débuts et qui prospère. Que les publicistes de ce pays, que les colons

que les hommes politiques se rendent compte, par une étude attentive et consciencieuse de ce que nous voulons, de ce que nous faisons. L'opinion publique, mieux éclairée, ne peut manquer de nous être favorable. Forts de son concours, notre chemin débarrassé d'obstacles sans cesse renaissants,

Nous poursuivrons notre œuvre avec ardeur pour le grand Bien de l'Algérie et de la France.

P. BERNARD.

P.bernard : **les écoles d'indigènes, devant l'opinion publique**, A'lger, Adolphe Jourdan, libraire, éditeur ; 1897.

LEÇONS
DE
LECTURE ARABE

COMPRENANT

L'ALPHABET, LA LECTURE COURANTE,
LES NOMS DE NOMBRE ET CHIFFRES DES ARABES.

PAR A. CHERBONNEAU,

PROFESSEUR DE LANGUE ARABE À LA CHAIRE DE CONSTANTINE.



PARIS.
IMPRIMERIE NATIONALE.

A PARIS, CHEZ L. HACHETTE ET C^{ie},
RUE PIERRE-SARRAZIN N° 14,
ET CHEZ TOUS LES LIBRAIRES DE L'ALGÉRIE.
1852.

LEÇONS
DE
LECTURE ARABE.

ALPHABET.

Les Arabes écrivent de droite à gauche. Ils comptent vingt-huit lettres. Dans leur système d'écriture, toutes les lettres sont des consonnes. Pour représenter les voyelles, ils emploient des signes phonétiques appelés *motions*, qui se placent au-dessus ou au-dessous des consonnes.

TABLEAU DES LETTRES ISOLÉES.

ORDRE.	FIGURE.	NOM.	VALEUR.
1	ا	élif.	<i>e, 'a, 'e, 'i, 'o.</i>
2	ب	ba.	<i>b.</i>
3	ت	ta	<i>t.</i>
4	ث	ta.	<i>t, ç.</i>
5	ج	djim.	<i>dj.</i>
6	ح	hâ.	<i>h.</i>
7	خ	kha.	<i>k.</i>

6

LEÇONS DE LECTURE ARABE.

ORDRE.	FIGURE.	NOM.	VALEUR.
8	د	dal.	<i>d.</i>
9	ذ	dsal.	<i>z, d.</i>
10	ر	ra.	<i>r.</i>
11	ز	zein.	<i>z</i>
12	س	sin.	<i>s</i>
13	ش	chin.	<i>ch.</i>
14	ص	şád.	<i>ş.</i>
15	ض	ḍád.	<i>ḍ.</i>
16	ط	ṭá.	<i>ṭ.</i>
17	ظ	ẓá.	<i>ẓ.</i>
18	ع	aïn.	<i>ʿ</i>
19	غ	ṛaïn.	<i>r.</i>
20	ف	fa.	<i>f.</i>
21	ق	qáf.	<i>q.</i>
22	ك	kef.	<i>k.</i>
23	ل	lam.	<i>l.</i>
24	م	mim.	<i>m.</i>
25	ن	noun.	<i>n.</i>
26	هـ	ha.	<i>h.</i>
27	و	waw.	<i>ou, w.</i>
28	ى	ïa.	<i>y, î plus souvent.</i>

OBSERVATIONS SUR L'ALPHABET ARABE.

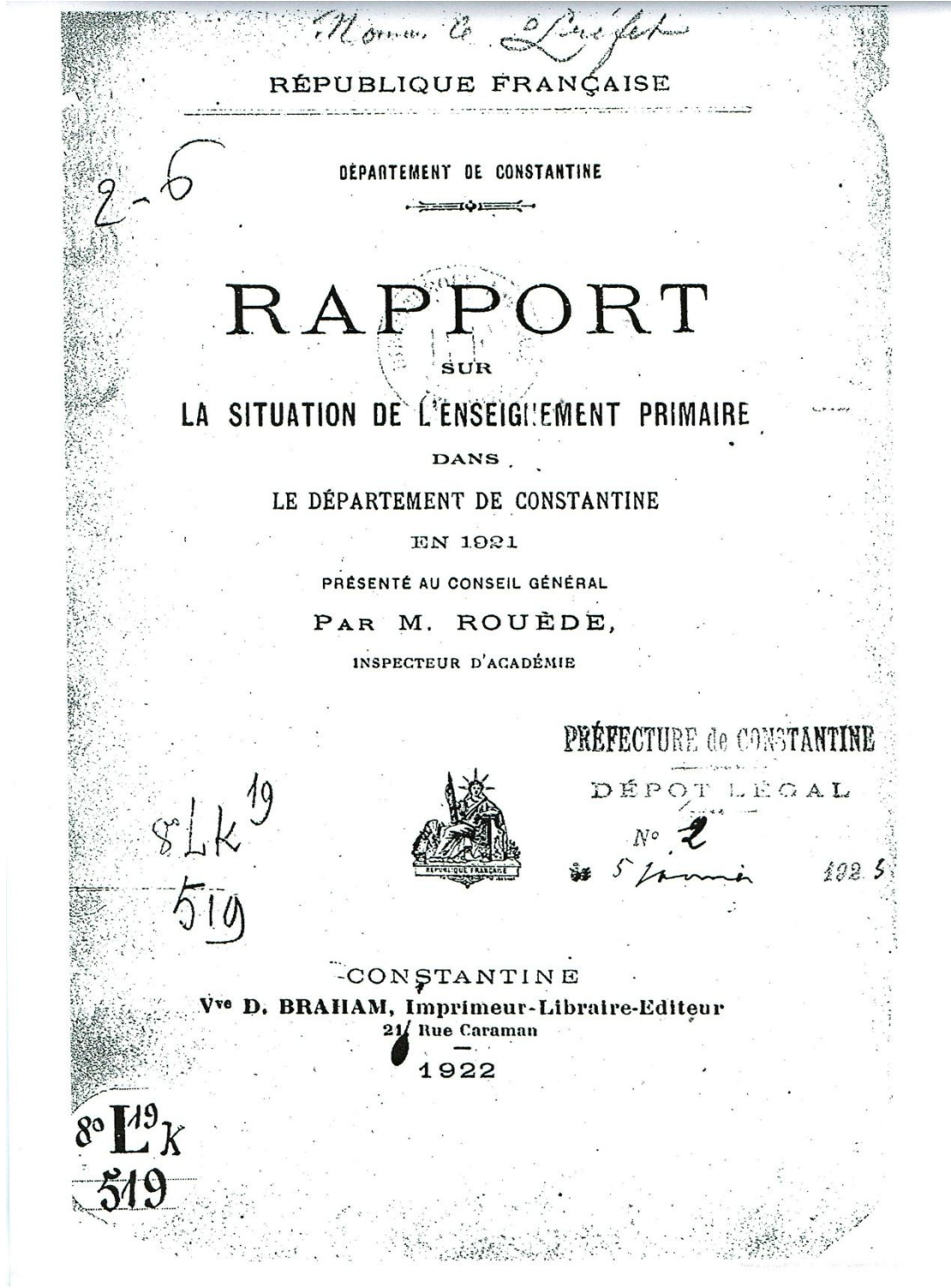
Plusieurs lettres ne diffèrent entre elles que par l'absence

Harvard College Library
July 1, 1904.
Bequest of
Georgina Lowell Putnam

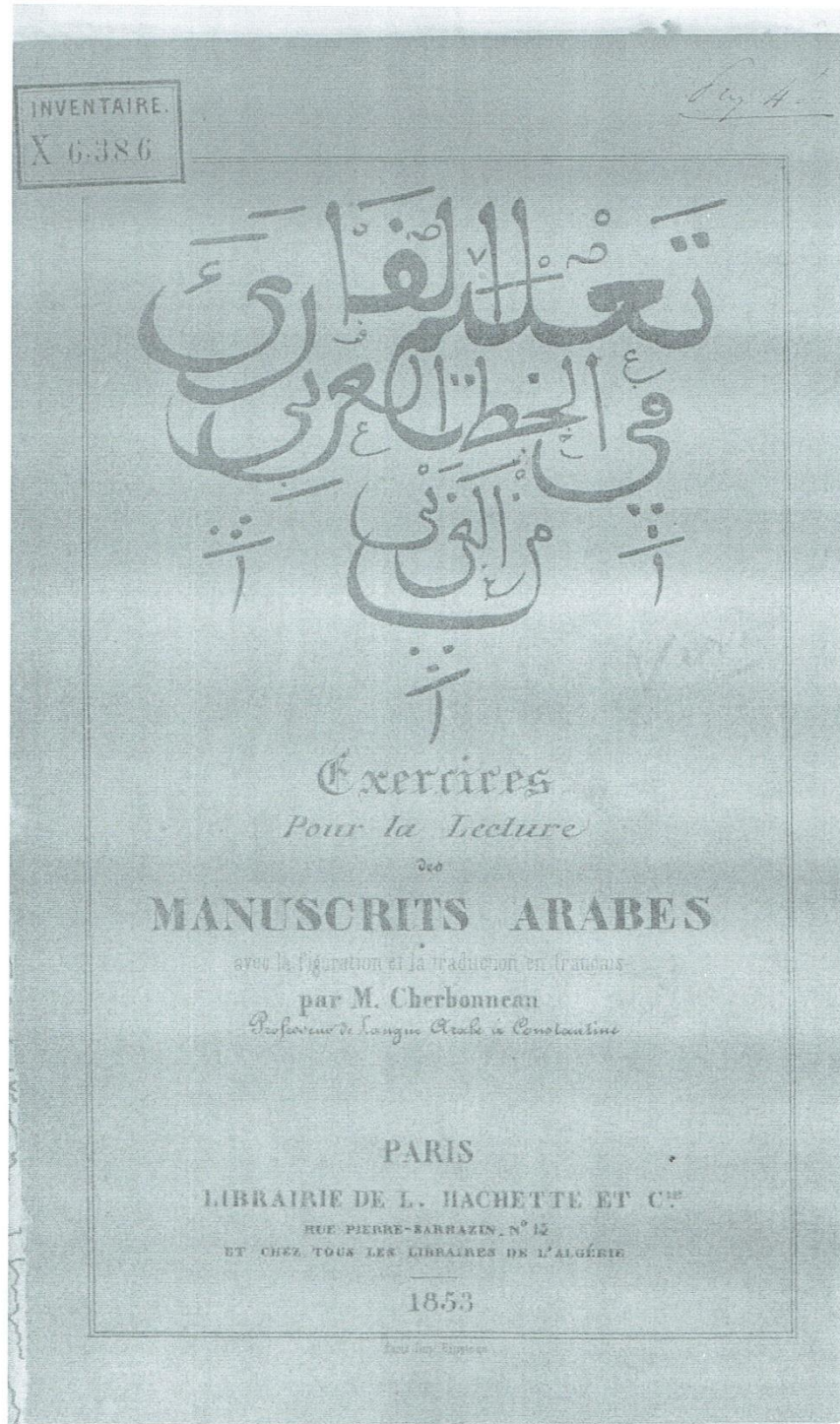
3234,69

Cherbonneau : **Leçon de Lecture Arabe**. Impremrie Nationale. Paris. 1852.

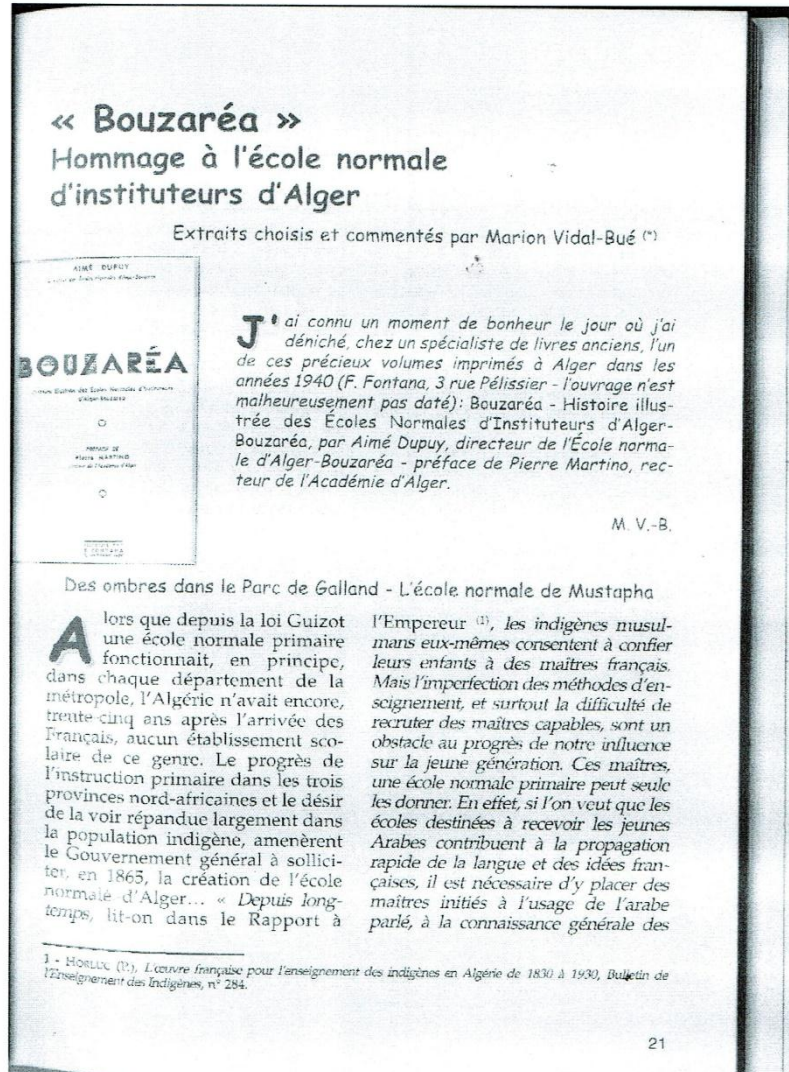
الملحق (9) تقرير حول التعليم في قسنطينة عام 1922.



الملحق (10) تمارين حول الكتابة.



الملحق (11) تقرير حول مدرسة بوزريعة.



mœurs, et capables d'adapter leurs méthodes aux habitudes intellectuelles des indigènes. Or, sans une préparation spéciale, il est évident que les instituteurs demeureront étrangers à ces connaissances et aux procédés qu'il convient d'employer pour rendre leur enseignement profitable à tous les enfants de la colonie. Ces considérations nous ont conduits à proposer à Votre Majesté la création d'une école normale d'instituteurs pour les Européens et les indigènes ».

[...] Fondée par décret impérial en date du 4 mars 1865 et arrêté ministériel du 3 août de la même année, c'est dans ce « site riant », [Mustapha Supérieur] aujourd'hui occupé par le Musée des Antiquités et le Parc de Galland, que s'installa la première école normale d'instituteurs de l'Algérie. Elle utilisa d'abord une « vieille maison mauresque » [...] à laquelle furent greffées certaines constructions annexes appropriées à leur destination spéciale.

Le nouvel établissement commençait à fonctionner dès le 16 janvier suivant, poursuit l'auteur, qui nous montre une photo de la première équipe, comprenant outre le directeur, les professeurs et les maîtres adjoints, deux « aumôniers » de l'école (mixte au point de vue reli-

gieux), le chanoine de la cathédrale et le taleb de la grande mosquée. Trente élèves des trois promotions de 1866 étaient naturellement en uniforme: tunique en drap bleu foncé avec liserés bleu clair, palmes en soie blanche aux collets de la tunique, cravate noire, « *chéchia* » ou casquette en drap bleu foncé. Les deux promotions de seconde et de troisième années avaient été choisies dans les « *divisions correspondantes* » des six départements du Midi, pour « *asseoir dès l'origine les traditions des écoles normales de France* ». Seule la première année fut recrutée dans la colonie, après un concours auquel se présentèrent trente-six candidats, dont quatorze Européens et vingt-deux indigènes. D'après l'arrêté du 3 août, l'élément indigène devait, en effet, figurer dans la proportion d'un élève musulman pour deux Européens, de sorte que sur trente élèves qui forment le contingent total de l'école, il y aurait dû y avoir dix indigènes.

La première année, les résultats des élèves furent médiocres, et durant plusieurs années encore, on dut faire appel à la jeunesse de France pour assurer un recrutement sérieux d'élèves maîtres et éviter la décadence des études à l'école normale d'Alger.



M. Leduc, le personnel et les élèves de 1866 (coll. part.).

Les études en 1866

D'après l'article premier du règlement, l'enseignement comprenait alors obligatoirement: l'instruction morale et religieuse, la pédagogie, l'écriture, la lecture et la récitation, la langue française, l'arithmétique, le calcul, le système métrique, des notions d'algèbre, de géométrie, le dessin, l'histoire, la géographie, des notions élémentaires de mécanique et d'industrie, de physique, chimie, histoire naturelle, d'agriculture et horticulture, d'administration et d'état civil, le chant, l'orgue, la gymnastique et l'hygiène. En outre, en 1876, le ministre de l'Instruction publique autorise le recteur d'Alger à faire donner aux élèves maîtres des « *leçons pratiques de télégraphie* ». Notons que dans le programme de

1865 calqué sur celui des écoles normales de France, ne figurait pas l'enseignement de l'arabe. Il y fut cependant tout de suite introduit et, dans son compte rendu de 1868, le directeur insiste sur la part faite à l'école, dans cet enseignement, à la conversation, et ajoute: « *il serait à désirer que la connaissance de l'arabe comptât pour une part plus importante tant au point de vue scolaire qu'au point de vue politique* ». « *Il faudrait, lit-on dans un autre rapport directeur de 1869, apprendre l'idiome arabe à la jeunesse européenne de nos écoles tout en enseignant le français aux écoliers indigènes* ». Sages recommandations [commentait M. Dupuy], et qui n'ont rien perdu de leur valeur.

La journée bien remplie d'un élève maître de Mustapha

À 4h30, été comme hiver, le réveil sonne; sous la surveillance du maître de service [...], chaque élève fait sa toilette, puis son lit; à 4h50, c'est la descente en étude, « *en silence et en ordre* », puis, dans chaque étude, celle des chrétiens et celle des musulmans, on récite la prière. Après quoi, commence la préparation des classes du matin qui se poursuit, « *dans le silence le plus rigoureux* », jusqu'à 7h30. Une heure est prévue pour le petit-déjeuner, les services « *d'appropriation* » confiés aux élèves et la récréation. À 8h30, le réglementaire sonne l'entrée en classe [...].

Les classes du matin durent quatre heures, sans interruptions autres

que les changements de cours, lesquels doivent se faire rapidement et en silence. À 12h30, la cloche annonce le dîner; les élèves se rendent au réfectoire en silence et sur deux rangs. Le silence est de rigueur pendant le repas qui dure « *de 18 à 20 minutes* » [M. Dupuy précise que le règlement intérieur de 1884 assouplira la règle en demandant que les élèves maîtres « *s'abstiennent d'y élever la voix* » et de « *s'interpeller d'une table à l'autre* »].

Le menu comporte réglementairement un potage gras ou maigre, un plat de viande et légumes (bouilli de bœuf) ou de poisson et du fromage ou des fruits (figues, oranges, dattes ou noix). Après le repas c'est

Dossier Enseignement /



Élèves du cours normal
(coll. part.).

la « récréation » où « les rires bruyants, les clameurs, les chants de toute nature sont prohibés. Une certaine modération doit toujours présider aux conversations et aux jeux divers auxquels peuvent se

livrer les élèves dans les récréations ».

Du reste, au cours de cette heure qui précède la rentrée des études et classes de l'après-midi (13h30), les élèves peuvent être employés à des travaux de jardinage ou à des exercices de chant d'ensemble.

Deux heures sont maintenant utilisées pour la préparation des classes de l'après-midi. De 15h30 à 18h30, ces classes vont se succéder avec des cours parfois très ardu, comme les mathématiques, jusqu'au souper qui dure un quart d'heure environ et comporte un menu *ne varietur*: rôti de veau et purée, salade ou fromage (dimanche, mardi et jeudi); haricots au jus, fromage ou figues ou dattes (lundi); saucisses au riz, figues ou oranges (mercredi); riz et pruneaux (vendredi); œuf en sauce, fromage (samedi). Après le souper, récréation, et comme à celle de midi, « on peut causer et s'amuser avec

modération et convenance ». D'ailleurs, « le plus généralement », au lieu de récréation, les élèves sont employés à des travaux d'horticulture ou à des exercices de chant orphéonique.

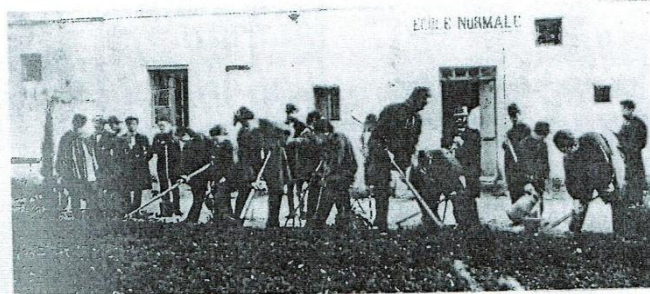
Une heure seulement a séparé les classes de l'après-midi de la reprise des études du soir qui vont durer de 19h30 à 21h30; sur deux rangs, en silence, voici les élèves de nouveau dans leur salle d'études; « tout le monde s'assied et se met au travail avec calme. Point de mouvements inutiles, point de paroles ou de chuchotements durant l'étude ». Dix minutes avant la fin, « chacun se dispose à la prière » durant laquelle « les élèves-maîtres doivent être constamment recueillis et se distinguer par une excellente tenue ».

« C'est, bien entendu, en ordre et en silence, que l'on gagne le dortoir; on se déshabille « avec dévotion et sans bruit ». Toutes précautions d'ordre hygiénique ont été prises à la fin de l'étude afin que, fenêtres et portes soigneusement closes, tout étant dans l'ordre, les maîtres-surveillants puissent à leur tour se coucher. Alors, plus impressionnant encore que tous ces petits silences réglementaires dont semble tissée la longue journée commencée à l'heure où il ne fait pas encore jour, le *Grand Silence* va, sept heures durant, régner dans le séminaire où se forment les premiers maîtres d'école de l'Algérie; seuls le troubleront les aboiements des chacals, des chiens kabyles et le frisson du vent dans les arbres du jardin de Mustapha... ».

Sombres dimanches

[...] Selon l'article 17 du règlement, « aucun congé, aucune sortie particulière ne pourront être accordés aux élèves pendant la durée de leurs cours d'études, hors le cas de circonstances exceptionnelles dont le directeur est juge... ». En dehors des six semaines de vacances annuelles de septembre (jugées d'ailleurs insuffisamment longues, les « deux mois d'août et de septembre en Algérie étaient de fait deux mois de trêve forcée dans les établissements d'instruction publique en Algérie »), les élèves-maîtres n'avaient donc « ni congé, ni sortie pendant toute la durée de l'année scolaire ». [M. Dupuy note que le directeur demandait en novembre 1874 à la Commission, « pour dédommager

donc dix mois et demi à Mustapha. Et, d'un bout à l'autre de l'année scolaire, les seules variantes à la monotonie de l'emploi du temps intervenaient le jeudi et le dimanche. L'après-midi de ces deux jours de la semaine, en effet, comporte – quelle heureuse diversion! – une « étude libre » (de 13h30 à 15h30) durant laquelle les élèves peuvent être autorisés à recevoir leurs familles au parloir ou à faire leur correspondance. Ensuite, deux heures de jardinage chaque jeudi ou bien « une promenade extérieure » suivie du souper et de l'étude. Le dimanche matin, ils revêtent l'uniforme. « L'uniforme, écrit le directeur, est pour les jeunes gens une garantie de dignité et de bonne condui-



Travaux dit « agricoles » en 1866 (coll. part.).

un peu ses élèves de ces privations », de consentir à leur faire servir, les jours de grande fête, un repas « plus abondant et meilleur que celui des jours ordinaires ». « Nos normaliens de 1866 » restaient

te; il trahit ceux qui tenteraient de déshonorer leur pavillon, et devient ainsi un puissant instrument de discipline ». Accompagnés de M. Leduc, le directeur économe et des maîtres

Marion Vidal-Bu-é : « Bouzaréa » Hommage à l'école normale d'instituteur d'Alger .Enseignement Algérieniste. Paris.2003.

الملحق (12) التعليم في الجزائر (1830/1962)

L'enseignement en Algérie (*)

Geneviève-de Ternant (**)

Lorsque les Français débarquent en Algérie en 1830 l'instruction des jeunes est dispensée par l'école coranique (Koutteb), la medersa pour les villes, la zaouïa pour les douars et les tribus. Le taleb doit, pour enseigner « être capable de réciter par cœur et sans se tromper les soixante chapitres du Coran ou de les écrire sans une

faute d'orthographe, tels qu'ils sont écrits dans le Livre Saint ».

Dans les *zaouïas*, notamment celles de Sidi-Abderrahmane ou de Sidi-el-Hamal qui faisaient de leurs élèves de véritables « savants » aux yeux de la masse, le summum du savoir enseigné se limitait à la grammaire arabe, le *Fiqh* (exégèse du Livre Saint), le *Twahid* (la théologie)

et *Ilm-El-Mawarith* (science de l'héritage) ou le *Hadith* (parole du Prophète). Encore faut-il souligner que ces « sciences », si on peut les appeler ainsi, étaient puisées dans des manuels très anciens.



Théodore Chassériau, « Jeune taleb assis », huile sur panneau, 1850
courtoisie Étude Briest.

Les deux derniers consistent en un ensemble des obligations religieuses ou sociales nécessaires dans la vie individuelle ou collective de la communauté **m u s l m a n e**. L'enseignement du *Hadith* était puisé dans le *Moutaouta* (sorte d'A.B.C. de l'imam Malik Ibnou Anas, mort en 795).

* - Avec l'aimable autorisation de l'Union des Anciens et Anciennes des Lycées d'Algérie (UAALA).

Outre ces ouvrages qui constituent l'essentiel des bibliothèques des ordres religieux responsables de l'instruction et qui témoignent de la prédominance d'un enseignement essentiellement religieux, l'examen du vocabulaire arabe de cette époque permet de faire cette même constatation. En effet, dans un vieil ouvrage écrit au X^e siècle, une sorte de dictionnaire des synonymes en arabe, on ne peut relever aucune trace d'un vocabulaire technologique et scientifique, même relatif aux techniques d'exploitation de la terre. « Ceci laisse penser à une absence quasi-totale de la science telle que nous la concevons aujourd'hui » ; ainsi s'exprime M. Abdelhafid Khellout dans un mémoire de licence soutenu le 20 septembre 1979, à l'Institut de psychologie de l'université de Constantine.

Le contenu essentiellement religieux de l'enseignement maraboutique ne change pas dans l'Algérie devenue française, ni les méthodes d'enseignement qui se résument à deux mots : « la mémoire et le bâton ». Ismail El Zakari écrit dans le journal réformiste *El-Basair* en janvier 1950 : « Depuis très longtemps, les programmes et les méthodes dans l'enseignement coranique étaient des plus traditionnels et des plus désuets. Chargé de faire apprendre à l'élève le Coran et les divers précis avec ou sans compréhension, le taleb ne pouvait que faire appel à la mémoire de l'élève », et M. Khellout ajoute : « L'absence d'autre méthode pédago-

gique faisait qu'une simple défaillance de la mémoire de l'élève était immédiatement corrigée par le bâton. Il n'est point utile de rappeler que celui-ci était toujours brandi - non sans quelque réjouissance - par le taleb pour corriger la conduite ». Enfin, abordant la question de la non-instruction de la fille algérienne dans le système d'enseignement traditionnel, il écrit « qu'elle était devenue une norme strictement observée par l'ensemble de la population ».

Il faut, pour être juste, remarquer qu'à cette époque de nombreuses régions de France métropolitaine ne sont pas mieux loties. Dans leur ouvrage remarquable, *Il y a cent ans, dans les Alpes-Maritimes, écoles et écoles*, M^{lle} Rosine Cleyet-Michaud et M^{me} Viviane Eleuche-Santini rapportent qu'à l'inspecteur d'Académie, qui lui faisait observer que les jeunes filles de sa localité « restaient complètement privées d'instruction », le maire de Gorbio répondait : « Le seul moyen de faire fréquenter l'école par des filles c'est d'avoir une institutrice ou que la femme de l'instituteur ait une qualification pour enseigner à coudre ou à tricoter » et les auteurs ajoutent : « On ne pense pas qu'apprendre à lire, à écrire ou à compter soit le plus important »⁽¹⁾.

Mais revenons en Algérie. Nous avons cité largement ces positions sur l'école coranique car elles semblent recoupées par les différentes sources historiques que nous possédons. Mais, pour justifier une attitude politique, M. Khellout affirme

1 - *Nice-Matin*, 16, 17 et 18 décembre 1981.

heureuse ». En réalité, on a fait à l'enseignement en Algérie un procès bizarre dont les accusations se contredisent. Si on séparait Européens et musulmans, on accusait la France de ségrégation, ce qui était faux, et si on les mélangeait, horreur! c'était pour dissoudre la personnalité arabe dans le moule français... On ferait mieux de relire la « Lettre aux Instituteurs » écrite par Jules Ferry le 17 novembre 1883: « En matière d'éducation morale, vous n'avez à enseigner, à proprement parler, rien de nouveau, rien qui ne soit fami-

lier à tous les honnêtes gens... Vous êtes l'auxiliaire et, à certains égards, le suppléant du père de famille. Parlez donc à son enfant comme vous voudriez qu'on parlât au vôtre; avec force et autorité, toutes les fois qu'il s'agit d'une vérité incontestée, d'un précepte de la morale commune; avec la plus grande réserve, dès que vous risquez

d'effleurer un sentiment religieux dont vous n'êtes pas juge... ».

Les maîtres, aussi bien dans les villes que dans les campagnes en Algérie, ont accompli leur œuvre civilisatrice avec conscience et avec foi; c'est une des raisons qui ont fait d'eux des cibles de choix pour la rébellion: le meurtre d'un instituteur frappait de terreur la population parce qu'elle l'aimait et l'estimait: ainsi commença la Toussaint sanglante, ce ne peut être un hasard!

Je souhaite que beaucoup lisent le livre écrit par les enseignants: 1830-1962... des enseignants se souviennent... de ce qu'y fut l'en-

seignement primaire. Ils y trouveront les arguments qui, peut-être, leur font défaut pour défendre vigoureusement l'image de l'enseignement donné en Algérie et, là encore, ne pas laisser altérer la vérité.

L'AMICAL DES ANCIENS INSTITUTEURS
ET INSTITUTEURS D'ALGERIE
ET LE CERCLE ALGERIENNAIS
présentent

1830 - 1962
des enseignants d'Algérie
se souviennent...
de ce qu'y fut l'enseignement primaire



PRIVAT

* Geneviève de Ternant est l'auteur de:

- *Eve Gémellaire* (poèmes), éditions du Cercle international de la Pensée Française;
- *Poèmes dans la tourmente*, éd. l'Âge d'Homme;
- *L'agonie d'Oran* (trois tomes), éd. Jacques Gandini, 1996;
- *Cornes-Muses*, éd. l'Âge d'Homme, 2002;
- *La cuisine des trois cultures*, éd. Jacques Gandini, 2002;
- *Idiotie, pourquoi tu ris? Par les temps qui courent*, Serre Éditions, 2004.

Geneviève de Ternant : L'enseignement en Algérie. Paris. 1996.

الملحق (13) تقرير لجنة التعليم العمومي حول التعليم الابتدائي في قسنطينة.

MUNICIPALITÉ DE CONSTANTINE

RAPPORT

DE LA COMMISSION D'INSTRUCTION PUBLIQUE

AU

CONSEIL MUNICIPAL DE CONSTANTINE

AU SUJET DE LA RÉORGANISATION DES ÉCOLES PRIMAIRES
DE CETTE VILLE

Depuis longtemps déjà, l'Administration municipale de Constantine se préoccupe des inconvénients multiples qu'entraîne son enseignement primaire divisé par écoles de sectes religieuses. Chaque année, à la discussion du budget communal, M. le Maire signale à son Conseil ce que cet état de chose a d'irrationnel et promet de mettre la question à l'étude pour la résoudre dans le sens de la fusion, sans que, jusqu'à ce jour, rien n'ait encore été tenté dans ce but.

- 6 -

La transformation de nos institutions politiques vient de donner un caractère tout particulier d'urgence à cette question, en posant celle de la suppression de l'enseignement donné par les congrégations religieuses pour le remplacer par l'enseignement laïque.

Beaucoup de villes de France et la plupart de celles de l'Algérie ont devancé Constantine dans la voie de réforme radicale réclamée par l'opinion publique, en prononçant la suppression de l'enseignement clérical après des débats rendus publics, et que tout le monde a suivis avec intérêt. La tâche de votre Commission se trouve ainsi considérablement réduite, car il lui paraît superflu de reprendre, un à un, les arguments fournis dans les plaidoyers plus ou moins éloquents des partisans des divers systèmes pour les soutenir ou les combattre de nouveau.

Votre opinion a dû être éclairée par les débats auxquels les nombreux écrits sur la matière, récemment éclos à la publicité, ont donné lieu, et nous croyons être l'organe du sentiment général, en disant à notre tour et sans plus longs développements : *Fusion des diverses communions religieuses dans une organisation exclusivement laïque des écoles primaires, et, conséquemment, suppression de l'enseignement congréganiste pour les deux sexes.*

— 8 —

six élèves instruits par six frères, y compris le frère supérieur. Elle figure au budget

pour 5.500

Il faut ajouter à ce chiffre la valeur approximative du loyer qui ne figure point au budget, l'édifice étant communal. 5.000

Total. 10.500

2^o ÉCOLE COMMUNALE LAÏQUE. — Comme la précédente, elle occupe un édifice communal, renfermant trois classes et le logement de l'instituteur qui pourrait en former une quatrième. Les contrôles indiquent cent vingt élèves; elle possède un instituteur et deux mattres-adjoints et figure au budget pour la somme de. 6.000

Comme à la précédente, il faut ajouter à cette dépense la valeur locative. 3.000

Total. 9.000

3^o ÉCOLE PROTESTANTE DE GARÇONS. — Elle est située à l'angle de la rue Madier, dans la maison Truc; ce local est assez vaste mais un peu humide; cinquante-quatre élèves la fréquentent;

La scolarisation de l'Algérie en 1961

Maurice Faivre (*)

Lors du cinquantième anniversaire de la Toussaint sanglante, un certain nombre de journalistes, d'Algériens, voire d'historiens, ont souligné les graves insuffisances de l'enseignement des musulmans pendant toute la période de l'Algérie française. Il est vrai que cet enseignement, longtemps refusé ou négligé par les deux communautés, a mis du temps à démarrer.

Ce jugement négatif a été nuancé,

voire corrigé en 1981, par l'Amicale des anciens instituteurs et instituteurs d'Algérie qui, avec le concours du Cercle algérieniste, a publié un excellent ouvrage sur l'enseignement primaire (1).

Les auteurs se réfèrent à l'*Annuaire statistique de l'Algérie indépendante*. Ils montrent que l'enseignement primaire des musulmans n'a démarré qu'après la guerre de 1914 et a connu de véritables accélérations en 1945, 1954 et 1958.



Une classe de 4^e A au C.E.G. Victor Hugo à Relizane;
(doc. Filori, extrait de *Relizane de ma jeunesse*, Louis Abadie, éd. Gardini, 2001).

* - (1830-1962 des enseignants d'Algérie se souviennent... de ce qu'y fit l'enseignement primaire. Amicale des anciens instituteurs et instituteurs d'Algérie et le Cercle algérieniste, éditions Privat, 1981).

Les chiffres de 1961

Les chiffres sont les suivants: 24000 élèves en 1900, 45000 en 1920, 129000 en 1945, 306000 en 1954, 450500 en 1958, 695000 en 1960 dont 37 % de filles. A ce dernier chiffre il faut ajouter 183500 élèves en formation accélérée dans les 105 Centres sociaux éducatifs (CSE) créés en 1956 par Germaine Tillion. Le pourcentage des musulmans scolarisés dans le primaire public est passé ainsi de 4 % en 1900 à 15,4 % en 1954 et 39,2 % en 1960 (sans le privé et les écoles de l'armée). Les chiffres publiés pour 1961 sont incomplets et l'ouvrage de 1981 ne traite ni de l'enseignement secondaire, ni de l'enseignement supérieur, qui tous deux ont souffert des retards accumulés dans l'enseignement primaire.

Or les données de la rentrée de 1961 sont disponibles. Elles ont été présentées le 20 décembre 1961 au Comité des Affaires algériennes (archives n° 38 du SEAA). Estimant qu'elles ne présentaient pas un grand intérêt pour l'avenir je ne les ai pas publiées en 2000 dans *Les Archives inédites de la politique algérienne* (éd. L'Harmattan). Le rapport établi par le rectorat d'Alger a

été remis à tous les membres du Comité. Le voici reproduit à la lettre.

Le rapport se place dans le cadre de l'ordonnance du 20 août 1958 (avant le Plan de Constantine) qui a prévu d'accélérer la scolarisation, d'éliminer l'analphabétisme et de former les cadres indispensables à la modernisation de l'Algérie. Les moyens envisagés sont de développer les Centres sociaux éducatifs, de créer en huit ans 16200 classes primaires (2025 par an) et de former 14000 instituteurs. Il est prévu que, dès 1965-1966, 1450000 enfants seront scolarisés (sur 1600000 enfants de 7 à 14 ans scolarisables), dont 45 % par la méthode accélérée. La scolarisation totale est envisagée au plus tard en 1968.

Les effectifs en formation dans les écoles normales d'Alger, Oran et Constantine s'élèvent à 1586, comprenant 327 musulmans dont 95 filles. Dix sections de préparation existent aux lycées d'Orléansville, Tizi-Ouzou, Tlemcen, Mostaganem, Bône et Sétif. D'autres sont en projet. Il n'y a pas de problème de recrutement en primaire bien que 561 postes ne soient pas pourvus.

Primaire public	dont FSNA (1)	Autres primaires en 1961	Secondaire	dont FSNA	Supérieur	dont FSNA
612000 en 58	77 %	28000 en privé 183500 en CSE	42000 en 58 47000 en 60	20 % 30 %	5500 en 58 8000 en 60	10 %
970000 en 61	85 %	80000 à 111000 par l'armée	45000 en 61 (+ 8000 en privé, - 2000 FSE rapatriés)	id.	9649 en 61	18 %



Une classe de 6^e B au C.E.G. Victor Hugo à Relizane.
(doc. Filori, extrait de *Relizane de ma jeunesse*, Louis Abadie, éd. Gandini, 2001).

Un déficit de 100 professeurs existe dans le secondaire où les remplacements sont assurés à 80 %.

Les effectifs scolarisés en octobre 1961 sont spécifiés dans le tableau ci-dessous.

En comptant le privé (10136 musulmans), les CSE et les écoles de l'armée, on arrive à un total de 1,1 million de musulmans scolarisés au niveau primaire, soit plus de 68 %.

D'autre part, cent cinquante écoles coraniques éduquent 45000 enfants. 5900 musulmans, soit 49 % des effectifs scolaires, et 4850 européens (soit 10 % des effectifs) bénéficiaient de bourses au début de 1961. Leur nombre est augmenté de 5600 et 7900.

L'enseignement professionnel concerne 93000 élèves, répartis comme suit:

- enseignement technique 29000 dont 64 % FSNA + 3000 en école privée,

- enseignement agricole 2000 + 1000 en privé,

- pré FPA⁽²⁾ 35000 en Cs, 12000 en SFJA⁽³⁾,

- FPA 8000 + 3000 en privé.

Les collèges techniques d'Alger, Oran, Constantine, Bône et Perrégaux sont achevés ou en cours d'achèvement. Des agrandissements sont planifiés en 1962. Pour le secondaire, 6210 capacités (?) nouvelles ont été créées en 1960. Huit agrandissements et deux constructions nouvelles sont prévues. 1022 baccalauréats ont été passés à Oran et 425 à Constantine. L'enseignement supérieur totalise 9649 étudiants, dont 6500 à 7000 à Alger, 1061 à Oran et 428 à

1 - FSNA: Français de souche Nord-Africaine.

2 - FPA: Formation professionnelle agricole.

3 - SFJA: Service de Formation de la Jeunesse Algérienne.

Constantine (ces dernières universités créées en octobre 1961). 428 musulmans sur 1648 sont inscrits en droit, 312 sur 1598 en médecine, 189 sur 1633 en sciences, 271 sur 1865 en lettres. D'autres, dont il serait intéressant de connaître le nombre, étudient en métropole.

Des constructions nouvelles sont planifiées en 1962 et 1964. On estime qu'il y aura 17000 étudiants en

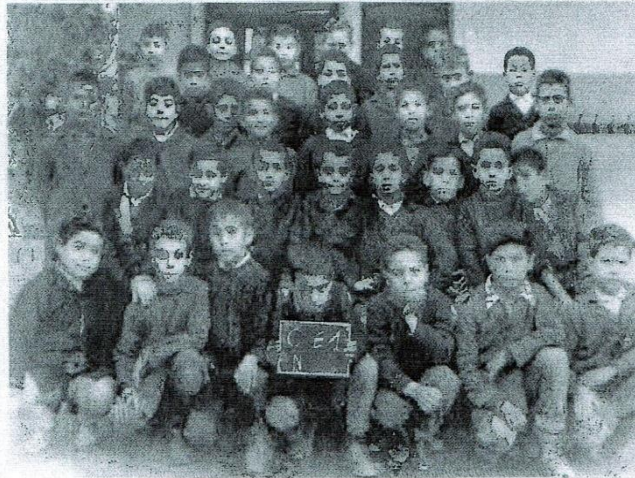
1964 et 34340 en 1970. La formation des jeunes est assurée parallèlement par le Service de formation de la Jeunesse algérienne (SFJA), dont le directeur est M. Petitbon depuis le 12 avril 1961. L'effort est porté sur l'enseignement du français. Les Foyers de jeunes ont été transférés aux Centres sociaux par décision du 10 juillet. Il est prévu de créer 1000 centres nouveaux alors qu'il en faudrait 3000 pour les villes.

Décisions

Le Comité du 20 décembre 1961 réunit sous la présidence du général De Gaulle, MM. Debré, Joxe, Frey, Buron, Lucien Paye, Morin, M^{me} Sid Cara, les généraux Puget et Ailleret...Après avoir pris connaissance des données du rapport rec-

toral le Comité décide de modifier les programmes et les installations scolaires pour les adapter aux besoins de l'enseignement en Algérie (décision qui demande à être explicitée).

Lors de la réunion du 28 avril 1962



Classe de CEI, à l'école Clemenceau de Bône, 1960 (coll. part).

le Comité constate que l'enseignement est désorganisé.

Il faut avancer la date des examens. Il est envisagé de relever le recteur, mais on y renonce; il est inutile de changer les hommes, il suffit de mettre en place de bons adjoints (sic). Les conditions de la rentrée scolaire de 1962 sont étudiées par le Comité du 24 septembre (SEAA n° 40).

Il y avait 27000 enseignants en 1961 dont 3600 musulmans, il en resterait 3800 à 4000 en 1962. Les besoins sont à peu près couverts

pour le secondaire (un professeur pour 30 élèves), mais il y a un déficit grave dans le primaire: 6000 enseignants pour 800000 enfants, soit 1 pour 130. Il faut assurer la présence de 1000 professeurs et 8000 instituteurs européens.

Il est décidé de libérer les enseignants après 18 mois de service militaire, et d'accélérer la formation des maîtres musulmans. Des candidatures ont été déposées et sont en cours d'examen.

Commentaires

Selon Gilbert Meynier, 29 % des enfants auraient été scolarisés en octobre 1962. C'est sans doute ce chiffre qui sert de référence aux anticolonialistes. Il reste certain que l'École française a formé des jeunes qui, même au niveau du CEP, ont obtenu des postes de cadres en Algérie. Selon les Algériens, la scolarisation totale des musulmans a été réalisée en 1972, ce qui est une remarquable performance après les

« difficultés » de 1962. Cependant les enseignants européens absents ont été remplacés, dans le cadre de l'arabisation de l'enseignement, par des Egyptiens intégristes dont Nasser s'est débarrassé.

Les déboires politiques et éducatifs qui en ont résulté semblent favoriser aujourd'hui une certaine francisation de l'enseignement.

* - Maurice Faivre est l'auteur de:

- *Les archives inédites de la politique algérienne - 1958-1962*, L'Harmattan, 2000.

- *Conflits d'autorités durant la guerre d'Algérie*, L'Harmattan, 2004.

المصادر والمراجع

*المصادر:

*الأرشيف:

- 1- Document Algériens. Série politique.1947.
- 2-Bulletin de l'enseignement des indigenes.No : 179.
- 3-Bulletin de l'enseignement des indigenes.No : 213.
- 4-Bulletin de l'enseignement des indigènes. Supplément.1893.
- 5-Bulletin de l'enseignement des indigenes.No : 146.
- 6-Bulletin de l'enseignement des indigenes.No : 158.
- 7-Bulletin de l'enseignement des indigènes .No : 178.
- 8-Bulletin de l'enseignement des indigenes.No : 13.
- 9-Tableau Des établissements Français en Algérie 1846-1849.

*الكتب:

باللغة العربية:

- 1-الأشرف مصطفى:الجزائر الأمة والمجتمع،تر.حنفي بن عيسى،دار القصبة للنشر.الجزائر2007
- 2-المدني احمد توفيق:كتاب الجزائر، ط2، دار المعارف، الجزائر، 1963.
- 3--المجاوي عبد القادر عبد الله التلمساني:إرشاد المتعلمين،تح،عادل بن الحاج همال الجزائري،ط1،دار ابن حزم،لبنان،2008.
- 4- بن حبيلس الشريف: الجزائر كما يراها احد الأهالي.(ط1).الجزائر:دار بهاء الدين للنشر والتوزيع.
- 5-خوجة حمدان بن عثمان :المرأة،ت،ت،ت محمد العربي الزبيري،(م و ف م)،الجزائر2005.

6- شارل وليام:مذكرات شارل(قنصل أمريكا في الجزائر)(1824/1816)ت، إسماعيل العربي، ش و ن ت،الجزائر1982.

7-عباس فرحات:ليل الاستعمار، تر، أبو بكر رحال، د.ط، منشورات.....الجزائر2005.

8- طالب احمد الإبراهيمي:من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية(1962-1972) ترجمة حنفي بن عيسى، الجزائر.

9-محساس احمد:الحركة الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة،تر،الحاج مسعود مسعود،محمد عباس،د،ط،دار القصبه،الجزائر،2003.

باللغة الفرنسية:

1-Bousquet g h :Les Mariage Mixt a L'état Civil D'alger.

(1950-1960)R.A.V.Jordan.1950-1960.Alger.

2-Marcel Emirit : L'état intellectuel de L'Algérie en 1830, in revue d'histoire moderne et contemporaine, juillet-septembre 1954.

3- Rinn.L : Note sur l'instruction publique Musulmane, en algerie, alger 1882.

4-Polard .Mauris : l'enseignement pour Les indigènes en Algérie.paris.Gogosso.1910.

*المراجع:

باللغة العربية:

1-أجرون شارل روبيير:الجزائريون المسلمون وفرنسا(1871/1919)ج1، دار الرائد للكتاب،الجزائر،2007.

2-أجرون شارل روبيير:تاريخ الجزائر المعاصرة،دار عويدات،بيروت،1882.

- 3- الجابري محمد عابد: التعليم في المغرب العربي، دراسة تحليلية لسياسة التعليم في المغرب والجزائر وتونس، دار النشر المغربية، الدار البيضاء. 1989.
- 4- الصديق محمد الصالح: أعلام المغرب العربي، ج1، م.و.ف.ط، ط2، الجزائر، 2009.
- 5- العقاد صلاح: الجزائر المعاصرة، قسم الدراسات التاريخية والجغرافية، الجزائر، 1969.
- 6- الكعك عثمان: محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن 16 إلى 19. معهد الدراسات العالية 1958.
- 7- بريفيلي غي: النخبة الجزائرية الفرانكفونية، ترجمة حاج مسعود وآخرون، دار القصبه للنشر، الجزائر 2007.
- 8- بقطاش خديجة: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر. (1830/1871، مطبعة سعد دحلب، دت.
- 9- بوعزيز يحي: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، دار البصائر للنشر والتوزيع ،طبعة خاصة 2009 الجزائر.
- 10- بوعزيز يحي: السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1830-1954) دار البصائر للنشر والتوزيع. 2009، الجزائر.
- 11- بورايو عبد الحميد: في الثقافة الجزائرية. التاريخ. القضايا والتحليلات (مقالات وحوارات) دط. الجزائر. دت.
- 12- بوحوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 دار الغرب الإسلامي، بيروت 2005.
- 13- تركي رابح: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981.
- 14- تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1931/1956) ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981.
- 15- جعلول عبد القادر: الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
- 16- جلال يحي: السياسة الفرنسية في الجزائر (1830/1960) دار المعرفة. القاهرة. 1960.
- 17- حميد عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية، دط، دار المعرفة، الجزائر، 2008.
- 18- حسنين محمد: الاستعمار الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

- 19- حلوش عبد القادر: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2010.
- 20- خرفي صالح: محمد السعيد الزاهري: المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر 1986.
- 21- دبوز محمد علي: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، مطبعة التعاون، دمشق 1965
- 22- زرهوني الطاهر: التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستعمار، موفم للنشر، الجزائر، 1993.
- 23- زوزو عبد الحميد: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1900/1830 المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.
- 24- زوزو عبد الحميد: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2008 .
- 25- سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية (1930/1900) ج2، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.
- 26- سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.
- 27- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، (1830/1500) ج1، عالم المعرفة، الجزائر، 2011 .
- 28- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3 (1954/1830) عالم المعرفة، الجزائر، 2011.
- 29- سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، (1954/1830) ج5، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.
- 30- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6) عالم المعرفة، الجزائر 2011.
- 31- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج9. عالم المعرفة، الجزائر 2011.
- 32- شهبي الحاج: الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2007.
- 33- فضيل عبد القادر، محمد الصالح رمضان: إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، ط1، شركة دار الأمة، الجزائر، 2010 .
- 34- قداش محفوظ: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، تر، محمد بن البار، دار الأمة، الجزائر 2008 .

- 35- قنان جمال:التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الإستعمار.(1830/1944) منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954. ط.خ.الجزائر2007.
- 36- قنان جمال:نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر، الجزائر،1993.
- 37--قداش محفوظ وجيلالي صاري:الجزائر في التاريخ"المقاومة السياسية1900-1954 (الطريق الإصلاحي والطريق الثوري)ترجمة عبد القادر حراث،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1987.
- 38- لوئيسي رابع وآخرون:تاريخ الجزائر المعاصر،ج2،دط،دار المعرفة،الجزائر،2000.
- 39-مزاد علي:الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر(بحث في التاريخ الديني والإجتماعي 1925/1940 تر.محمد يحياتن.دار الحكمة.دت.
- 40- محمد بن علي شعيب:أم الحواضر في الماضي والحاضر-تاريخ مدينة قسنطينة-مطبعة البعث،الجزائر،1980.
- 41- مزارى الحاج:الهامل،المكتبة العصرية،الجزائر،1993.
- 42- نسيب الحاج:زوايا العلم والقرآن في الجزائر،دار الفكر،الجزائر.1989.
- 43- نوشي أندري وآخرون:الجزائر بين الماضي والحاضر،ترجمة رابع اسطمبولي ومنصف عاشور،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1984.
- 44- واعلي الطاهر:التعليم التبشيري في الجزائر(1830-1940)منشورات دحلب سعد،1997.
- 45-مجاوي مرابط مسعودة:المجتمع المسلم والجماعات الأوربية في جزائر القرن العشرين،حقائق وإيديولوجيات وأساطير /مج1،تر:محمد المعراجي،دار هومة،الجزائر2010.

باللغة الفرنسية:

1-Abd ellatif Ben Achenhou : Formation du sous-développement en Algérie, essai...« Imprimerie commerciale »Alger, 1978

2-Ageron.Charl, Robert : Histoire de L'Algérie Contemporaine (1871/1954)

T2.p.u.f.Paris.1979.

3-Claude Colot : Les Institutions de L'Algérie durant la période coloniale (1830- 1962) Office des publications universitaires, Alger, 1987.

4- Colonna. F : Les instituteurs Algériens de 1883-1939.Alger, O.P.U.1975.

5-Cherbonneau :Leçon de Lecture Arabe.Impremrie Nationale.Paris.1852.

6- Eliaou Gaston guedj : L'enseignement indigène en Algérie au cours de la colonisation (1832/1962.

7- Eyssautier, L.A, Le statut réel français en Algérie, ou légalisation et jurisprudence sur la propriété, depuis 1830 jusqu'à la loi du 28 Avril 1887, Alger, 1887.

8-Geneviève de Ternant : L'enseignement en Algérie. Paris.1996.

9- Kamel Kateb : Les Séparation scolaire dans L Algérie coloniale, Insaniyat n : 25-26, juillet-décembre 2004.

10-Merad Ali, Regard sur L'enseignement des Musulmans en Algerie1880-1960, Alger, 1963.

11-Maurice Faivre :La Scolarisation de L'Algérie en1961.Parie.2000.

12-Marion Vidal-Bu-é : « Bouzaréa »Hommage à l'école normale d'instituer d'Alger .Enseignement Algérianiste. Paris.2003

13-Mouley Belhamissi : Histoire de Mazouna, des Origines à nos Jours, SNED, Alger, 1981

14- Hadjers Sadek : Culture.indépendance et révolution en Algérie. (1880-1890)Paris.

15-Polard. Maurice : l'enseignement pour Les indigènes en Algérie

16-Paul. Bernard : les écoles Indigène devant L'opinion Publique. Alger.1897

17-. Turin.y : Affrontements culturels dans L Algérie coloniale.écoles-medecines.religion(1830/1880) Paris.1971.

*الدوريات:

- 1- الشريف رضوان: الخرافة القبائلية في الفكر الإستعماري بالجزائر، مجلة الدراسات التاريخية، ع(10) 1997.
- 2- بقطاش خديجة: أوقاف مدينة الجزائر بعد الإحتلال الفرنسي 1830، مجلة الثقافة، ع62. الجزائر 1985.
- 3- بلحسين رحوي اسيا: وضعية التعليم الجزائري غداة الإحتلال الفرنسي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.
- 4- بن شوش محمد: المقاومة الثقافية في الجزائر (1870/1830) مجلة المصادر، العدد. 19. م. و. ب. ح. و.
- 5- بن تركية عبد الحكيم: التعليم الاستدماري في الجزائر (1962/1830) أهدافه، مراحلها ونتائجه، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة.
- 6- سميرة بوضياف: ملامح تكوين المعلمين والأساتذة في الفترة الاستعمارية، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، عدد 08. جامعة قسنطينة (2)
- 7- حلوش عبد القادر الدور الاستعماري للمدرسة الفرنسية في الجزائر، مجلة الدراسات التاريخية للمقاومة والثورة الجزائرية، ع5، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1998.
- 8- خليفني عبد القادر: السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر، الشهاب الجديد، العدد الثالث، المجلد الثالث، السنة الثالثة، الجزائر، افريل 2004.
- 9- زرهوني الطاهر: التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستعمار، مجلة الثقافة، عدد 95، سبتمبر-أكتوبر 1986.
- 10- سعدالله ابو القاسم: مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي (1954/1830) مجلة البحوث والدراسات العربية، عدد 9، الجزائر 1978.
- 11- سعد الدين ابن ابي شنب: النهضة العربية في الجزائر في النصف الأول من القرن 14 هجري، عدد 1، مجلة كلية الآداب، 1964.
- 13- كبار الشريف: النخبة الجامعية والمجتمع المدني في الجزائر: قراءة سيولوجية في جدلية الواقع والممارسة، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، عدد 11، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.

14- لهلالي سلوى: ظهور النخبة الجزائرية ومرجعيتها. مجلة الحكمة للدراسات التاريخية. عدد 20، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

*بالفرنسية:

- Paulette Dechavanne : L'enseignement en Algérie avant 1962 Conférence prononcée le 24 octobre 1992, à Aix-en-Provence.

*الرسائل الجامعية:

1- بلحاج ناصر: مواقف الجزائريين من التجنيد الإجباري (1912-1916) مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة الجزائر 2004/2005.

2- احمد بن داود شيخ: المقاومة الثقافية للإستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب من خلال التعليم (1920/1954) أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران.

3- محمد بن شوش: التعليم في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي (1830/1870) رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر 2007-2008.

4- خليل كمال: المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر، التأسيس والتطور (1850/1951) رسالة ماجستير في التاريخ المغاربي الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، 2007-2008.

5- خمري الجمعي: حركة الشبان الجزائريين والتونسيين (1900/1930) أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم قسم التاريخ، جامعة قسنطينة (2002/2003)

6- دبي رايح: السياسة التعليمية الفرنسية ودور ج.م.ع.ج، في الرد عليها (1830/1962) أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم التربية، جامعة الجزائر (2). 2010-2011.

7- صبحي حسن: تاريخ التربية والتعليم بالجزائر في العهد الاستعماري، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 1995-1996.

8- مريوش احمد: الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2006.

9- مهديد محمد: مشروع الدولة الأمة في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية 1916-1950 مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار، جامعة وهران.

10- مولاي عبد القادر: أقطاب الإصلاح في منطقة القبائل (1912/1956) أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2006-2007.

11- يسلي محمد: الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل (1920/1954) رسالة ماجستير، جامعة الجزائر.

* الملتقيات:

1- شرف الدين أحمد رضوان: إصلاح التعليم العمومي في الجزائر بين (1944/1954) الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال 1830-1962 المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954. عنابة 2009.

2- قنان جمال: التعليم الأهلي في عهد الاحتلال (1830/1944) الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال، المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، عنابة 2009.

* التقارير

1- Clachaud Ch : rapport sur L'instruction publique en Algérie.

2-Emile Combes : Rapport sur L'enseignement indigène en Algérie. Paris, 1892.

3- Jeanmaire : Rapport sur la situation de L'enseignement en Algérie. (1887-1888)

4- Jeanmaire : Situation de L'enseignement en Algérie pendant 1897-1898.

5- Jeanmaire : plans D'études et programmes.1898.

*المجلات والجرائد:

1-المبشر:عدد15أوت 1849

2-المبشر،عدد22 أوت1849

3-المبشر1896/12/26

4-المبشر:05ديسمبر1896.

*المنتديات:

.1-(www.startimes.com,24/07/2013

الفهارس

1- فهرس الأعلام:

	۳
حمد بن بريهمات: 164.	الأمير عبد القادر 6، 20، 27، 157، 158.
الطيب مرسلي: 164.	البر ديفوكس: 9.
احمد بوضرية: 164.	ابن الفكون: 13.
ابن حيبلس: 168.	أولاد سيدي الشيخ: 13.
آل الفكون 198	المصباحي الخردوشي: 14.
الشيخ المجاوي: 141.	الشيخ عاشور: 15.
اوجين فورميسترو: 148.	الديسي: 15.
ابن باديس: 154، 198.	المقراني: 17، 64، 69، 71، 75، 147.
المولود بن الموهوب: 124، 154، 141.	أبي داود: 21.
حمد بن البشير: 124.	احمد باي: 22.
البغداداي: 124.	القبلي: 65.
اروزوا: 76.	ايميل كومب: 73.
إسماعيل اربان: 77.	ألبرت قرينفي: 75.
الشريف بن حيبلس: 158، 164.	

ج	الصالح بن جلول:161198.
جامع خيرالدين:9.	حمد بن بريهمات:164.
جامع الثعالي:9.	*ب*
جون كامبون:51.	بيجو:6،30،31.
جول فيري:68،70،76،77،92.	بيدو:7،27.
جونخير:79،98،110،134.	بواسوران:76.
جونار:128،133،135،145،162.	بن رحال:119،128.
جورج مارسيه:124،134،142،144.	بيريه:124.
جون ميرانت:93.	بن شيكاو:128.
جولي:123.	بيردو:135.
جون جوريس:144،165.	بوليو:144.
ح	بلقاسم بن التهامي:164.
حميدة العمالي:123.	*ت*
حسن بريهمات:123.	توكفيل:01.
حمدان لونيبي:154.	

سولفيت:16.	حميدة بن التهامي:158.
سان كولبير:124.	*د*
ش	دوماس:7،10،24.
شانزي:51،75،77.	ديورمون
شوفو:81.	دومال:26،27.
شارل رير اجرون:169.	دولاكروا:44.
ص	دوماس:7،10،24.
صالح باي:158.	ديورمون:12.
ط	دومال:26،27.
طالب عبد السلام:164.	دولاكروا:44.
ع	*ر*
عبد الرزاق الاشرف:123.	راندون:36،47،124،188.
علي العمالي:123.	روفيقو:44.
عبد الحلليم بن سماية:123،124،141.	رمبو:145.
عمر بريهمات:123،124.	*س*
	سعدالله:17،8،135،179.

ق	عبد الرحمان اليلولي:14.
قورجو:179،186،189،190.	علي بن سماية:123.
ك	عبد القادر المجاوي:124.
كامبون:116.	عمارة رشيد:124.
كومبس:135،146.	*غ*
كاترو:172،173.	غوتيه:123.
ل	*ف*
ليون روش:6،23،30،43.	فاليري:7.
لويس فيليب:27.	فارني:17،75.
لويس نابوليون:27.	فليمان:28.
لافيجري:36،149،150،151،152.	فاليه:29.
لبين:125.	فايان:41،43.
لوبرجوا:135.	فارمستو:77.
لوتو:138،161.	فرانك شوفو:144.
لوجي:173.	فرحات عباس:156،161.

ن	*م*
نابليون الثالث: 148،58.	محمد بن ابي القاسم: 15.
و	ميرانت: 70،27.
ويليام شالر: 19.	محمد السعيد بن زكري: 124،123.
ويمفان: 50.	مصطفى باشا: 54.
	ماكمهون: 61:152.
	مارسيه: 107.
	محمود بن الشاذلي: 124.
	موتيلانسكي: 124.
	مورال: 142.
	مورلان: 147.
	محمد بن رحال: 154.
	محمد بن أبي شنب: 155.
	مريم بلمهوب: 184.

ب: فهرس الأماكن والبلدان.

ف

الجزائر: 1، 5، 7، 9، 10، 13، 20، 21، 26، 29، 30، 34، 38، 40، 41، 58، 58، 60، 65،
74، 80، 93، 95، 96، 101، 103، 105، 106، 112، 116، 117، 118، 124،
128، 138، 155، 159، 168، 173، 178، 185، 188، 189، 195، 199.

الحجاز: 10.

العاصمة: 9، 26، 36، 90، 101، 103، 105، 106، 109، 115، 117، 196، 198.

الزيتونة، الازهر، القرويين: 11.

القشاشية: 12.

القبائل: 13، 22، 24، 61، 74، 77، 128.

الصحراء: 13، 22، 23.

الهامل: 15، 21.

المدية: 16، 115، 155، 196.

المغرب العربي: 20.

الاندلس: 20.

تركيا: 20.

المشرق: 20.

اقبو: 22.

الشام: 173، 36.

الاربعاء: 37.

الاغواط: 37.

العطاف: 37.

الالزاس: 74.

اللورين: 74.

المارتينيك: 74.

الحراش: 152، 128.

انجلترا: 148.

الرباط: 155.

الطاهير: 156.

الهند الصينية: 173.

المغرب العربي: 188.

ب

بوسعادة: 37،22،15.

بجاية: 22،20.

بليدة: 59،36،26.

باريس: 128،119،53،4.

بوزريعة: 109،60،54،53،51.

بسكرة: 37.

باتنة: 37.

برج بوعريج: 64،37.

بني منصور: 37.

بني يزقن: 37.

بريطانيا: 148.

بن عكنون: 152.

بروسيا: 188.

ت

تلمسان: 199،196،181،119،118،117،115،20،19،16،11،8،1.

تونس: 198،24.

تيزي وزو: 38،37.

تلمسان: 1،8،11،16،19،20،115،117،118،119،181،196،199.

تونس: 198،24.

تيزي وزو: 38.3،37.

*
ج *

جيجل: 156.

*
د *

دلس: 128.

دمشق: 155.

*
ر *

روسيا: 148.

*
ز *

زواوة: 13.

س

سكيكدة: 115، 191، 192.

سطيف 115-

سيدي بلعباس: 192.

ط

طنجة: 6.

ع

عناية: 4، 25، 26، 59، 115.

عين البضاء: 37.

غ

عمي موسى: 128.

غرونوبل: 6، 188.

ف

فرنسا: 1، 5، 22، 23، 25، 29، 30، 36، 65، 66، 112، 125، 148، 162، 173،

189.

ق

قسنطينة: 2، 8، 9، 11، 17، 19، 22، 26، 29، 31، 34، 36، 40، 41، 44، 45، 46، 54،
58، 59، 66، 79، 80، 90، 95، 101، 103، 105، 106، 107، 109، 115، 118،
124، 128، 135، 142، 154، 160، 185، 196، 199.

قالمة: 191، 192.

م

معسكر: 9.

مصر: 11، 24، 160.

مازونة: 12، 20.

مستغانم: 26، 36، 59، 115، 158، 169، 181.

ميزون كاري: 196.

ن

ندرومة: 119، 154، 169.

و

وهران: 2، 25، 36، 37، 40، 44، 59، 75، 90، 95، 105، 115، 128،
181، 185.

ورقلة:152.

وووليس:158.

ي

يلولة:14.

*فهرس الجداول:

الصفحة	العنوان	الرقم
09	- أسماء وأماكن المدارس التي هدمت	01
38	- توزيع المدارس الثمانية عشر (18) بالجزائر	02
41	- مراحل تطور عدد التلاميذ والمدارس من 1852 إلى 1887	03
46	- عدد الطلبة في المعاهد	04
50	- عدد الطلبة في المدارس	05
56	- مرتبات موظفي المدارس	06
69	عدد الطلبة الجزائريين من 1872 إلى 1887	07
73	- مجموع أعداد التلاميذ من سنة 1882 إلى 1886	08
80	- عدد الطلاب بالمعاهد العربية الفرنسية	09
52	- عدد الطلبة في المعاهد والثانويات (4898/1897)	10
88	- عدد التلاميذ الجزائريين في جميع الأطوار (1888/1887)	11
89	- تطور عدد التلاميذ في المدارس الأهلية من 1882 إلى 1890	12
90	- أرقام توضح الهياكل التربوية في الجزائر.	13
94	- عدد التلاميذ الجزائريين في المدارس من 1892 إلى 1900	14

95	- توزيع المدارس على المقاطعات بمختلف أنواعها	15
96	- تطور عدد التلاميذ الجزائريين من 1882 إلى 1900	16
104	- شبكة أجور المعلمين	17
105	- عدد التلاميذ المسجلين في المدارس الابتدائية العمومية (1897-1898)	18
106	- عدد التلاميذ المسجلين في المدارس الابتدائية الخاصة (1897/1898)	19
112	- عدد التلاميذ الأوربيين والجزائريين في سنتي 1897/1898	20
115	- عدد التلاميذ الأوربيين والجزائريين في سنتي 1897/1898	21
117	- عدد الطلاب الجزائريين في المدارس الشرعية الثلاثة.	22
121	- الحجم الساعي للقسم العادي والعالي	23
123	- أسماء معلمي وأساتذة مدرسة الجزائر والمواد المدرسة	24
124	- أسماء مدرسي المواد في القسم العالي بمدرسة الجزائر	25
124	- أسماء مدرسي المواد في مدرسة قسنطينة	26
124	- أسماء مدرسي المواد في مدرسة تلمسان	27
130	- عدد التلاميذ والأقسام من 1900 إلى 1910	28
132	- القروض الموجهة للتعليم	29

132	30	- عدد التلاميذ في المدارس العادية والإضافية (1911/1910)
132	31	- توزيع الأطفال في أقسام الأهالي بين المدارس العمومية والخاصة
136	32	- إحصاء التلاميذ الجزائريين (1907/1882)
137	33	- تطور عدد التلاميذ والمدارس (1919/1909)
165	34	- عدد المجنسين من 1950 إلى 1938
174	35	- الاعتمادات المالية الموجهة للتلاميذ والمدارس
175	36	- الاعتمادات المالية الموجهة للتعليم
177	37	- عدد التلاميذ والفصول في برنامج 1944
179	38	- عدد التلاميذ والأقسام من 1945 إلى 1954
179	39	- التعليم الأوربي والتعليم الأهلي في الفترة ما بين (1945 و 1954)
181	40	- تعداد التلاميذ في الطور الثانوي في الفترة بين (1954/1945)
181	41	- تطور عدد التلاميذ سنة 1958
183	42	- عدد الطلبة الجزائريين والفرنسيين في الثانويات (1950/1939)

186	43	- عدد طلبة جامعة الجزائر (جزائريون-أوروبيون) من 1939 إلى 1950
187	44	- عدد الطلبة في جامعة الجزائر (1955/1946)
189	45	- أعداد الطلبة الأوربيين والجزائريين في التعليم المهني
191	46	- أعداد الطلبة الفرنسيين والجزائريين في المدارس الفلاحية 48-50
192	47	- أعداد الطلبة الفرنسيين والجزائريين في المعاهد الزراعية 54-1961
194	48	- أعداد الطلبة في المدارس المهنية بين (1950/1948)
194	49	- تطور أعداد التعليم المهني بداية من 1945 حتى سنة 1961
196	50	- أعداد الطلبة الجزائريين والفرنسيين في المدارس (1950/1946)

4- فهرس الموضوعات:

مقدمة.....أ-ش

الفصل الأول: الحالة العامة للتعليم في الجزائر قبل 1850.....1-37

المبحث الأول: وضعية التعليم.....3-7

المبحث الثاني: أنواع التعليم.....8-19

المبحث الثالث: الوسائل والبرامج.....20-25

المبحث الرابع: البدايات الأولى للتعليم الأهلي الفرنسي.....26-28

المبحث الخامس: السياسات العامة للتعليم الأهلي الفرنسي.....29-31

المبحث السادس: أهدافه ووسائله.....31-37

الفصل الثاني: التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر 1850/1870.....38-70

المبحث الأول: نشأة المدارس العربية.....43-50

المبحث الثاني: ظهور المعاهد العربية الفرنسية.....51-54

المبحث الثالث: المدارس الإسلامية الحكومية.....55-60

المبحث الرابع: الأهداف العامة لهذه المدارس.....60-64

المبحث الخامس "المناهج والمقررات".....65-70

الفصل الثالث: تطور حركة التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر 1871/1892.....71-113

المبحث الأول: تنظيم التعليم الأهلي.....73-79

90-79.....	المبحثالثاني:التعليم الابتدائي.....
97-90.....	المبحث الثالث:التعليم الثانوي.....
105-98.....	المبحثالرابع:المراسيم التعليمية الفرنسية.....
113-106.....	المبحثالخامس:البرامج المدرسية.....
158-114.....	الفصل الرابع:هيكله التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر1914/1892.....
122-116.....	المبحث الأول:التشريع المدرسي في مرسوم1892.....
131-123.....	المبحث الثاني:إجبارية التعليم في الابتدائي.....
133-131.....	المبحث الثالث: التعليم الثانوي.....
142-133.....	المبحث الرابع:التعليم العربي الإسلامي.....
146-143.....	المبحث الخامس:التعليم الفلاحي (التطبيقى).....
158-147.....	المبحث السادس: المدارس الإضافية(المساعدة).....
193-159.....	الفصل الخامس:التعليم الأهلي وبروز النخبة الجزائرية1914-1944.....
167-161.....	المبحث الاول:ظهور النخبة الجزائرية.....
174-168.....	المبحث الثاني:المدرسة الفرنسية وجماعة النخبة.....
181-174.....	المبحث الثالث:الحركة الوطنية وجماعة النخبة.....
186-181.....	المبحث الرابع:موقف الإدارة الفرنسية والأهالي من جماعة النخبة.....
193-187.....	المبحث الخامس:أثر المدرسة الفرنسية على جماعة النخبة.....

الفصل السادس: التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر و لجنة الإصلاحات. 1962/1944....

المبحث الأول: التعليم الابتدائي..... 196-204

المبحث الثاني: التعليم الثانوي..... 205-209

المبحث الثالث: التعليم العالي..... 209-213

المبحث الرابع: التعليم الفني والمهني..... 214-223

المبحث الخامس: المدارس والمعهد العالي للعلوم الإسلامية..... 223-226

خاتمة البحث..... 227-230

الملاحق..... 231-266

المصادر والمراجع..... 267-280

فهرس الأعلام..... 281-285

فهرس الأماكن و البلدان..... 286-292

فهرس الجداول..... 293-296

فهرس الموضوعات..... 297-300

تم بحمد الله

ملخص:

يتناول موضوع الدراسة التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر 1850/1962 وفقاً لخطة عمل تتألف من مقدمة وستة فصول وخاتمة حيث ذُكرت بالحالة العامة للتعليم قبل 1850 والانطلاقة الأولى للمراسيم الإمبراطورية المؤسسة للمدرسة الأهلية، ثم تطرقت إلى مرحلة جديدة ميزها صدور مراسيم "جول فيري" التعليمية الداعية إلى إجبارية التعليم، لتبدأ فترة أخرى شهدت إعادة تنظيم وهيكلية شاملة للتعليم الأهلي، هذا الأخير الذي سينتج نخبة تعليمية فرانكو جزائرية ميزت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وأخيراً تكلمت عن التعليم بعد أمرية 1944 وإصلاحات الجنرال "شارل ديغول" وفقاً لإحصائيات رسمية فرنسية، وختمت الموضوع بخاتمة أوجب فيها عن الإشكالية المطروحة وكذا العناصر الفرعية التي احتوتها.

Résumé:

Le sujet de l'étude porte sur l'enseignement privé français en Algérie 1850/1962 selon un plan d'action composé d'une introduction, de six chapitres et d'une conclusion, qui rappelle la situation générale de l'éducation avant 1850 et le premier lancement des décrets impériaux portant création de l'école privée, puis aborde une nouvelle étape caractérisée par la publication de décrets pédagogiques "Jules Ferry" appelant à l'enseignement obligatoire, Pour entamer une autre période qui a vu une réorganisation et une restructuration d'ensemble de l'enseignement privé, ce dernier qui produira une élite éducative franco algérienne qui a distingué la fin du XIXe siècle et le début du XXe siècle et a finalement évoqué l'éducation après le commandement de 1944 et les réformes du général «Charles de Gaulle» selon les statistiques Toxicité française, et a conclu le sujet par une conclusion dans laquelle vous avez répondu à la question problématique ainsi qu'aux sous-éléments qu'elle contenait.